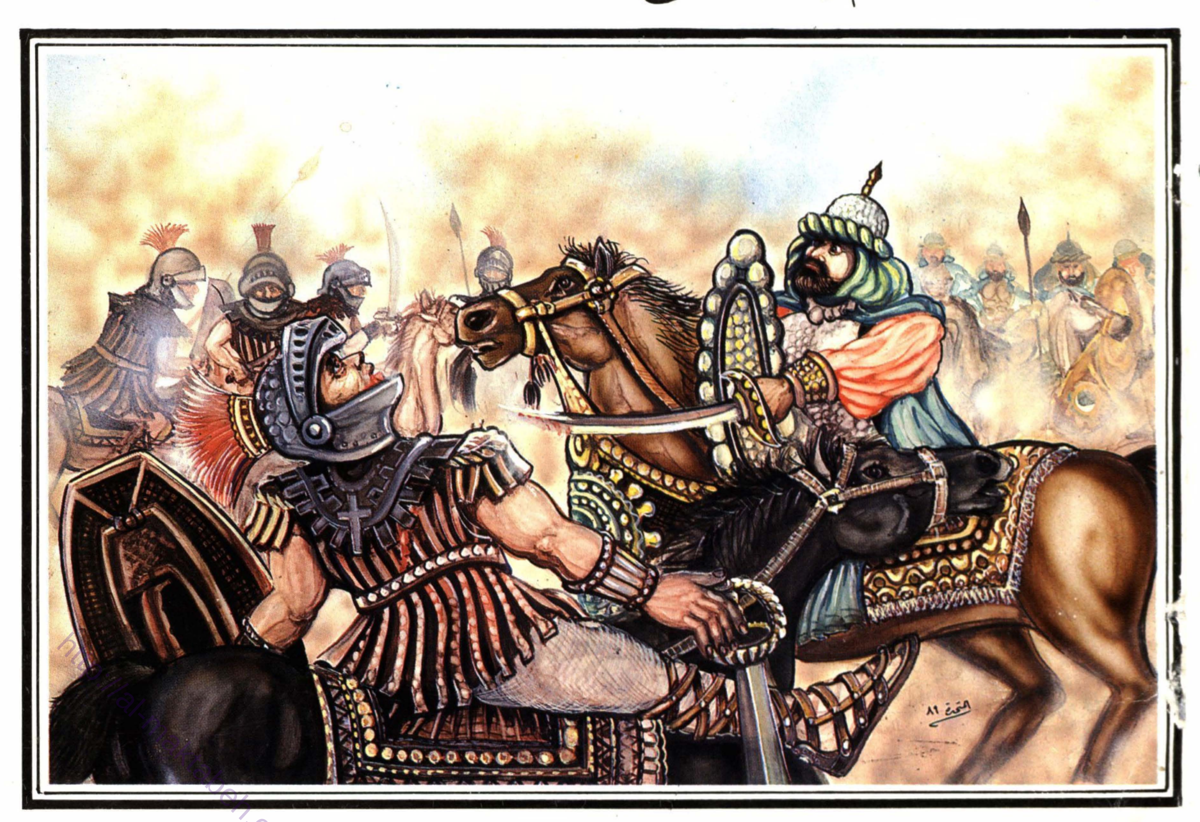
العسكرية الاسلامية في العصر الراشدي

اليرموك والقادسية

تأليف

العقيد الركن قاسم محمد صالح



العسكرية الاسلامية في العصر الراشدي
اليرموك والقادسية

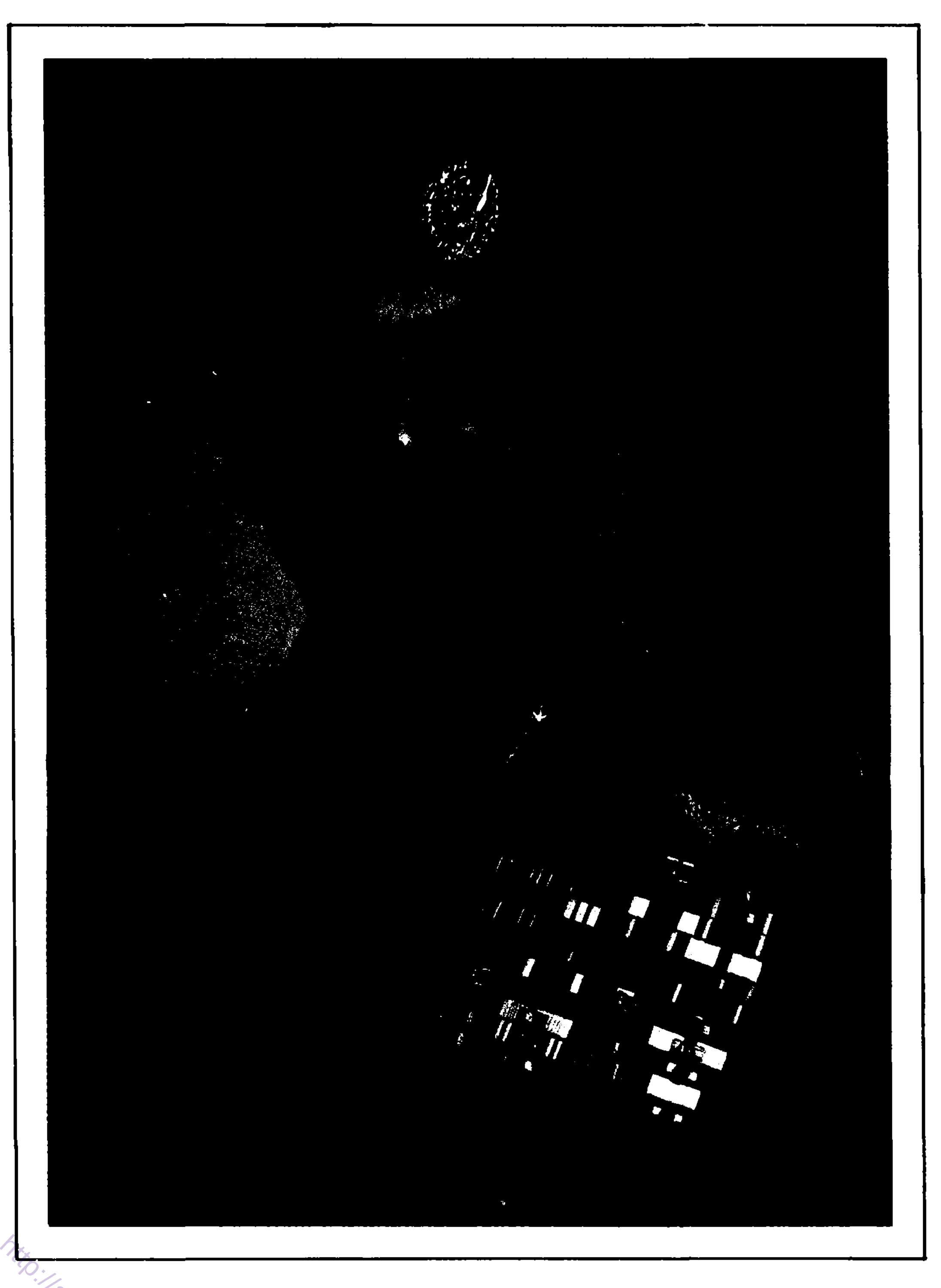
تأليف

العقيد الركن قاسم محمد صالح

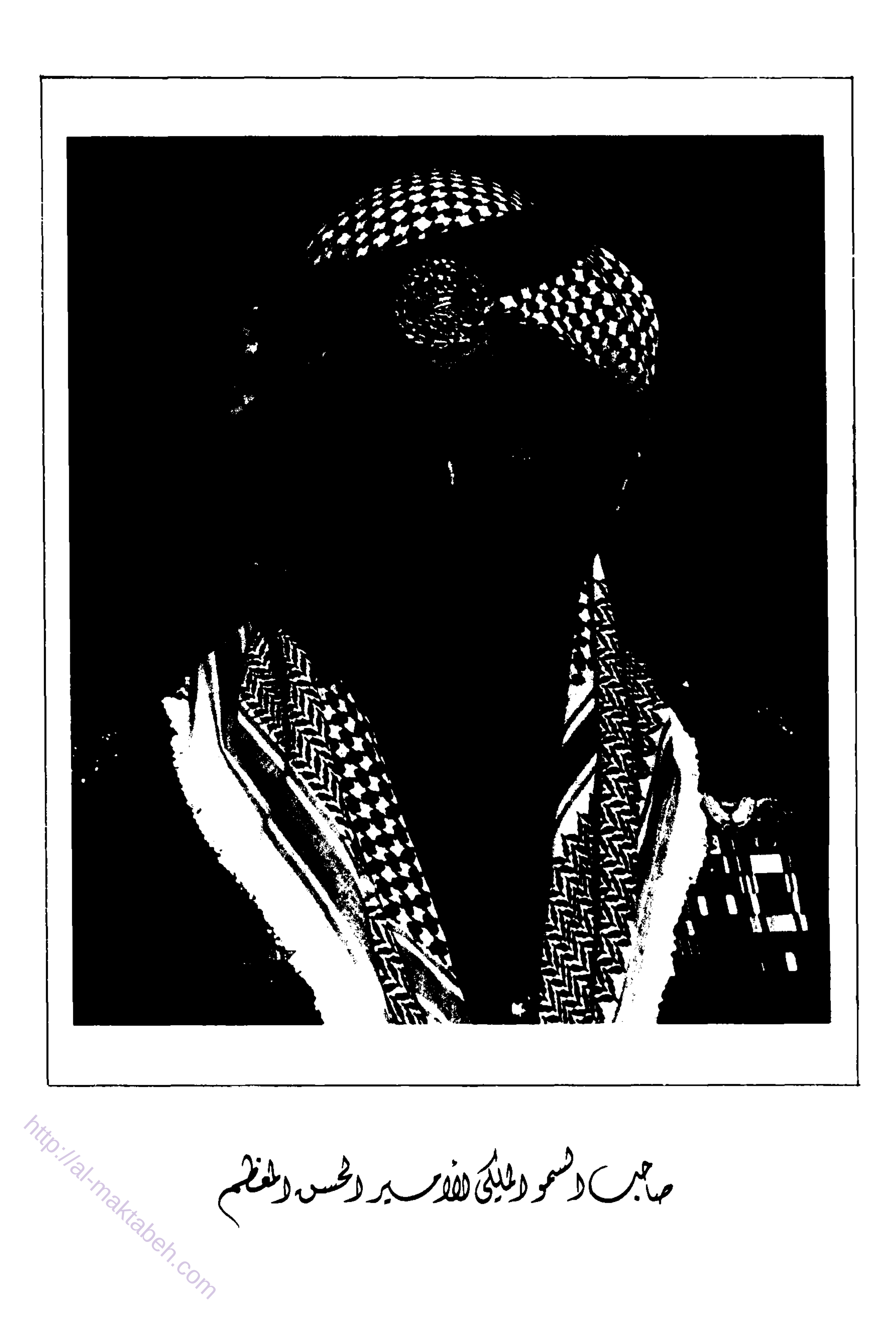


الطبعة الاولى
١٩٨٩





حضرة صاحب الجلالة الملك الحسين بن طلال المعظم
القائد الأعلى للقوات المسلحة الأردنية



صاحب السمو الملكي الأمير الحسن المعظم

إهداء

أقدم هذا الكتاب لزوجتي العزيزة التي شاركتني ضروب الحياة فعاونت وتحملت لعلني أبادلها به الوفاء ولأخفف عليها من خلاله مرارة الصبر والحرمان.

تحية من رياض الفكر أزجيها ... لمن أحب ومن بالروح أفديها

تلك التي رافقتني ثم ما فتئت ... تهدي إليّ رضاب الحب من فيها

هذا الكتاب لها عهد أقدّمه ... على الوفاء أرجي أن أكافيها

المؤلف

مقدمة .

قليلة هي الدراسات التي تناولت الفتوحات الاسلامية الاولى والمعارك التي خاضتها الجيوش العربية الاسلامية في شبه جزيرة العرب وفي بلاد الشام والعراق، ولذلك أسباب معروفة لعل أهمها قلة المصادر الاولية العربية وافتقارها الى المعلومات الوافية عن المعارك والفتوح، واحجام المؤرخين العرب وافتقارهم الى المعلومات الوافية الاولية البيزنطية والارمنية والسريانية التي تناولت هذه الفتوح، اما جهلاً بهذه المصادر لعدم معرفتهم باللغات اليونانية والارمنية والسريانية القديمة، أو تهاوناً وكسلاً منهم لان تعلم هذه اللغات ليس بالأمر السهل اليسير.

ولا شك ان الخوض في هذا الموضوع الخطير يقتضي احاطة واسعة بالموضوع ومعرفة وثيقة بالمصادر الاولية ولا سيما الروايات وتمحيصها، كما يستدعي جرأة وثقة بالنفس كافيتين.

وقد وجدت الكثير من هذه في كتاب «العسكرية الاسلامية في العصر الراشدي» لمؤلفه العقيد الركن قاسم محمد صالح، فقد تناول المؤلف المبادىء العامة للعسكرية الاسلامية في العصر الراشدي، وأتى على الاستراتيجية التي اعتمدها الخليفتان ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

واستعرض الخطط العسكرية الميدانية التي رسمها قادة الفتح الاوائل أمثال خالد بن الوليد وابو عبيدة عامر بن الجراح، والمثنى بن حارثة الشيباني، وسعد بن ابي وقاص، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة، واوضح باسلوب سهل ومباشر وبمنهجية تاريخية سليمة، وبخرائط دقيقة، سير العمليات العسكرية والمعارك التي ادارها اولئك القادة الأفذاذ، رضوان الله عليهم، فجاء هذا الكتاب في صورته الحالية مفيداً للقائد العسكري والباحث المتخصص والقارىء العادي.

لقد عرفت عن المؤلف حباً صادقاً للبحث التاريخي، وحماساً بالغاً للكشف عن الحقيقة، وقدرة في التحليل العلمي، تستحق التقدير والاعجاب ومؤلفاته وابحاثه المنشورة خير شاهد على ذلك.

وانني اذ اقدم للقراء هذا الكتاب القيم، اتمنى للمؤلف مزيداً من النجاح والتقدم.

الدكتور علي محافظه

غزوة مؤتة


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

١ ـ المقدمة التاريخية

اتفقت اغلب الروايات[١] حول الأخبار المتعلقة بسرية الاستطلاع المقاتلة التي أرسلها الرسول (ﷺ) الى منطقة مؤتة. وقد ورد في هذه الروايات أن الرسول (ﷺ) بعث (الحارث بن عمير الأزدي) أحد بني لهب الى ملك بصرى بكتاب يدعوه فيه الى الاسلام فلما وصل منطقة (مؤتة) عرض له (شرحبيل بن عمرو الغساني) فقتله. فكانت تلك أول بادرة خطيرة في قتل رسول رسول الله. فاشتد ذلك عليه وندب الناس للجهاد فاجتمع له ثلاثة آلاف فأمّر عليهم (زيد بن حارثة) فإن قتل (فجعفر بن أبي طالب) فإن قتل (فعبد الله بن رواحة) فإن قتل فليجتمع أمر المسلمين على رجل منهم يؤمرونه عليهم وقد عقد لهم رسول الله لواء أبيض ودفعه الى (زيد بن حارثة) وأمرهم أن يأتوا الموقع الذي قتل فيه (الحارث) فيدعوا الناس الى الاسلام فإن أجابوهم والا استعانوا عليهم بالله وقاتلوهم. وتحرك الجيش وسار المسلمون خلفهم يقودهم رسول الله الى (ثنية الوداع) حيث ودعوهم هناك وعادوا الى المدينة بينما واصل الجيش الاسلامي حركته حتى وصل الى (معان). وكان العرب الغساسنة قد سمعوا بحركة هذا الجيش وبوجهته فحشدوا في مواجهته (مئة الف) مقاتل من قبائل (بهراء، وائل، بكر، لخم، وجذام) كما حشد الروم (مئة الف) مقاتل كذلك واجتمعوا في منطقة (مؤاب من البلقاء) أما المسلمون فقد علموا وهم في (معان) كذلك بهذا الحشد الكبير الذي ينتظرهم وقد تقاسموا الرأي فيما بينهم فكان رأي بعضهم أن يلتزموا (معان) فلا يبرحوها حتى يأذن لهم رسول الله بالحركة الى منطقة مؤتة أو العودة الى المدينة وأشار أصحاب هذا الرأي بأن يبعثوا رسولاً منهم الى المدينة يخبرون رسول الله بحشد الروم والعرب وينتظرون جوابه. وكان رأي الفريق الثاني: أن يمضي المسلمون الى (مؤتة) وكان يمثل هذا الفريق (عبد الله بن رواحة) حيث قال: (يا قوم والله ان التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون ـ الشهادة ـ وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي اكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي احدى الحسنيين: إما ظهور وإما شهادة) فقال الناس: (قد والله صدق ابن رواحة). فمضى الناس الى مؤتة وفي ذلك قال عبد الله بن رواحة:

جلبنا الخيل من أجأ وفرع ... تغُرُّ من الحشيش الى العكوم
أقامت ليلتين على (معانٍ) ... فأعقب بعد فترتها جموم
فلا وأبي مآبُ لنأتينْها ... وان كانت بها عرب وروم

---

(١) ابن كثير/ البداية والنهاية/ الجزء الرابع/ منشورات مكتبة المعارف بيروت ١٩٨٨/ ص ٢٤١ ـ ٢٦٢، الواقدي/ كتاب المغازي/ الجزء الثاني/ تحقيق الدكتور مارسدن جونس/ منشورات عالم الكتب بيروت/ ص ٧٥٥ ـ ٧٦٩، ابن سعد/ الطبقات الكبرى/ الجزء الثاني/ دار صادر بيروت ١٩٨٥/ ص ١٢٨ ـ ١٣٠، الطبري/ تاريخ الأمم والملوك/ الجزء الثالث/ دار القاموس الحديث للطباعة والنشر/ ص ١٠٨ ـ ١١٠، ابن خلدون/ تاريخ ابن خلدون/ الجزء الثاني/ مؤسسة جمال للطباعة والنشر ١٩٧٩/ ص ٤٠ ـ ٤١، ابن الأثير/ الكامل تحقيق ابي الفداء عبد الله القاضي/ الجزء الثاني/ دار الكتب العلمية بيروت/ الطبعة الأولى ١٩٨٧/ ص ١١٢ ـ ١١٥.

وعندما وصلوا الى تخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقريةٍ من قرى البلقاء يقال لها (مشارف) ثم دنا العدو وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها (مؤتة) فالتقى الناس عندها فتعبأ المسلمون وجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذره يقال له (قطبة بن قتادة) وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له(عبابة بن مالك) وقال ابن اسحق[1]:

(ثم التقى الناس فاقتتلوا فقاتل (زيد بن حارثة) براية رسول الله (ﷺ) حتى شاط في رماح القوم ثم أخذها (جعفر بن أبي طالب) فقاتل القوم حتى قتل فكان (جعفر) أول المسلمين عقر في الاسلام. وقال ابن هشام: حدثني من أثق به من اهل العلم أن (جعفر) أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنة فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء. فلما قتل جعفر أخذ الراية (عبد الله بن رواحة) ثم تقدم بها وهو على فرسه فنزل عنها ثم تقدم فقاتل حتى قتل ثم أخذ الراية (ثابت بن أقرم أخو بني العجلان) فقال يا معشر المسلمين: اصطلحوا على رجل منكم قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل. فاصطلح الناس على (خالد بن الوليد). فلما أخذ الراية دافع القوم وخاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس).

وروى الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك قال:[2]

(وقد كان (قطبة بن قتادة العذري) الذي كان على ميمنة المسلمين حمل على (مالك بن رافلة) قائد المستعربة فقتله).

أما ابن خلدون فقد روى في تاريخه[3]

(فأخذ الراية ثابت بن اقرم من بني العجلان وناولها لخالد بن الوليد فانحاز بالمسلمين وأنذر النبيّ (ﷺ) بقتل هؤلاء الأمراء قبل ورود الخبر في يوم قتلهم واستشهد مع الأمراء جماعة من المسلمين يزيدون على العشرة).

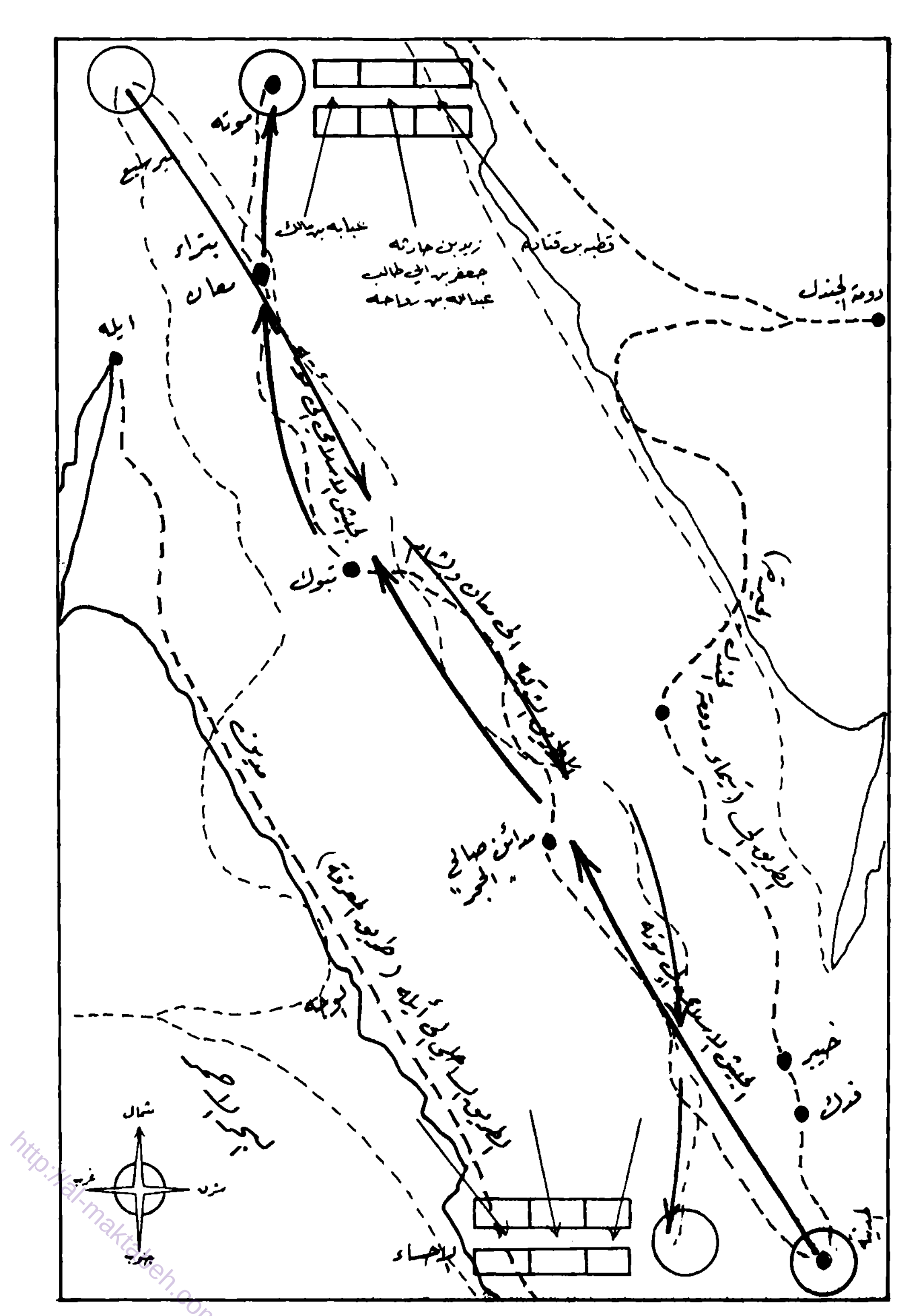
وذكر ابن سعد في طبقاته الكبرى[4]:

(فلما سمع اهل المدينة بجيش مؤتة قادمين تلقوهم بالجرف فجعل الناس يحثون في وجوههم التراب ويقولون: يا فرار أفررتم في سبيل الله؟ فيقول رسول الله (ﷺ): ليسوا بفرّار ولكنهم كرّار إن شاء الله).

---

(١) ابن كثير/ البداية والنهاية/ المجلد الرابع/ منشورات مكتبة المعارف/ بيروت/ ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.
(٢) الطبري/ تاريخ الأمم والملوك/ المجلد الثالث/ ص ١١٠.
(٣) ابن خلدون/ تاريخ ابن خلدون/ المجلد الثاني/ مؤسسة جمال للطباعة والنشر/ ص ٤١.
(٤) ابن سعد/ الطبقات الكبرى/ المجلد الثاني/دار صادر بيروت/ ص ١٢٩.

خارطة حركة الجيش الإسلامي إلى مؤته



أما المسعودي فقد ذكر في كتابه (مروج الذهب) خبراً مقتضباً عن مؤتة تطرّق فيه لاستشهاد القادة الثلاثة الذين عينهم رسول الله (ﷺ) على سرية مؤتة فقال:[1]

(وفي سنة ثمانٍ استشهد جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة بأرض مؤتة من أرض البلقاء من أرض الشام وأعمال دمشق في وقعتهم مع الروم).

٢ - التحليل العسكري

تشبه غزوة مؤتة في مهمتها واسلوبها الى حد كبير الدوريات المقاتلة في عصرنا الحاضر ويمكن حصر مهمتها ضمن مجال الاستطلاع بالقوة الذي تلجأ اليه التشكيلات المدرعة في عملياتها الاستطلاعية الواسعة ومع ذلك فهي لا تخلو من غاية تأديبية لتلك القبائل العربية الموالية للروم بسبب اقترافها جريمة قتل الرسل الموفدين بمهمات خاصة بين الملوك والرؤساء كما تضمن الهيبة لهذه الدولة الفتية الناشئة وتجريء العرب المسلمين على قتال الروم، اذ لا يمكن في أي حال من الأحوال أن يرسل النبي (ﷺ) جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل لمحاربة أكبر امبراطورية في ذلك العصر.

فهناك سبب مباشر يبدو في تأديب تلك القبائل العربية التي كانت تشكل حاجزاً أمنياً للامبراطورية الرومانية وهناك سبب غير مباشر يتعلق باستطلاع ذلك الحاجز الأمني واختراقه.

ونظراً لصعوبة المهمة والأخطار الناجمة عن المسافة التي ستقطعها تلك القوة المقاتلة، وتعذر امكانية الاتصال بها فلقد كان استشهاد القائد أمراً محتملاً ولذلك فقد رتب الرسول (ﷺ) ثلاثة من الصحابة يتعاقبون على قيادتها في حالة استشهاد أحدهم وهم على التوالي (زيد بن حارثة، جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن رواحة) وترك أمر القيادة بعد ذلك للمسلمين يختارون فيما بينهم.

أما طريق تلك الحملة فالراجح أنها سارت من المدينة الى تيماء فتبوك فمعان الى مؤتة.

وهناك في مؤتة كان للروم حشد كبير قيل أنه بلغ مئة ألف جندي، ومهما حاولنا التقليل من حجم الجيش الروماني فانه يبقى متفوقاً من الناحية الكمية بعشرات الأضعاف.

(١) المسعودي/ مروج الذهب/ الجزء الثاني/ المكتبة الاسلامية بيروت/ تحقيق محمد عبد الحميد/ ص ٢٩٦.

فالمعركة غير متكافئة والقوتان ليستا متوازنتين ولا يمكن في هذه الحالة تعويض النقص الكمي بالتفوق النوعي واذا كانت المواجهة حتمية فان المسلمين يخوضون معركة فاشلة. ولذلك فان القرار الصائب هو عدم مواجهة مثل هذا الجيش الروماني الضخم. واذا كان المسلمون قد علموا وهم في معان بحجم الجيش الروساني وما أظن الأمر كذلك، فقد غامروا بخوض معركة فاشلة معهم والمغامرة في مثل هذه الحال ليست محمودة وانما هي انتحار حتمي. ولكنني اعتقد أن الأمر كان غير ذلك وأن المسلمين كان ينقصهم في هذه الغزوة عنصر الاستطلاع أو متابعة اخبار العدو وجلب المعلومات عن تحركاته ونشاطاته. واذا كانوا يعلمون أن الروم قد حشدوا جيشاً للقائهم فلقد فوجئوا على الأرجح في حجم هذا الجيش وكثافته الهائلة. وفي اعتقادي ايضاً أنهم كانوا مضطرين الى خوض معركة غير متكافئة مع الرومان.

وخالد بن الوليد بعد أن آلت اليه القيادة أدرك أنه يخوض مع الروم معركة فاشلة، ولذلك كان قراره بالانسحاب صائباً وجريئاً في آن واحد. وهو يدل في الوقت نفسه على عبقرية مبكرة في القيادة العسكرية فهذه أول معركة عسكرية يتسلم فيها القيادة فهو وان انتصر على المسلمين في (أحد) فقد كان قائداً لفرسان المشركين فقط ولم يكن قائداً عاماً لجيش المشركين.

وأسلوب خالد وجرأته في تنفيذ الانسحاب لا يقل أهمية عن جرأته في اتخاذ القرار، حيث كان عليه ان يقطع التماس مع العدو. وقطع التماس أثناء الاشتباك ليس بالأمر الهين ولا اليسير. ففي مساء ذلك اليوم الذي آلت فيه القيادة اليه قام بادخال بعض التعديلات على مواقع الجيش، فحرك الميمنة الى الميسرة والميسرة الى الميمنة ودفع المؤخرة الى الامام وأرجع القلب الى المؤخرة. وهو بهذه الحركات التي عملها والضجة التي افتعلها قد أوهم العدو أن مدداً قد وصل اليه. ثم قام بانسحاب منظم وعميق للمشاة ليلاً تحت غطاء غارات نفذها بفرسانه في عماية الصبح حيث فاجأ بها العدو المطمئن الى التفوق وسلامة النتيجة.

أما ما يقوله المؤرخون من أن خالداً انما غير ترتيب قواته وخاض بها قتالاً ليوم آخر فاجأ به العدو في التكتيك فانني أعتقد أن قائداً بعقلية خالد بن الوليد لا يجازف في قتال يوم آخر والوقت يعمل لغير صالحه فهو في حاجة الى كسب الوقت لقطع التماس مع العدو ليلاً وبسرعة دون أن يشتبك معه في معركة خاسرة. كما أن عدد شهداء المسلمين كان قليلاً جداً وهذا يدل على أن المعركة كانت لا تتجاوز بضع ساعات فقط وانها ربما تكون قد بدأت بعد الظهر وانتهت مع المساء.

٣ - الدروس المستفادة من معركة مؤتة

أ - ان التخطيط لقوة مؤتة كان أقرب الى اسلوب التخطيط لعمليات الاستطلاع بالقوة منها الى المعركة المتوازنة (الحقيقية).

ب - كانت هذه القوة تنفذ مهمة مزدوجة ظاهرها تأديب القبائل العربية المتاخمة للحدود والتي تشكل الحاجز الأمني للامبراطورية الرومانية وباطنها الاستطلاع بالقوة لاختراق ذلك الحاجز الأمني المتمثل في عرب الغساسنة.

جـ - كان قرار المسلمين بخوض معركة مواجهة حقيقية مع جيوش الرومان لا يخلو من المغامرة التي كون فيها عامل النجاح ضئيلاً بمقياس عوامل الربح والخسارة في ساحات القتال.

د - إن عنصر المعلومات كان ضعيفاً لدى المسلمين فلم يتمكنوا من تقدير قوات العدو المحتشدة امامهم.

هـ - **المفاجأة والخدعة**. لقد استفاد كلا الطرفين من عامل المفاجأة حيث فاجأ الروم المسلمين بحشد كبير لم يكن متوقعاً قيل انه وصل الى مئة الف جندي في بعض الروايات بينما فاجأ خالد بن الوليد الجيش الروماني بخطة انسحاب غير متوقعة حيث أوهم عدوه أن مدداً جديداً قد وصل اليه ليلاً كما اتبع ذلك بغارات فرسانه على الروم مع عماية الصبح بينما كانت مشاة المسلمين قد انسحبت بعيداً داخل الصحراء.

و - نفذ خالد بن الوليد خطته في الانسحاب معتمداً اسلوب تراجع المشاه تحت غطاء من الليل وغارات الفرسان.

ز - الجرأة في اتخاذ القرار وتنفيذه من قبل خالد بن الوليد كان على غاية كبيرة من الحكمة والعبقرية العسكرية المبكرة.

جيش أسامه بن زيد

١ . ذكر (ابن سعد) في كتابه (الطبقات الكبرى) خبراً عن سرية (اسامة بن زيد بن حارثه) فقال:[١]

(لمّا كان يوم الاثنين لأربع ليالي بقين من صفر سنة احدى عشرة للهجرة أمر الرسول ﷺ الناس بالتهيؤ لغزو الروم.فلما كان من الغد دعا (أسامة بن زيد) فقال: (سر الى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغر صباحاً على (أهل أُبْنىٰ) وحرّق عليهم وأسرع السير تسبق الأخبار فإن ظفّرك الله فأقلل اللّبث فيهم،وخذ معك الأدلاء وقدّم العيون والطلائع أمامك). فلما كان يوم الأربعاء حُمّ رسول الله وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد (لأسامة) لواءً بيده ثم قال: (اغز بسم الله في سبيل الله فقاتل من كفر بالله). فخرج بلوائه معقوداً فدفعه الى (بريده بن الحصيب الاسلمي) وعسكر بالجرف فلم يبق احد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار الا انتدب في تلك الغزوة بمن فيهم ابو بكر وعمر وابو عبيدة وسعد بن ابي وقاص وغيرهم كثير من صحابة رسول الله ﷺ . فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين! فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً فخرج وقد عصب على رأسه عصابة ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد أيهاالناس فمامقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري (اسامة) ولئن طعنتم في امارتي (أسامة) لقد طعنتم في امارتي أباه من قبله وأيم الله إن كان للأمارة لخليفاً وان ابنه من بعده لخليق للأمارة وإن كان لمن أحب الناس اليّ وانهما لمخيلان لكل خير واستوصوا به خيرا فانه من خياركم) ثم نزل فدخل بيته وذلك يوم السبت لعشرٍ خلون من ربيع الأول. وثقل المرض على رسول الله ﷺ فجعل يقول: (أنفذوا بعث اسامة) فلما كان يوم الأحد دخل اسامة من معسكره والنبيّ على فراش الموت فطأطأ (اسامة) رأسه فقبّله الرسول ﷺ لا يتكلم ثم أخذ يرفع يديه الى السماء ويضعها على اسامة، قال: فعرفت انه يدعو لي.

وقد توفي الرسول ﷺ حين زاغت الشمس يوم الاثنين لأثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول.فعاد المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل (بريدة بن الحصيب) بلواء (اسامة) معقوداً حتى أتى به باب رسول الله ﷺ فغرزه عنده، فلما بويع ابو بكر أمر (بريده بن الحصيب) باللواء الى بيت (اسامة) ليمضي لوجهه فمضى به بريدة الى معسكرهم الأول، فلما ارتدت العرب كُلّم ابو بكر في حبس (اسامة) أي منعه من السفر فأبى ثم كلم ابو بكر (اسامة) في عمر ان يأذن له بالتخلف ففعل فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة خرج (اسامة) فسار الى أهل (أبنىٰ) عشرين ليلة

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، المجلد الثاني، دار صادر بيروت، ص ١٨٩ ـ ١٩٢

فشنّ عليهم الغارة فقتل من أشرف له وسبى من قدر عليه وحرّق في طوائفها بالنار وأجال الخيل في عرصاتهم وكان (اسامة) على فرس أبيه(سبحه) فلما امسى أمر الناس بالرحيل ثم أغذّ السير فوردوا وادي القرى في تسع ليال ثم قصد بعد ذلك في السير فسار الى المدينة ست ليالي وما اصيب من المسلمين أحد.

٢. روى سيف بن عمر عن هشام بن عروه عن ابيه قال:[١]

(لما بويع أبو بكر وجمع الأنصار في الأمر الذي افترقوا فيه قال: ليتمّ بعث اسامة وقد ارتدت العرب اما عامة، واما خاصة في كل قبيلة ونجم النفاق والمسلمون كالغنم المطيّرة في الليلة الشاتية لفقد نبيّهم ﷺ وقلتهم وكثرة عدوهم فقال له الناس: إن هؤلاء جلّ المسلمين والعرب على ما ترى قد انتفضت بك وليس ينبغي لك أن تفرق عنك جماعة المسلمين فقال: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لانفذت بعث (اسامة) كما أمر به رسول الله ﷺ ولو لم يبق في القرى غيري لانفذته).

وأضاف سيف بن عمر في روايته يقول: (ان ابا بكر لمّا صمم على تجهيز جيش أسامة قال بعض الأنصار لعمر بن الخطاب: قل له: فليؤمّر علينا غير (اسامة) فذكر له عمر ذلك فقال: إنه أخذ بلحيته وقال: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب أؤمّر غير أمير رسول الله ﷺ ثم نهض بنفسه الى منطقة (الجرف) فاستعرض جيش (اسامة) وأمرهم بالمسير وسار معهم ماشياً و(اسامة) راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود براحلة الصدّيق فقال اسامة: يا خليفة رسول الله: إما أن تركب وامّا ان انزل فقال: والله لست بنازل ولستُ براكب، ثم استطلق الصدّيق من اسامة (عمر بن الخطاب) وكان مكتتباً في جيشه فأطلقه له فلهذا كان عمر لا يلقاه بعد ذلك الا قال: السلام عليك ايها الأمير).

كما ذكر ابن كثير رواية أخرى عن أبي هريرة (رضي الله عنه) جاء فيها:

(ان رسول الله ﷺ وجّه (اسامة بن زيد) في سبعماية الى الشام فلما نزل (بذي خشب) قبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب حول المدينة فاجتمع اليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر رُدّ هؤلاء، أتوجّه هؤلاء الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟ فقال: والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل ازواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله ولا حللت لواءً عقده رسول الله ﷺ فوجّه (اسامة) فجعل لا يمرّ بقبيل يريدون الارتداد الا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوه ما خرج مثل هؤلاء من عندهم ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الأسلام).

٣. يتبيّن من الروايات الثلاث أنّ العقيدة الأسلامية كانت بعد وفاة المصطفى ﷺ أرسخ ما تكون في نفس خليفته ابي بكر وأن هذا الخليفة الحليم الوديع الذي كان يحلب

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السادس، الطبعة السادسة، مكتبة المعارف ببيروت ١٩٨٨، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥

الشياه لجيرانه أثبت بعد وفاة المصطفى ﷺ أنه أصلب عوداً وأقسى في مواجهة الشدائد والنوازل من كلّ ما عداه من صحابة رسول الله ﷺ.فلقد التزم بتوجيه رسول الله ﷺ في ارسال جيش (اسامة) كما رفض النزول عند رغبة الأنصار بتبديل قائد الجيش عندما اعترضت مع رغبة المصطفى ﷺ كما دلّتْ هذه الروايات على مدى الحكمة والفائدة في تنفيذ ارسال جيش اسامة وذلك في ثبات القبائل العربية التي مرّ بها ذلك الجيش على دينها.



استراتيجية الفتح الاسلامي

١ . **مقدمة**: لا بد لكل أمة من الامم أن يكون لها رؤيا معينة تتحدد من خلالها شخصيتها أو تحافظ بها على وجودها، والامة الاسلامية بدأت برجل واحد ثم أخذت تنمو وتتسع حتى أصبحت امبراطورية عظيمة أضفت بجناحيها على أقاصي الشرق والغرب وحطمت أعظم امبراطوريتين في ذلك الزمن هما امبراطوريتا فارس والروم.

وما من أحد يجهل كيف بدأت الدعوة الاسلامية في مكة وكيف كان رجالها مضطهدين معذبين، ثم كيف هاجر أصحابها الى المدينة وأقاموا فيها نواة دولتهم التي شملت الجزيرة العربية كلها في حياة الرسول ﷺ أما بعد وفاته فقد. اتجهت نحو العراق والشام ومصر حتى وصلت الى المحيط الاطلسي غربا ثم عبرت مضيق جبل طارق الى أوروبا وفتحت بلاد الاندلس، أما باتجاه الشرق فقد وصلت بلاد الهند والسند.

ولا بد لهذه الامة التي وصلت الى ما وصلت اليه من العظمة والسلطان وهذا التوسع والامتداد وهي التي بدأت برجل واحد بلغ قومه العرب أنه رسول الله الى العالمين وأنه خاتم الانبياء والمرسلين يأتيه وحي السماء لكي يبلغه الى عباد الله في الارض، لا بد أن يكون لهذه الامة شخصية معينة ورؤيا واضحة والا فلا يمكن لها أن ترتقي مثل هذا الارتقاء الفريد أو تنمو وتتعاظم مثل هذا النمو وهذه العظمة.

فالامة الاسلامية قامت على أساس الدعوة الى الله وعلى يدي محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه حيث بدأ بعشيرته الاقربين ثم أهل مكة بعد ذلك، ثم أذن له الله بالهجرة الى يثرب وفيها بدأ بتأسيس المجتمع الاسلامي (نواة الدولة) وبعد ان تكامل بناء هذا المجتمع الصغير أخذ يتوجه الى القبائل العربية المجاورة حتى أتم الله على يديه فتح شبه الجزيرة العربية كلها والتي أصبحت فيما بعد قاعدة للدعوة ومنطلقا لحركة الفتح الاسلامي.

٢ . **استراتيجية الفتوحات الاسلامية في عهد أبي بكر وعمر بن الخطاب**. لا نستطيع أن نناقش استراتيجية الفتوحات الاسلاميةالا اذاتكونت لدينا فكرة عن طبيعة القرار الاستراتيجي حسب مفهوم الخلافة الاسلامية.

واذا كانت الخلافة قد بدأت بأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) فان هذا الخليفة وبمساعدة مستشاريه هوالذي رسم تلك الاستراتيجية أو حدد معالمها سواء ما كان منها منسجما مع روح الدعوة الاسلامية أو ما غلب عليه طابع الابداع والاجتهاد[1].

أما الذي كان منسجما مع طبيعة الدعوة فهو ما يتعلق بالعرب لان هذه الدعوة يجب أن تبلغ اليهم أولا وعلى ضوء هذا المفهوم أصدر أبو بكر قراره الاستراتيجي الاول باعلان الحرب ضد المرتدين في شبه الجزيرة العربية لكي يجعل منها قاعدة متينة تنطلق منها جيوش الفتح الاسلامي الى العرب خارج جزيرتهم لكي تتمكن هذه الجيوش من نقلها بعد ذلك الى بقية الأمم والشعوب ولهذا نجده بعد ان تمكن من اعادة الامن والنظام الى ربوعها يصدر قراره الاستراتيجي الثاني باعلان الحرب ضد امبراطورية فارس لكي يضمن انتشار الاسلام بين القبائل العربية التي كانت تدين بالولاء للفرس في العراق، ثم يصدر بعد ذلك قراره الاستراتيجي الثالث باعلان الحرب ضد امبراطورية الروم لكي يضمن انتشار الاسلام بين القبائل العربية التي كانت تدين بالولاء للامبراطورية الرومانية في بلاد الشام ومصر.

وأما الذي غلب عليه طابع الاجتهاد والابداع فقد كان متعلقا بالاولوية التي تفرضها عوامل الضرورة الملحة للفتح أو الترتيبات الامنية اللازمة لحركة الجيوش الاسلامية.

فليس من المنطق مثلا أن يصدر أبو بكر قرارا استراتيجيا باعلان الحرب ضد الفرس أو الروم في الوقت الذي كانت فيه رياح المرتدين تهب على الخلافة الاسلامية حتى لكأنها كادت أن تعصف بها وتقتلعها من جذورها.

فحينما كان المنطق الاستراتيجي يستدعي القضاء على حركة المرتدين لتأمين سلامة قاعدة الدولة فان قرار الخليفة ذلك قد جاء كأولوية أولى على بقية القرارات والأعمال وعندما استوجبت مستلزمات السلامة العامة اثناء حركة الجيوش الى الشام من الخليفة أن يوفر لها حماية جناحها الشرقي على طول نهر الفرات لهذا فقد جاء قرار الخليفة باعلان الحرب ضد الفرس سابقاً لقراره في محاربة الرومان.

وفي الوقت الذي ضمن فيه الخليفة سلامة الشواطيء الغربية على طول نهر الفرات وانتشار الاسلام بين القبائل العربية التي كانت موالية للفرس فقد أصدر أوامره بالتحرك نحو بلاد الشام لكي يؤمن انتشار الاسلام بين تلك القبائل العربية الموالية للروم فيها قبل انتشاره بين القبائل العربية الموالية للروم في مصر وشمال افريقيا وذلك لان حركة الجيوش الى مصر وشمال أفريقيا تستوجب اتخاذ ترتيبات أمنية خاصة في بلاد الشام تمنع الروم في تلك المنطقة من عزلها عن قاعدتها الاصلية في شبه الجزيرة العربية.

---

(١) عباس محمود العقاد/ العبقريات الاسلامية/ عبقرية الصديق/ ص ٨٧.

واذا كان بعض المحللين العسكريين يذهب الى حد انتقاد قرار الخليفة أبي بكر في توقيت اعلان الحرب ضد الروم زاعما أن سقوط «المدائن» عاصمة الامبراطورية الفارسية كان «قاب قوسين أو أدنى» بعد أن نجح خالد بن الوليد في احتلال الحيرة، فان أولئك المحللين قد جهلوا طبيعة الدعوة الاسلامية التي جاءت بتكليف الهي للعرب على يد رسول عربي اصطفاه الله من خيرتهم وأنزل اليهم كتاباً سماوياً بلغتهم العربية ودعاهم لقراءته واستيعابه واعتناقه ثم نقله بعد ذلك الى غيرهم من الأمم والشعوب ولهذا فقد كان التكليف الألهي للمصطفى أن يبدأ اولاً بعشيرته في مكه (وأنذر عشيرتك الأقربين) ثم ينتقل بعذ ذلك الى القبائل العربية الأخرى داخل شبة الجزيرة وخارجها فالعرب هم المدعوون أولاً للايمان بهذه الدعوة وهم المكلفون ثانياً بنقلها الى سائر امم الأرض واقطارها فالدعوة يجب ان تنتشر بينهم قبل غيرهم ولهذا لا يجوز ان تنتقل الى داخل بلاد فارس قبل أن تنتشر بين عرب الشام ومصر، وهكذا جاءت قرارات أبي بكر الاستراتيجية في أوانها المطلوب لانها كانت متناسقة مع روح الدعوة أما لماذا بدأ بالعراق قبل بلاد الشام فذلك أمر تستدعيه الضرورات الامنية لحركة الجيوش المتوجهة الى ساحات القتال وقد جاءت قرارات أبي بكر في ذلك أيضا على المستوى الاستراتيجي المطلوب.

وبعد وفاة أبي بكر تولى الخلافة عمر بن الخطاب وكانت قراراته أيضاً استمرارا لقرارات أبي بكر فكانت في عهده معركة اليرموك في اغسطس سنة ٦٣٦م الموافق ١٥ هجرية[1].

ثم كان بعد ذلك فتح مصر على يد عمرو بن العاص عام ٦٣٧م ومعركة القادسية (١٣ شعبان ١٥هـ الموافق ١٩ أيلول ٦٣٧م)

ثم اتخذت الفتوحات الاسلامية مسارين متعاكسين أحدهما اتجه غربا الى ليبيا وتونس والجزائر ومراكش (بلاد البربر) والاخر اتجه شرقا نحو بخارى وسمرقند.

٣. **استراتيجية الفتح الاسلامي في عهد الدولة الاموية**: أما الدولة الاموية فقد أمعنت في الاتجاه شرقا حتى فتحت بلاد الهند والسند بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي ومحمد بن القاسم[2] كما أمعنت في الاتجاه غربا بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد[3] حيث عبر المضيق الذي يفصل بين اسبانيا ومراكش على البحر الابيض والذي عرف باسمه فيما بعد وقد نجح هذان القائدان في فتح بلاد الاندلس.

وقد حاول الامويون الاتجاه شمالا نحو القسطنطينية [4] (البوابة الشرقية

(٢) (١) السيوطي/ تاريخ الخلفاء/ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد/ ص ١٣١ وكذلك الدكتور السيد الباز العريني/ الدولة البيزنطية/ دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت/ ص ١٣٥.

(٢) محمد الخضري بيك/ محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ـ الدولة الأموية/ الجزء الثاني/ المكتبة التجارية الكبرى بمصر/ ص ١٧٠ ـ ١٧٢.

(٣) دكتور عبد العزيز سالم/ تاريخ الدولة العربية/ دار النهضة العربية بيروت/ ص ٦٤٣ ـ ٦٤٥ وكذلك محمود شيت خطاب/ قادة فتح المغرب العربي/ الجزء الأول/ دار الفكر للطباعة والنشر/ ص ٢٤٣ ـ ٢٧٥.

(٤) دكتور حسن ابراهيم حسن/ تاريخ الاسلام/ الجزء الأول/ دار الأندلس بيروت/ الطبعة السابعة/ ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

لاوروبا) لوضع القارة الاوروبية بين فكي الكماشــة الاسلاميــة ودخولهـا من الجهـ الشرقية بعد أن نجحوا في دخولها من الجهة الغربية ولكنهم فشلوا في ذلك رغم المحاولات المتكررة كما بنى الامويون اسطولا بحريا تمكنوا بواسطته فتح جزيرة قبرص وغيرها من الجزر الساحلية الغربية وأصبح البحر الابيض المتوســط في زمن الدولة الامويــة والعباسية فيما بعد بحيرة اسلامية.

يتبين من خلال ما تقدم أن استراتيجية الفتوحات الاسلامية قامت بالدرجة الاولى على الدعوة الاسلامية كرسالة دينية للبشر كافة نزلت على رسول من العرب باللغة العربية وقد كلفوا بالايمان بها أولا ثم نشرها وتبليغها للامم والشعوب كافة.

وقد فهم الخلفاء الراشدون جوهر هذه الدعوة وحملوا رايتها ونشروها بين العرب أولا ثم قاموا بتبليغها للامم والشعوب المجاورة.

وكان الخليفة أبو بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ هو الذي أرسى استراتيجية الفتح الاسلامي على أسس ثابتة ومنسجمة مع روح الدعوة ومنطق الفتح ثم تلاه الفاروق (عمر بن الخطاب) فنهج المنهج نفسه وفتح بلاد الفرس والروم ومصر، ثم استمرت راية الفتح الاسلامي في التوجه شرقا وغربا حتى وصلت حدود الصين في أقاصي قارة آسيا شرقا والمحيط الاطلسي في أقاصي قارة أفريقيا غربا وعبرت تلك الراية في زمن الدولة الاموية مضيق جبل طارق الى بلاد الاندلس[1].

---

(١) دكتور حسن ابراهيم حسن/ تاريخ الاسلام/ الجزء الأول/ دار الأندلس للطباعة والنشر بيروت/ ص ٣١١ ـ ٣١٩.

القيادة الاسلامية
ومفهوم القرار الاستراتيجي

واجهت القيادة الاسلامية متمثلة في شخص ابي بكر بعد موت الرسول ﷺ موقفاً خطيراً كاد أن يعصف بها من اركانها، ولهذا جاء قرار أبي بكر خطيراً أيضاً وعلى المستوى الاستراتيجي المطلوب.

فماذا كان يمكن ان يحدث لولا أن قيض الله للخلافة رجلاً كأبي بكر رغم ما عهد عنه من الوداعة واللين بما اتخذه من قرارات تعتبر غاية في العنف والصلف العسكري عندما أصبح الموقف ومصلحة الدعوة الاسلامية لا تحتمل مثل هذه الوداعة والليونه.

ابو بكر الذي كان يحلب شياه جيرانه بيديه يخرج بنفسه على رأس قوة عسكرية لمقاتلة المرتدين من عبس وذبيان عندما قدموا لمقاتلته وفرض شروطهم عليه في المدينة.

وابو بكر يصدر قرار الحرب ويعلن النفير العام ويعقد أحد عشر لواءً لمقاتلة المرتدين، وعندما سأله عمر بن الخطاب كيف يقاتل من يشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله اجابه بثبات ووضوح قائلاً: (والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه).

قرار واضح لا لبس فيه ولا غموض، انه قرار اعلان الحرب ضد المرتدين في جميع ارجاء شبة الجزيرة العربية، ولا نستطيع ان ندرك خطورة هذا القرار الاستراتيجي وأبعاده الا اذا تفهمنا طبيعته والنتائج التي كان من الممكن ان تترتب عليه.

أما عن طبيعة هذا القرار فقد فهمه عمر بن الخطاب بأنه يمثل حرباً اهلية تتورط فيها الخلافة الاسلامية ويمكن ان تنسفها من جذورها ولذلك فقد كان عمر يخشى على الدعوة الاسلامية نتيجة هذه الحرب الاهلية المدمرة كما كان يخشى جريرتها من الناحيتين الانسانية والدينية وكان يرى مثل رأي عمر كثير من الصحابة الاجلاء.

أما الخليفة ابو بكر فقد كان ينظر للمسألة بمنظار آخر حيث كان يرى ان الجزيرة العربية هي القاعدة الرئيسية لحركة المد الاسلامي التي ستنتقل منها الى جميع ارجاء المعمورة، ولا بد لهذه القاعدة ان تكون راسخة وأمينة.

ولهذا خشي ابو بكر على الدعوة الاسلامية ان تنساح تحت رمال الصحراء العربية الساخنة سيما وقد أخذت رياح السموم تهب عليها من جميع جهاتها.

لذلك كان الموقف خطيراً وغاية في الخطورة كما كان أمام ابي بكر حل واحد يتمثل في تطهير اجواء الجزيرة العربية من هذه الرياح العاصفة التي أخذت تثيرها حركات المرتدين في كل مكان.

فاذا كان عمر بن الخطاب يرى في قرار ابي بكر الصديق حرباً أهلية يخشى خطرها على الدعوة الاسلامية فلقد كان ابو بكر يرى في قراره حرباً أمنية لازمة للمحافظة على الدعوة الاسلامية من الاخطار التي أخذت تضطرم بها من داخلها.

ولهذا قاد أبو بكر أول كتيبة عسكرية لمواجهة الخطر القادم الى المدينة من شمالها حيث اصبحت قبائل عبس وذبيان تهدد باحتلال المدينة وفرض شروطها على الخليفة، وقد فاجأهم الجيش الاسلامي بقيادة ابي بكر في عماية الصبح وانتصر عليهم.

وحركة الخليفة على رأس هذه الحملة العسكرية انما تعطي الدليل القاطع على حرصه الشديد وجديته الاكيده في تنفيذ قراره كما تضفي على القرار صبغة شرعية وترسم للمسلمين الثابتين على عقيدتهم ان مثل هذه الحرب الامنية تشكل ضرورة لازمة للمحافظة على العقيدة من الخطر الذي أخذ يتهددها.

تطور الحرب الامنية ضد حركة المرتدين

شملت حركة المرتدين معظم انحاء الجزيرة العربية باستثناء مكة والمدينة والذي يتابع حركة الجيوش العسكرية التي حشدها ابو بكر والمناطق التي توجهت اليها يجد ان هذه الجيوش قد نفذت عملية مسح شملت انحاء شبه الجزيرة العربية كافة.

حروب الردّه

١ - ارتداد القبائل العربية عن الاسلام

بعد ان انتقل الرسول ﷺ الى الرفيق الاعلى وسيّر أبو بكر جيش (اسامة) ارتدت معظم القبائل العربية الا قبيلتي قريش وثقيف واستعظم أمر (طليحه) في قبيلته بني أسد كما تبعته قبيلة (بني غطفان) وعلى رأسهم (عيينه بن حصن) حيث قال[١]

(نبيّ من الحليفين ـ يعني أسداً وغطفان ـ أحبّ الينا من نبيّ من قريش وقد مات محمد وطليحة حيّ) فاتّبعه ثم تبعته قبيلته بنو غطفان، كما انتشر خبر مسيلمة الكذاب في بني حنيفة ومالك بن نويره في بني تميم وسجاع بنت الحارث في تغلب.كما كان قد اشتهر قبل ذلك أمر الأسود العنسي في اليمن (وتسمى رحمان اليمن كما تسمى مسيلمة الكذاب رحمان اليمامة[٢])قبل وفاة الرسول ﷺ حيث قتله رجل يقال له (فيروز).وقد اخبر الرسول ﷺ الصحابة عن مقتل (الأسود العنسي) جاء ذلك في رواية اوردها ابن الأثير[٣].

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، تحقيق ابي الفداء عبد الله القاضي، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧ ص ٢٠٥.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣، ص ١١٣

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السادس، الطبعة السادسة، مكتبة المعارف بيروت ١٩٨٨ ص ٣١٠

(أتى الخبر الى النبي ﷺ من السماء الليلة التي قتل فيها العنسي ليبشّرنا فقال: قتل العنسي البارحة قتلة رجل مبارك من اهل بيت مباركين قيل: ومن؟ قال: فيروز فيروز، وقد قيل: ان مدة ملكه منذ ظهر الى ان قتل ثلاثة أشهر ويقال أربعة أشهر) واضاف ابن كثير في كتابه البداية والنهاية يقول:

(واما أهل اليمن فقد قدّمنا ان الأسود العنسي لعنه الله لما نبغ باليمن أضل خلقاً كثيرا من ضعفاء العقول والاديان حتى ارتدّ كثير منهم أو اكثرهم عن الاسلام وأنه لما قتله الأمراء الثلاثة (قيس بن مكشوح، فيروز الديلمي، داذويه) ولما بلغهم موت رسول الله ﷺ ازداد بعض اهل اليمن فيما كانوا فيه من الحيرة والشك وطمع (قيس بن مكشوح) في الأمرة باليمن فعمل لذلك وارتد عن الأسلام وتابعه عوام أهل اليمن وكتب الصدّيق الى الأمراء والرؤساء من أهل اليمن ان يكونوا عوناً الى (فيروز) على (قيس بن مكشوح) حتى تأتيهم جنوده سريعاً، وحرص (قيس) على قتل الأميرين الأخيرين فلم يقدر إلا على (داذويه) وأحترز منه (فيروز الديلمي) وقد اقتتل الأميران (فيروز وقيس) قتالا شديداً حيث انتصر (فيروز) وانهزم (قيس) وأسر هو وعمرو بن معدي كرب الذي كان قد ارتد وتابع (قيس بن مكشوح) في ردّته عن الاسلام. وقد جاءت وفود القبائل المرتدة الى المدينة تعرض على الخليفة (أن يقيموا الصلاة وعلى أن لا يؤتوا الزكاة فعزم الله لأبي بكر على الحق وقال: لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه فرجع وفد من يلي المدينة من المرتدّة اليهم فأخبروا عشائرهم بقلة أهل المدينة واطعموهم فيها)[١].

٢ ـ الاستعداد لحماية المدينة ومواجهة القبائل العربية المرتدّه حولها

ذكر ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) [٢]

(وفي جمادى الآخرة ركب الصديق في أهل المدينة وامراء الأنقاب الى منْ حول المدينة من الأعراب الذين أغاروا عليها فلما تواجه هو واعداؤه من (بني عبس وبني مرّه وذبيان) ومن ناصب معهم من (بني كنانه) وأمدّهم (طليحة) بابنه (حبال) فلما تواجه القوم كانوا قد صنعوا مكيده وهي انهم عمدوا الى (أنحاء) فنفخوها ثم ارسلوها من رؤوس الجبال فلما رأتها إبل أصحاب الصدّيق نفرت وذهبت كل مذهب فلم يملكوا من أمرها شيئاً الى الليل وحتى رجعت الى المدينة، فلما وقع ما وقع ظنّ القوم بالمسلمين الوهن وبعثوا الى عشائرهم فاجتمعوا وبات أبو بكر قائماً ليله يعبيء الناس ثم خرج على تعبئة من آخر الليل وعلى ميمنته (النعمان بن مقرن) وعلى الميسرة أخوه (عبد الله بن مقرن) وعلى الساقه أخوهما (سويد بن مقرن) فما طلع الفجر الا وهم والعدو في صعيد واحد وما

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، الجزء الثالث، دار القاموس الحديث، بيروت ص ٢٢٣

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السادس، ص ٣١٣ ـ ٣١٤

سمعوا للمسلمين حساً ولا همسا حتى وضعوا فيهم السيوف فما طلعت الشمس حتى ولّوهم الأدبار وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتل (حبال بن طليحة الاسدي) واتبعهم ابو بكر حتى نزل (بذي القصّه) وكان أول الفتح، ثم وثب (بنو ذبيان وعبس) على من فيهم من المسلمين فقتلوهم وفعل مَنْ وراءهم كفعلهم فحلف ابو بكر ليقتلنّ من كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين ثم خرج في تعبئة الى (ذي حسى وذي القصّه) حتى نزل على (أهل الربذه بالأبرق) وهناك جماعة من (بني عبس وذبيان) وطائفة من (بني كنانه) فاقتتلوا فهزم الله (الحارث وعوفاً) وأخذ الحطيئة أسيراً فطارت (بنو عبس وبنو بكر) وأقام (ابو بكر على (الابرق) أياما وقد غلب (بني ذبيان) على البلاد ولما فرّت (عبس وذبيان) صاروا الى مؤازرة (طليحة) وهو نازل على (بزاخه).

٣ - محاربة المرتدين والقضاء على حركة الأرتداد

ورد في تاريخ ابن خلدون[١]:

(لما قدم اسامة ببعث الشام على أبي بكر استخلفه على المدينة ومضى الى (الربذه) فهزم (بني عبس وذبيان وكنانه) (بالأبرق) ورجع الى المدينة حتى اذا استجمّ جند (اسامة) وثاب مَنْ حوالي المدينة خرج الى (ذي القصّه على بريدٍ من تلقاء (نجد) فعقد فيها أحد عشر لواءً لقتال اهل الردّه وأمر كل واحد باستنفار من يليه من المسلمين من كل قبيله، فعقد لخالد بن الوليد وأمره (بطليحه) ثم (بمالك بن نويره بالبطاح)، وعقد لعكرمة بن ابي جهل وأمره (بمسيلمة الكذاب باليمامه) ثم اردفه بشرحبيل بن حسنه وقال له اذا فرغت من اليمامة فسر لقتال (قضاعة ثم تمضي الى (كنده بحضرموت) وعقد لخالد بن سعيد بن العاص وبعثه الى مشارف الشام وعقد لعمرو بن العاص وبعثه لقتال المرتده من (قضاعه) وعقد لحذيفه بن محصن وأمره بمقاتلة المرتده من اهل (دبا) كما عقد لعرفجه بن هرتمه وأمره بمقاتلة المرتدة من اهل (مهره) وعقد لطريفه بن حاجز فبعثه الى (بني سليم) ومن معهم من (هوازن) وعقد لسويد بن مقرن وبعثه الى (تهامه باليمن) وعقد للعلاء بن الحضرمي وبعثه الى البحرين) ولم يذكر ابن خلدون في تاريخه أن أبا بكر قد عقد أيضاً للمهاجر بن أمية حيث بعثه لمقاتلة قيس بن مكشوح ومن تبعه من المرتدين في اليمن حيث روى ان أبا بكر قد عقد احد عشر لواءً لمحاربة المرتدين وذكر اسماء عشرة منهم فقط.

أما ابن الأثير فقد روى في كتابه (الكامل في التلريخ) أن ابا بكر قد عقد احد عشر

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد الثاني، بقية الجزء الثاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ١٩٧٩، ص ٦٩

لواءً لمحاربة المرتدين واستعرض اسماءهم ولكنه ذكر ان ابا بكر قد عقد لواءً (لمعن بن جابر) وأمره (ببني سليم ومن معهم من هوزان)[1].

وأما الطبري فقد روى في كتابه (تاريخ الأمم والملوك)[2] أن ابا بكر قد عقد لمحاربة المرتدين احد عشر لواء ذكر من بينهم (طريفه بن حاجز) وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن.

وذكر ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية)[3] أن ابا بكر قد عقد أحد عشر لواءً لمحاربة المرتدين وأورد منهم (طرفه بن حاجب) وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن.

٤ ـ حركة الجيوش واهدافها

أ ـ **الجيش الأول**: وقد عقد الخليفة (ابو بكر) لواءه الى خالد بن الوليد حيث قال[4]:

(سمعت رسول الله ﷺ يقول: نِعْم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيفٌ من سيوف الله سلّه على الكفار والمنافقين). وأمره أن يتوجه الى (طليحة الأسدي) في منطقة (بزاخه) حيث تبعه في ردّته إضافةً لقبيلته بني أسد كذلك قبائل (غطفان وعبس وذبيان وطيء وبني جديله)، ثم يذهب بعد ذلك الى بنى تميم.

وكان أبو بكر قد بعث (عدي بن حاتم) الى قومه (بني طيء) وقال له: ادرك قومك لا يلحقوا بطليحة فيكون دمارهم، فذهب (عدي) الى قومه فأمرهم أن يبايعوا الصدّيق وان يراجعوا أمر الله ولم يزل بهم (عديّ) حتى لانوا، ومال خالد بن الوليد الى قبيلة (طيء) فخرج اليه (عديّ) وقال له: انظرني ثلاثة أيام فانهم قد استنظروني، حتى يبعثوا الى من تعجل منهم الى طليحة حتى يرجعوا اليهم فانهم يخشون إن تابعوك أن يقتل طليحة من سار اليه منهم فلما كان بعد ثلاث جاءه (عديّ) في خمسماية مقاتل فانضموا الى جيشه، وتوجه خالد بعد ذلك الى (بني جديله) فقال له عديّ: يا خالد، أجّلني أياماً حتى آتيهم فلعل الله أن ينقذهم كما أنقذ طيئا) فأتاهم (عديّ) فلم يـزل بهم حتى تابعـوه وجاء (عديّ) الى خالد ومعه ألف راكب منهم فكان (عديّ) خير مولود واعظمه بركة على قومه، ثم سار خالد متوجهاً الى (طليحة) ونزل أرض (أجأ وسلمى) وعبأ جيشه هناك والتقى مع طليحة الأسدي في مكان يقال له (بُزاخه) ووقفت أحياء كثيرة من الأعراب ينظرون على من تكون الدائرة (وكان مع (طليحة) عيينة بن حصن في سبعماية رجل من قومه بني

---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثاني، ص ٢٠٨

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الثالث، ص ٢٢٥

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السادس، ص ٣١٥

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السادس، ص ٣١٦ ـ ٣١٧

فزاره من غطفان واصطف الطرفان للقتال وجلس طليحة ملتفاً في كساء له يتنبأ لهم وينظر ما يوحي اليه فيما يزعم وجعل (عيينه) يقاتل ما يقاتل ثم إذا ضجر من القتال يأتي الى (طليحة) فيسأله: هل جاءك جبريل؟ فيقول طليحة: لا فيعود للقتال حتى إذا جاءه للمرة الثالثة وسأله أجاب: نعم فقال له (عيينه) فما قال لك؟ فأجابه (طليحة) قال لي: إن لك رحاءً كرحاه وحديثاً لا تنساه فقال عيينه: أظن أن قد علم الله سيكون لك حديث لا تنساه، ثم قال: يا بني فزاره انصرفوا فإنه رجل كذاب فانهزم عيينه وانهزم الناس في أثره فركبَ (طليحة) فرسه واركب امرأته على بعير له ثم انهزم بها الى الشام فتفرق جمعه)[١] فلما اوقع الله (بطليحة) وقومه ومن تبعهم من القبائل الاخرى عادت قبائل بني عامر وسليم وهوازن الى الاسلام وقد كانت ترقب نتيجة المعركة.

أما المهمة الثانية لخالد بن الوليد فقد كانت التوجه الى بني تميم وكان زعيمهم (مالك بن نويرة) قد تبع (سجاح بنت الحارث) التغلبية النصرانية التي ادّعت النبوة ثم ندم على ما كان من أمره ولكنه بقي في حالة من الشك والحيرة حتى جاءه خالد بن الوليد وكان مقيماً في أرض يقال لها (البطاح) وعندما وصل خالد الى (البطاح) لم يجد جيشاً بانتظاره فوزع السرايا واستقبله أمراء بني تميم بالسمع والطاعة وقدموا الزكاة الا (مالك بن نويره) فقد جيء به اسيراً الى خالد مع نفر من بني (ثعلبة بن بربوع) ولما كانت تلك الليلة شديدة البروده نادى منادي خالد: أن أدفئوا أسراكم، فظن القوم أنه أراد بهم القتل على لغة (كنانة) فبادر (ضرار بن الأزور) بقتلهم وكان كنانياً.

وروى ابن خلدون[٢]: (أنه لما جاءت السرايا (بمالك بن نويره) ومن معه من بني (ثعلبة بن بربوع) حاوره خالد في أمر ردّته عن الاسلام فكان (مالك) يجيبه: (فعل صاحبكم، شأن صاحبكم) فقال له خالد: أو ليس لك بصاحب؟ ثم قتله واصحابه كلهم)، ثم تزوج خالد بامرأة (مالك بن نويره).

وروى ابن كثير[٣]: (أن أبا قتاده قد تكلم مع خالد بن الوليد فيما صنع (بمالك بن نويره) وتقاولا في ذلك حتى ذهب ابو قتاده الى المدينة وشكاه الى الصدّيق، وأن عمر بن الخطاب قد تكلم مع الصدّيق في شأن ما صنعه خالد مع (مالك بن نويره) وأشار على أبي بكر بعزله قائلا: اعزله فإن في سيفه رهقاً، فقال أبو بكر: لا اشيم سيفاً سلّه الله على الكفار).

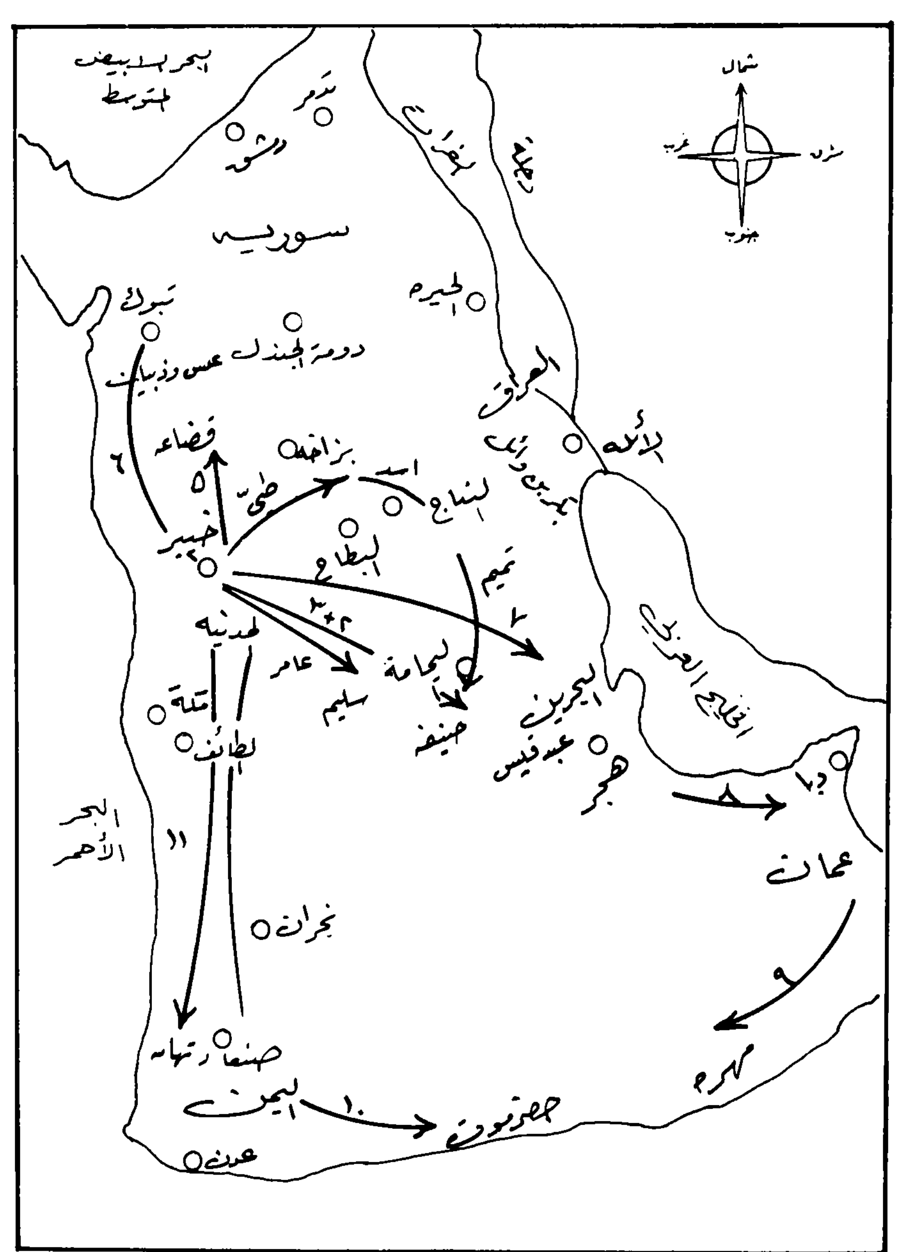
---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣، ص ١٠٥

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد الثاني، بقية الجزء الثاني، ص ٧٣ ـ ٧٤

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، المجلد السادس، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣

حركة الجيوش الإسلامية في مواجهة المرتدين



ب - **الجيشان الثاني والثالث**. عقد ابو بكر لواءً الى (عكرمة ابن ابي جهل) وأمره أن يتوجه الى (مسليمة الكذاب) باليمامة كما عقد لواءً آخر الى (شرحبيل بن حسنة) وأمره أن يتبع عكرمة. فتعجّل (عكرمة) قبل أن يصله (شرحبيل) وقاتل (مسيلمة) فنكبوه وهزموه فكتب (عكرمة) الى ابي بكر بالذي جرى معه فقال له ابو بكر:[1] لا ترجع الى المدينة فتوهن الناس امض الى (حذيفة وعرفجه) فقاتل معهما اهل (عُمان ومهره) وان شغلا فامض الى (المهاجر بن أمية) وقاتل معه المرتدّين في اليمن.

فلما قدم خالد الى المدينة بطلب من ابي بكر لمساءلته حول قضية مقتل (مالك بن نويره) وبعد أن رضي عنه أبو بكر وقبل عذره وجهّه الى (مسليمة الكذاب) باليمامة وكتب الى شرحبيل (أن يمضي الى خالد فإذا فرغتم فامض أنت الى قضاعة فكن مع عمرو بن العاص على من ارتدّ منهم)[2].

وعجّل (شرحبيل بن حسنة ففعل فعل عكرمة وبادر الى قتال (مسيلمة) قبل وصول خالد إليه فنكب فحاجز فلما قدم عليه خالد بن الوليد لامه على تعجله)[3].

وكان مع مسيلمة (نهار الرجّال بن عنفوه) وكان قد هاجر الى النبيّ (ﷺ) وقرأ القرآن وفُقّه في الدين وبعثه معلماً لأهل اليمامة وليشغب على (مسيلمة) وليشدد من امر المسلمين فكان أعظم فتنةً على بني حنيفة من (مسيلمة) حيث شهد له أن محمداً (ﷺ) يقول: ان مسيلمة قد اشرك معه) فصدقوه واستجابوا له.

ولما بلغ مسيلمة دنوّ خالد ضرب عسكره (بعقرباء) فخرج اليه (مجاعه بن مراره) من بني حنيفة يطلب ثأراً لهم في بني عامر فأخذ المسلمون اصحابه فقتلهم خالد واستبقاه لشرفه في (بني حنيفة) وجعله أسيراً في خيمته مع زوجه (أم تميم في فسطاطها) ثم بدأ القتال وكانت راية المهاجرين مع (سالم مولى أبي حذيفة) وكانت راية الأنصار مع (ثابت بن قيس بن شماس) وكانت العرب على راياتهم وكان أول القتلى (نهار الرجّال) قتله (زيد بن الخطاب) وكانت المعركة حامية الوطيس نجح في بدايتها (بنو حنيفة) اتباع مسيلمة الكذاب ووصلوا الى (فسطاط خالد) وكادوا ان يأخذوا زوجته (أم تميم) أسيرة فنهاهم عن ذلك (مجاعه) وقال: (أنا لها جار فنعمت الحرّة فتركوها وقال لهم: عليكم بالرجال فقطعوا الفسطاط)[4]

وكانت المعركة تارة للمسلمين وتارةً للكافرين وكثر عدد القتلى في الفريقين وأدرك

---

(١) الطبري/ تاريخ الامم والملوك/ الجزء الثالث/ ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.
(٢) ابن خلدون/ تاريخ ابن خلدون/ المجلد الثاني/ بقية الجزئه الثاني/ ص ٧٤.
(٣) ابن الاثير/ الكامل في التاريخ/ المجلد الثاني/ ص ٢١٩.
(٤) ابن الاثير/ الكامل في التاريخ / المجلد الثاني/ ص ٢٢٠ ـ ٢٢١

خالد أن المعركة لا تنتهي الا بقتل (مسيلمة الكذاب) ثم تقدم خالد ودعا الى المبارزة ونادى بشعار المسلمين (يا محمداه) وكان لا يخرج اليه أحد من بني حنيفة الا وقتله ثم دعا خالد (مسيلمة) فأجابه فعرض عليه أشياء فلم يقبل فبارزه فهرب (مسيلمة) وركبه خالد فأدبر (مسيلمة) وزال عنه أصحابه وصاح خالد في المسلمين: دونكم دونكم عدوكم فلا تقيلوهم فركبوهم وكانت هزيمتهم. ثم قال بنو حنيفة لمسيلمة: أين ما كنت تعدنا؟ فقال لهم: قاتلوا عن احسابكم ونادى المحكّم وهو من اتباع مسيلمة: يا بني حنيفة: الحديقة الحديقة فدخلوها واغلقوا عليهم بابها. ثم وقف (البراء بن مالك) وقال يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة فقاتل على الباب حتى تمكن المسلمون من فتحه فدخلوا عليهم الحديقة وقاتلوهم فيها حتى أبادوهم عن بكرة أبيهم وقد تمكن (وحشي) مولى (جبير بن مطعم) من طعن (مسيلمة الكذاب) في حربته ثم اجهز عليه رجل من الأنصار بسيفه.

أما محكّم اليمامة فقد قتله (عبد الرحمن بن ابي بكر) حيث رماه بسهم فأصابه في نحره وبعد أن انتهى القتال في الحديقة التي اطلق عليها (حديقة الموت) لكثر من قتل فيها قال (مجاعة بن مرارة) لخالد بن الوليد: ما جاءك الا سرعان الناس وان الحصون مملوءة. فقال له خالد: ويحك ما تقول. قال مجاعة: هو والله الحق فهلّم الى الصلح على ما ورائي. فقال خالد: أصالحك على كل شيء دون النفوس. فقال مجاعة: أنطلق اليهم فأشاورهم. فانطلق (مجاعة) اليهم وليس في الحصون الا النساء والصبيان ومشيخة فانية ورجال ضعفى فألبسهم الحديد وأمر النساء ان ينشر من شعورهن ويشرفن على الحصون حتى يرجع اليهم فرجع الى خالد وقال له: قد أبوا أن يجيزوا ما صنعت وهم مني براء. فلما رأى خالد أن الحصون مملوءة وأن المسلمين قد انهكتهم الحرب وقتل عدد كبير من الصحابة من المهاجرين والأنصار فقد قبل بمصالحته على الذهب والفضة والسلاح ونصف السبي وقيل: ربعه. فلما فتحت الحصون لم يكن فيها الا النساء والصبيان والضعفاء فقال خالد لمجاعه: خدعتني فقال مجاعة: هم قومي ولم أستطع الا ما صنعت. وقذ ذكر ابن الأثير[١]: (أن عدد القتلى من المسلمين في موقعة (عقرباء) تجاوز ستماية شهيد منهم ثلاثماية وستون شهيداً من اهل قصبة المدينة وثلاثماية شهيد من المهاجرين من غير المدينة واما قتلى بنو حنيفة ففي عقرباء سبعة آلاف قتيل وفي الحديقة سبعة آلافٍ أخرى وفي المطاردة نحواً من هذا الرقم حيث تجاوز قتلاهم عشرين ألفاً).

جـ - **الجيش الذي توجه الى البحرين**[٢].. عقد الخليفة لواءه (للعلاء بن الحضرمي) ووجهه الى اهل البحرين وكان عليهم (المنذر بن النعمان بن المنذر) فعندما

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ المجلد الثاني/ ص ٢٢٣.
(٢) ابن كثير/ البداية والنهاية/ المجلد السادس، ص ٢٢٧ - ٢٢٩.

توفي الرسول (ﷺ) قال قائلهم: (لو كان محمد نبياً ما مات) فارتدوا جميعاً سوى قرية منهم يقال لها (جواثا) فقد بقي اهلها على اسلامهم وكان أهل البحرين قد اسلموا في حياة الرسول (ﷺ) على يد (العلاء بن الحضرمي) نفسه حيث بعثه الى ملكهم (المنذر بن ساوى العبدي) فأسلموا وعندما توفي المصطفى (ﷺ) توفي (المنذر بن ساوى) بعده بقليل فاختار مكانه (المنذر بن النعمان ابن المنذر) الذي كان يلقب (بالغرور) فارتد اهل البحرين جميعاً باستثناء قرية يقال لها (جواثا) حيث كان فيهم رجلاً من اشرافهم يقال له (الجارود بن المعلى) حيث جمعهم وقال لهم: (يا معشر عبد القيس) اني سائلكم عن أمر فاخبرني ان علمتوه ولا تجيبوني ان لم تعلموه. فقالوا له: سَلْ. قال: أتعلمون أنه كان لله أنبياء قبل محمد؟ قالوا: نعم. قال: تعلمونه أم ترونه؟ قالوا: نعلمه. قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا. قال: فان محمداً (ﷺ) قد مات كما ماتوا واني اشهد ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله فقالوا: ونحن ايضاً نشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وانت افضلنا وسيدنا وثبتوا على اسلامهم وكان أهل قرية (جواثا) هم اول قرية أقامت صلاة الجمعة من اهل الردة.

وعندما بعث الصدّيق الى المرتدين في البحرين (العلاء بن الحضرمي) جاءه (ثمامه بن أثال) في محفلٍ كبير وانضم اليه وجاء كل امراء النواحي وانضموا اليه فأكرمهم (العلاء) ورحب بهم ثم سار الى جيوش المرتدين فنزل منزلا قريباً منها وفي الليل سمع المسلمون لديهم ضوضاءً وأصواتاً عالية فقال العلاء: مَنْ رجل يكشف لنا خبر هؤلاء فقام (عبد الله بن حذف) فدخل فيهم فوجدهم سكارى لا يعقلون من الشراب فرجع الى (العلاء) واخبره بخبرهم فركب العلاء من فوره والجيش معه فهاجموهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة واستولوا على جميع اموالهم فهرب منهم من استطاع الى (دارين) داخل البحر فتبعهم (العلاء) وركب البحر خلفهم وحاصرهم (بدارين) وانتصر عليهم وعاد بأموالهم بعدما قضى عليهم وكتب بذلك الى ابي بكر فبعث اليه الصدّيق يشكره على ما صنع.

د - الجيوش التي توجهت الى السواحل الجنوبية لشبه جزيرة العرب.[1]

اشتهر في (عُمان) بعد وفاة النبيّ (ﷺ) رجل يدعى (ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي) وكان يسمى في الجاهلية (الجلندي) فادعى النبوه فاتبعه الجهلة من اهل (عُمان) وقد استطاع أن يتغلب على الأميرين: (جيفر وعبّاد) فأرسل (جيفر) الى الصدّيق يخبره بخبر (لقيط بن مالك) فعقد الصديق لواءين أحدهما (لحذيفة بن محض الحميري) ووجهه الى (عُمان) والثاني (لعرفجه البارقي) من بني أزد ووجهه الى (مهره) وأمرهما أن يجتمعا

---

(١) ابن كثير/ البداية والنهاية/ الجزء السادس/ ص ٣٢٩ ـ ٣٣١.

ويعملا معاً فيبتدئا (بعُمان) ويكون عندها (حذيفة) هو الأمير وبعد أن ينتهيا من (عُمان) يسيران الى (مهره) ويكون عندها (عرفجه) هو الأمير. كما أتبعهما بعكرمة بن ابي جهل بعد أن فشل في مواجهة (مسيلمة الكذاب) وقد استطاع (عكرمة) أن يلحق بهما قبل وصولهما الى (عُمان) وعندما وصلوا جميعاً الى (عمان) اتصلوا (بجيفرا) واجتمعوا في منطقة (صحار) بينما احتشد (لقيط بن مالك) في منطقة (دبا) ثم تقابل الجيشان واقتتلوا قتالاً شديدا انتهى بانتصار المسلمين وقتلوا من المرتدين عشرة آلاف وغنموا الأموال وكتبوا في ذلك الى الخليفة ثم واصلوا مهمتهم الى منطقة (مهره) وكان فيها أميران مختلفان أحدهما يدعى (المصبّح) من بني محارب والآخر يدعى (شخريت) فحاول المسلمون الاستفادة من خلافهما فاتصلوا بهما حيث استجاب لهم (شخريت) وتمادى (المصبّح) في طغيانه فاجتمعوا مع (شخريت) عليه وحاربوه وانتصروا عليه وفرّ اصحابه من حوله وقتّل في المعركة وقتل معه عدد كبير من قومه.

أما ما كان من اهل اليمن فانه بعد مقتل (الأسود العنسي) على يد الأمراء الثلاثة: (قيس بن مكشوح وفيروز الديلمي وداذويه) فإن (قيس بن مكشوح) طمع بالامارة فعمل لذلك وارتد عن الاسلام وتابعه عوام اهل اليمن. فكتب الصدّيق الى الأمراء والرؤساء من أهل اليمن أن يكونوا عوناً (لفيروز الديلمي) على (قيس بن مكشوح) حتى تأتيهم جنوده سريعاً. اما (قيس بن مكشوح) فقد كان حريصاً على قتل الأميرين الآخرين (فيروز وداذويه) وقد نجح في قتل (داذويه) ولم ينجح في قتل (فيروز) الذي استنجد بأخواله قبيلة (خولان) ووقفت الى جانبه قبائل (عقيل وعك وخلق) ثم التقى بعد ذلك (قيس بن مكشوح وفيروز الديلمي) بمن معهما من جنود واعوان وتقاتلا قتالاً شديداً انتهى بانتصار (فيروز الديلمي) والقي القبض على (قيس بن مكشوح) وكان معه (عمرو بن معدي كرب) والذي كان قد ارتد مع الأسود العنسي فبعث بهما (المهاجر بن أمية) الى أبي بكر فعنفهما وانبّهما فاعتذرا اليه وقبل منهما توبتهما واطلق سراحهما وردهما الى قومهما.

تلك كانت اهم الأحداث التي واجهتها الجيوش الاسلامية التي عقدها الخليفة ابو بكر لمحاربة المرتدين وقد تمكنت الجيوش الأربعة الأخرى التي كان يقودها (خالد بن سعيد وعمرو بن العاص وطريفة بن حاجز وسويد بن مقرن) من تنفيذ واجباتها واستطاعت بذلك جيوش أبي بكر أن تعيد الهدوء والاستقرار داخل شبه جزيرة العرب خلال أقل من عام واحد لكي تكون بعد ذلك مهيأة لنقل الدعوة الاسلامية الى ما وراء شبه الجزيرة العربية من أمم وشعوب.

حركة الأقتراب غير المباشر نحو الشام
سلسلة عمليات خالد العسكرية في العراق

خطة ابي بكر العسكرية لاحتلال المدائن

كتب ابو بكر الى خالد بن الوليد وهو باليمامة: [١] (ان الله قد فتح عليك، فسر الى العراق وابدأ بفرج (الأبله: قرب البصرة اليوم) حتى تلقى عياض بن غنم).

وكتب ابو بكر الى عياض بن غنم وكان في منطقة بين النباج والحجاز على بعض قوات حروب الرده:

«(سر حتى تأتي المصيخ فابدأ بها ثم ادخل العراق حتى تلقى خالد بن الوليد)»

ثم أكمل ابو بكر رسالته الى القائدين (وأذنا لمن شاء بالرجوع ولا تستفتحا بمتكاره، ثم استبقا الى الحيرة فأيكما سبق اليها فهو أمير على صاحبه واذا اجتمعتما بالحيرة وقد فضضتما حصون فارس وأمنتما أن يؤتي المسلمون من خلفهم فيكون أحدكما ردءاً (عوناً) لصاحبه بالحيرة وليقتحم الاخر عدو الله عزهم المدائن).

(وقبل ان يرسل ابو بكر برسالته هذه الى خالد وعياض كان المثنى بن حارثه الشيباني قد سبقهما الى أرض العراق حيث كان قد قدم الى المدينة واستأذن ابا بكر بالموافقة على قيامه ببعض العمليات العسكرية في جنوب العراق فأذن له.). [٢]

فكان المثنى أول من جرأ العرب على محاربة الفرس حيث نفذ غارات ناجحة في أسفل العراق وعندما طمع في توسيع هذه العمليات أرسل اخاه مسعود بن حارثة بطلب المدد من أبي بكر فكان جواب ابي بكر هو الرسالة التي وجهها الى خالد وعياض). [٣]

تحليل رسالة ابي بكر

رسالة أبي بكر الى (خالد وعياض) واضحة تمام الوضوح، انه يصدر اليهما أمرا بتنفيذ مهمة محددة وهي احتلال (المدائن) عاصمة الامبراطورية الفارسية، ومعنى ذلك ان ابا بكر يصدر قرارا بأعلان الحرب ضد الامبراطورية الفارسية احدى أعظم دولتين في العالم في ذلك الزمن.

(١) الطبري/ تاريخ الامم والملوك/ الجزء الرابع/ ص ٤

(٢) ابن الاثير/ الكامل في التاريخ/ المجلد الثاني/ ص ٢٣٨

(٣) الطبري/ تاريخ الامم والملوك/ ج/ ٤ ص (٢ ـ ٥)

لا شك ان ابا بكر كان جريئاً في اتخاذ قراره الاستراتيجي الاول باعلان الحرب ضد المرتدين لان مثل ذلك القرار كان ضروريا لا من الدعوة الاسلامية وسلامة قاعدتها من التصدع والانحلال.

وليس من احد يستطيع التشكيك في صحة القرار الذي اتخذه الخليفة ابو بكر في شأن الحرب الامنية الداخلية فالخلافة الاسلامية ما زالت قريبة العهد بوحي السماء ولم يمض على موت الرسول ﷺ سوى شهر واحد والعقيدة في نفوس اصحابه في أوجها وعظمتها وفي مثل هذه الحالة فأن الحرص على سلامة العقيدة والمحافظة عليها والتفاني في سبيلها انما تمثله تلك النفوس الزاخرة بروعة الايمان والمتصلة بأسباب السماء والمتلقية بشكل مباشر عن الوحي. أما ان يصدر الخليفة قرارا باعلان الحرب ضد دولة مجاورة تشكل أعظم امبراطوريتين في العالم في عصره فذلك شأن اخر يختلف تمام الاختلاف عنه في قراره بمحاربة المرتدين

فالامبراطورية الفارسية لم تكن قد تدخلت بعد في شؤون الدولة الاسلامية الناشئة ربما كانت لانها مشغولة بأوضاعها الخاصة أو لأي سبب آخر.

كما انها لم تساهم في دعم حركات المرتدين فلماذا أعلن ابو بكر قراره الاستراتيجي الثاني بشن الحرب ضدها؟

أعتقد ان سبب هذا القرار الاستراتيجي الهام يكمن في طبيعة الدعوة الاسلامية فهي دعوة عالمية لا تقتصر على جنس خاص ولا تنحصر بمكان معين وابو بكر حسب هذا المفهوم يريد ان ينقل الدعوة الى خارج الجزيرة العربية او يريد ان يصدرها الى الدول المجاورة حسب المفهوم العصري الحديث في تصدير الثورات والافكار.

واذا كانت رسالة ابي بكر قد تضمنت قرارا استراتيجيا خطيرا باعلان الحرب ضد دولة مجاورة ثم اذا كان قد استهل حروب الرده بنفسه فأنه في رسالته هذه قد وضع للقائدين المنتخبين خطة الحرب أو خطة احتلال عاصمة الفرس، حيث جعل تنفيذ هذه الخطة يتم على مرحلتين: (١)

١ ـ **المرحلة الاولى**. ويتم خلالها احتلال الحيرة وذلك بمهاجمتها من اتجاهين أيضا:

الاتجاه الاول. من الجنوب وينفذه خالد بن الوليد من جهة (الأبله) ثم التوجه شمالا نحو الحيره.

الاتجاه الثاني. من الشمال وينفذه عياض بن غنم من جهة (المصيخ)

٢ ـ **المرحلة الثانية**. يقوم احد الجيشين بمهاجمة المدائن بينما يبقى الجيش الاخر في

(١) احمد عادل كمال/ الطريق الى المدائن/ ص (٢٠٦ ـ ٢٠٨)

خارطة خطة أبي بكر الصديق لاحتلال الحيرة / عملية فكي الكماشة

شمال
غرب
شرق
جنوب
المصيخ
الحيرة
دومة الجندل
عياض بن غنم
خالد بن الوليد
المدينة
مكة



الحيرة كقاعدة للاسناد وتأمين الحماية ومنع التدخل من قبل الفرس ضد الجيش الذي ينفذ عملية احتلال المدائن.

خطة عامة واضحة وسهلة لا تعقيد فيها تبين المطلوب وتسهل امر انجازه، ومع ان اسلوب المناورة محدد فيها وغير متروك أمره لاجتهاد قادة الميدان الا انها لم تتطرق للتفاصيل المعقدة التي تربك القادة أو تحدد ابداعهم.

واذا نظرنا الى الخارطة العسكرية التي توضح الخطة وتابعنا حركة الجيشين اللذين أوكل اليهما مهمة تنفيذها فأننا نجد أن تنفيذ المرحلة الاولى (احتلال الحيرة) سيكون بالاطباق عليها ووضعها بين فكي كماشة من الشمال والجنوب.

وعلى مستوى مدى ملاءمة الخطة للقرار الاستراتيجي فقد تضمنت الجانب الأمني الذي يجب ضمانه للقوات سواء كان اثناء تقدمهما في اراضي العدو أو أثناء مباشرتها التماس او الاشتباك معه خلال المرحلة الثانية.

وطالما ان الخروج الى العراق وقتال الفرس فيه لم يتخذ أي شكل من اشكال الدفاع ولم يتخذ ايضا شكل الحرب الوقائية التي يمكن ان تلجأ اليها بعض الدول اذا ارتأت ان أمنها واستقرارها أصبح مهددا بفعل العوامل الخارجية.

وطالما انها أخذت شكل الحرب التعرضية الصريحة التي تهدف الى ازالة الدول والتعامل مع الشعوب بشكل يضمن نقل العقيدة اليهم وادخالهم في الدولة الاسلامية كمسلمين او كرعايا ذميين في هذه الدولة، لذلك فان الجنود المقاتلين الذين سيقومون بنقل هذه العقيدة وحمل لوائها لا بد ان يكونوا صفوة ابناء المجتمع الاسلامي ممن تطهرت قلوبهم وزكت نفوسهم وباعوا ارواحهم في سبيل الله وآثروا الآخرة على الدنيا.

هؤلاء هم الذين أرادهم أبو بكر ان يكونوا مع خالد بن الوليد وعياض بن غنم في حرب العراق، لذلك فقد ركز في رسالته على تسريح من لا يرغب في الذهاب قائلا لهما (ولا تستفتحا بمتكاره) وبعد ان تأكد الخليفة من ان جيش الفتح الاسلامي هو صفوة المسلمين الذين يؤثرون الشهادة في سبيل الله على كل متاع الدنيا بعد ذلك توجه الى القائدين يحثهما على التفاني في الجهاد والتنافس الشريف على القيادة مبينا لهما ان مرتبة القيادة في الاسلام لا تنال بالعصبية القبلية ولا يصل اليها الا من يثبت قدرة وكفاءة.

واذا كان خالد بن الوليد قد أثبت كفاءة في محاربة المرتدين فتلك حرب داخلية تضم عنصرا واحدا هم العرب، اما بالنسبة لمقاتلة الفرس فالوضع مختلف تماما فقتال الفرس غير قتال العرب كما ان طبيعة المنطقة التي سيجري عليها القتال مختلفة أيضا عن طبيعة الصحراء العربية، فالقائد الخبير بقتال الصحراء قد لا يكون خبيرا بالقتال في

الغابات ومناطق الانهار والمدن، وربما ينجح (عياض) ويخفق (خالد) أو أن يكون العكس تماما. فإن ذلك ما لا يستطيع أبو بكر ان يتنبأ فيه حتى لو كان يفضل (خالدا) على جميع أقرانه من القادة المسلمين وهكذا ترك منصب قيادة الجيش الاسلامي في العراق لمن يصل الى الحيرة أولا.

وهو يعلم ان مهمة خالد قد تكون أصعب من مهمة عياض وهذا الاسلوب الذي اعتمده ابو بكر في اختياره القادة فأنه رغم ما فيه من التنافس الشريف بينهم الا انه يستند الى قاعدة سليمة في حسن الاختيار لأن القائد الذي سيصل الى الحيرة اولا سيكون اكثر علما ومعرفة في طبيعة الارض التي سيقاتل عليها وأكثر نجاحا وتوفيقا في قتال الاعداء.

ولا يملك العسكريون الذين يتابعون قرارات أبي بكر الاستراتيجية وخططه العسكرية الا ان تأخذهم الدهشة من خطورة تلك القرارات وجراتها وبراعة تلك الخطط التي لا تصدر الا عن ذوي الباعات الطويلة في فنون الحرب وأساليب القتال.

اذ كيف يتأتى لرجل كأبي بكر ان يكون ضليعاً في اصدار القرارات الاستراتيجية ورسم الخطط العسكرية ولم يعرف عنه في سيرة الحرب وخوض المعارك ما عرف عن أقل القادة العسكريين حظا في هذا المجال.

وكل ما يمكن قوله ان النجاحات الميدانية التي حققها القادة في مسارح العمليات في بلاد العراق والشام انما يرجع الفضل فيها بالدرجة الاولى الى القيادة الاسلامية العليا في المدينة.

مباشرة المهمة من قبل خالد وعياض

باشر خالد وعياض أداء مهمتهما بتسريح كل من يرغب في العودة الى المدينة ولم يبق مع خالد سوى (ألفين) وقد كتب كل منهما الى ابي بكر يطلب منه المدد.

فأمد (خالداً) (بالقعقاع بن عمرو التميمي) وأمد (عياضاً)، (بعبد بن عوف الحميري) وكتب ابو بكر الى (المثنى وحرمله ومعذور وسلمى) ان يلحقوا (بخالد) في منطقة (الأبلّة) كما أمر أبو بكر (خالداً وعياضاً) أن يستنفرا من قاتل اهل الردّة وانْ لا يغزو معهما مرتد أبداً ففعلا. وعندما سأل بعض الصحابة الخليفة قائلين: أتمّد رجلاً قد ارفضّ عنه جنوده برجلٍ واحد؟ اجابهم قائلاً لا يهزم جيش فيه مثل هذا ويعني في ذلك (القعقاع بن عمرو)[1].

خالد يحتشد في منطقة النباج

كتب خالد الى المثنى بن حارثة الشيباني كي يلتحق به وكان المثنى قد سبق خالداً الى تلك المنطقة حيث استأذن الخليفة ابا بكر بذلك فأذن له وكان تحت امرته ثمانية الاف مقاتل كما تطوع تحت قيادة خالد ثمانية الاف آخرين من قبيلتي ربيعة ومضر (فبلغ جيشه ثمانية عشر الف مقاتل)[2] لم يكن واحداً منهم قد سبقت له ردة عن الاسلام.

الحركة التعبوية وشكل التقدم

سار خالد نحو (الأبلّه) وكتب الى حاكمها هرمز يدعوه للاسلام أو الجزية ثم حذره قائلاً[3] (أما بعد فأسلم تسلم أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة واقرر بالجزية والا فلا تلومنّ الا نفسك فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة).

ولما قدم كتاب (خالد) على (هرمز) كتب بالخبر الى (شيري بن كسرى) والى (اردشير بن شيري) وجمع جموعه ثم تعجل الى الكواظم في سرعان اصحابه لكي يتلقى (خالداً) فيها ولكنه لم يجده ثم بلغه أن المسلمين تواعدوا أن يجتمعوا في منطقة (الحفير) فعاج يبادره الى (الحفير) فنزلها ثم تعبأ بها فجعل على مجنبته اخوين من أبناء (أردشير الأكبر) يقال لهما (قباذ وأنوشجان) فاقترنوا بالسلاسل فقال من لم ير ذلك لمن رآه قيدتم انفسكم لعدوكم فلا تفعلوا فإن هذا طائر سوء فأجابوهم: أما انتم فيحدثوننا انكم

---

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ المجلد الثاني/ ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ وكذلك الطبري/ تاريخ الأمم والملوك/ الجزء الرابع/ ص (٤ ـ٥).

(٢) ابن كثير/ البداية والنهاية/ الجزء السادس/ ص ٣٤٤

(٣) الطبري/ كتاب الامم والملوك/ الجزء الرابع/ ص ٥

تريدون الهرب. فلما أتى الخبر الى (خالد) بأن هرمز في (الحفير) مال بالناس الى (كاظمة) وبلغ (هرمز) ذلك فبادره الى (كاظمة) فنزلها وكان من اسوأ أمراء الفرس جواراً للعرب وكانوا يضربون المثل بخبثه فيقولون: (أخبث من هرمز) وكانت حركة خالد تعبوية كمن يتقدم في أراضي العدو حيث قسم جيشه الى اربعة مجموعات كما يلي:[1]

١ ـ **المقدمـة**. جعل عليها المثنى بن حارثة الشيباني وقد أمره بالحركة قبل يومين من حركة الجسم الرئيسي للجيش وكان دليله رجل يدعى (ظفر).

٢ ـ **المجموعة الثانية**. جعل عليها (عدي بن حاتم الطائي) وكان دليله رجل يدعى (مالك بن عباد).

٣ ـ **المجموعة الثالثة**. جعل عليها (عاصم بن عمرو التميمي) وكان دليله رجل يدعى (سالم بن نصر) وقد امره بالحركة بعد يوم واحد من حركة المجموعة الثانية.

٤ ـ **المجموعة الرابعة**. باشر قيادتها بنفسه وكان دليله (رافع)، ثم واعدهم جميعاً الالتقاء بالحفير. (وهو مكان به نبع ماء لبني باهلة يبعد عن البصرة اربعة اميال جنوباً).

أولاً/ معركة ذات السلاسل

استنفر هرمز حاكم الأبلّه قواته وخرج بها جنوباً لملاقاة خـالد حتى وصل الى منطقة (كاظمة) على بعد ٨٨ كم جنوب البصرة وهي ضمن دولة الكويت حاليا.

وعندما علم أن خالد سيلاقيه في منطقة (الحفير) سبقه اليها وعبأ قواته انتظاراً لوصول خالد، ولكن خالد كان قد أعلمه المثنى قائد المقدمة بجميع تحركات هرمز فتوجه الى كاظمة وكان هرمز قد سبقه اليها ايضاً. وقبل ان يكمل المسلمون استعداداتهم خرج هرمز طالبا المبارزة وقد أضمر خطة «للغدر بخالد فخرج له خالد على الفور وبارزه وقتله فحاولت ثلة من جنود الفرس الغدر بخالد وهجمت عليه فأصدر القعقاع أوامره بالهجوم على الفرس وتقدم مع مجموعة نحو خالد وكشف عنه الفرس الذين حاولوا الغدر به حيث صدقت فراسة ابي بكر حينما قال: لا يهزم جيش فيه القعقاع وانتصر المسلمون في هذه المعركة انتصاراً ساحقاً على الفرس الذين كان معظمهم مقيداً بالسلاسـل وهرب من استطاع النجاة منهم فحاول خالد ان يستثمر الفوز فأمر المثنى ان يطارد فلولهم ويزوده بالمعلومات عنهم وقد نجا من القتل (قباذ وأنوشجان) وسميت هذه الموقعة (موقعة ذات السلاسل).[2]

---

(١) الطبري/ تاريخ الأمم والملوك/ الجزء الرابع/ ص ٥.

(٢) الطبري/ تاريخ الأمم والملوك/ الجزء الرابع/ ص ٥/ وكذلك ابن الاثير/ الكامل في التاريخ/ المجلد الثاني/ ص ٢٣٩.

الدروس المستفادة من المعركة

١ - رسالة خالد الى هرمز تشكل تضحية بمبدأ المفاجأة التي اعتمد عليها في قتاله مع الفرس والروم سواء ما كان منها متعلقاً بالمكان والزمان أو بالتخطيط والتكتيك، والسبب ربما يرجع الى العوامل التالية:

أ - ان (خالداً) لا يريد ان يخوض مع هرمز حرب مدن فهو لا يريد لقاءه في الأبله لأن حرب المدن يحتاج الى فترة زمنية أطول كما يؤدي الى خسائر اكثر وجهد اكبر، وخالد لا يملك الوقت الكافي لتطويق المدن وحصارها كما لا يملك القوات الكبيرة لدخول المدن وحرب الشوارع، وكذلك فان مهمة خالد الرئيسية هي احتلال الحيرة في المرحلة الأولى والوقت يجري لغير صالحه في حرب المدن ويبعده عن مهمته الرئيسية.

ب - لقد قصد (خالد) ان يستثير (هرمز) فيخرجه من المدينة لكي يفرض عليه مكان المعركة وزمانها المناسبين.

جـ - أراد (خالد) أن يشن على (هرمز) حرباً نفسية وأن يجعله دائم القلق والتفكير.

٢ - استخدم خالد اثناء تقدمه داخل اراضي العدو اسلوب الحركة التعبوية التي تطبقها الجيوش الحديثة في عصرنا الحاضر فقسم قواته الى حرس مقدمة وميمنة وميسرة وجسم رئيسي.

٣ - استخدم خالد اسلوب الخداع والتضليل مع الهرمز حول المكان المحتمل للمواجهة وجعله في حركة دائمة وقلق مستمر فأربكه وأرهق جيشه وافقده ثقتهم به قبل خوض المعركة فلقد أوهمه أن موقع المعركة سيكون في (كاظمة) لأنها تقع على الطريق المباشر بين (اليمامة والأبلّه) ولهذا بادر (هرمز) بالخروج لمواجهته فيها ولكن (خالد) انعطف بجيشه الى الشمال الغربي من اليمامة باتجاه (النباج) فاحتشد فيها وانضم اليه ثمانية آلاف كانوا يعملون بإمرة المثنى ورفاقه الآخرين ومن هناك توجه نحو الشمال الشرقي الى (الحفير) وعندما علم (هرمز) بحركة (خالد) الى منطقة (الحفير) استنفر جيشه وأسرع بهم اليها فوصلها قبل جيش المسلمين وكان (خالد) يراقب تحركات (هرمز) ويقصدها فانعطف باتجاه الجنوب الشرقي نحو (كاظمة) وقرر ملاقاته فيه مما اضطر (هرمز) أن يتحرك اليها وهذه العمليات المتواصلة من التنقل واعادة الانفتاح والحركة من قبل الجيش الفارسي والتضليل المتعمد للاتجاه المتوقع لمكان المعركة وميدانها من قبل (خالد بن الوليد) أربك الجيش الفارسي وارهقه كثيراً سيما وأن تجهيزاته العسكرية هي الأخرى كانت

تشكل عبئاً اضافياً عليه الأمر الذي قلل من ثقة هؤلاء الجنود الفرس بكفاءة قائدهم (هرمز) وجعلهم يقبلون على المعركة بمعنويات ليست متوازنة مع مثيلتها في الجيش الاسلامي.

٤ ـ تجنب خالد حرب المدن لما فيه من اهدار للوقت وضياع للجهد وحافظ على قصده المحدد وهو احتلال الحيرة في المرحلة الأولى وهذه المعارك التي سيخوضها على طول الطريق من (الأبلّه) الى (الحيرة) انما تشكل واجبات تدخل ضمن المهمة الرئيسية المحددة من القيادة العليا.

٥ ـ استخدم خالد اسلوب الاستطلاع وتمرير المعلومات كما حافظ على مبدأ أمن القوات وقد ظهر ذلك واضحاً خلال حركته التعبوية وترتيبه لقواته.

٦ ـ لقد استثمر (خالد) الفوز بعد انتصاره على (هرمز) في المعركة فيكون بذلك قد سبق قادة الحرب الحديثة في عمليات المطاردة لاستثمار الفوز بأربعة عشر قرناً.

ثانيا/ معركة المذار

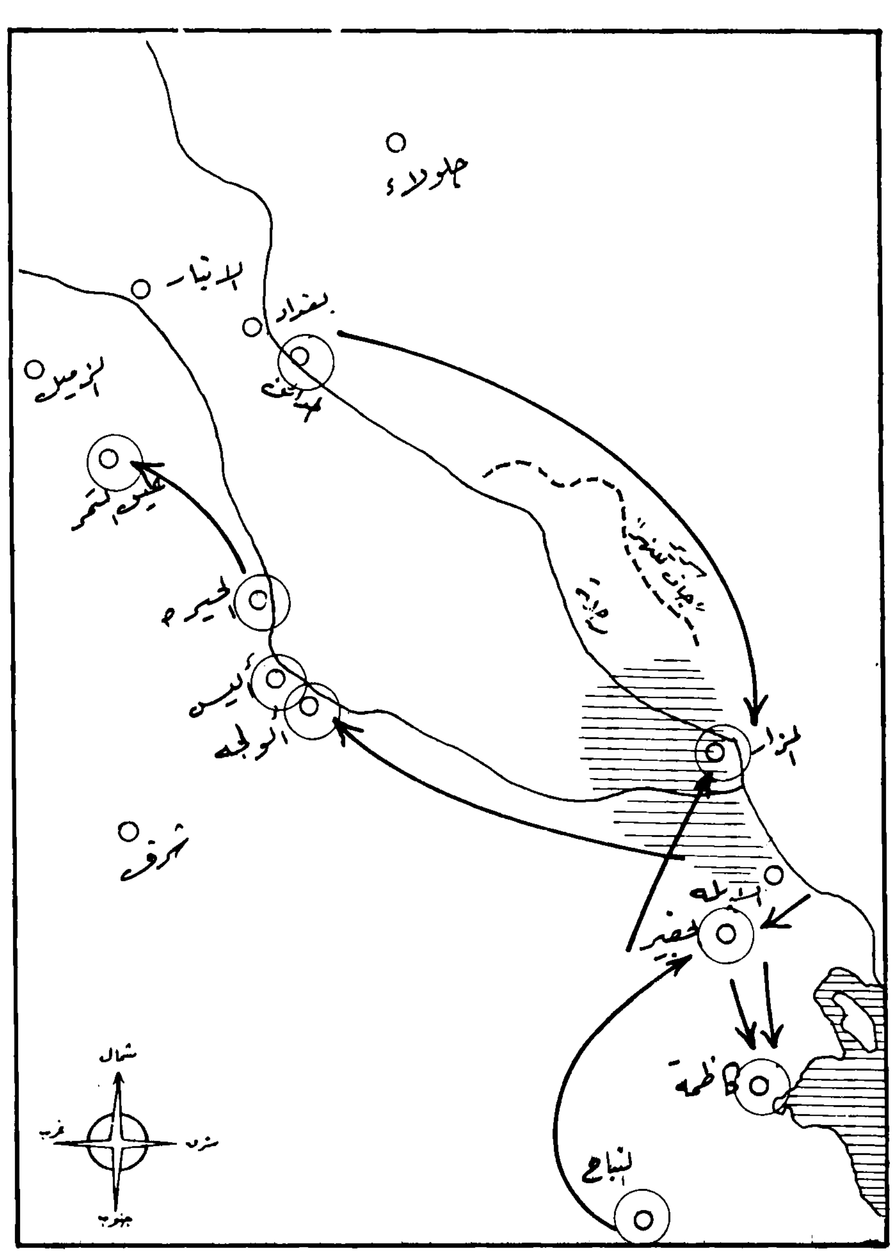
روى الطبري في كتابه (تاريخ الأمم والملوك) خبر موقعة المذار ضمن احداث السنة الثانية عشرة للهجرة فقال[1]:

(في صفر سنة اثنتي عشرة ويومئذٍ قال الناس :صفر الأصفار فيه يقتل كل جبار على مجمع الأنهار) واضاف: (وقد كان هرمز كتب الى (اردشير) و (شيري) بالخبر بكتاب خالد اليه بمسيره من اليمامة نحوه فأمدّه بـ (قارن بن قريانس) فخرج (قارن) من (المدائن) ممدًّا (لهرمز) حتى اذا انتهى الى (المذار) بلغته الهزيمة وانتهت اليه (الفُلّال) فتذامروا وقال (فُلّال) الأهواز وفارس لفُلّال السواد والجبل: (إن افترقتم لم تجتمعوا بعدها ابداً فاجتمعوا على العودةمرة واحدة فهذا مدد الملك وهذا (قارن) لعل الله يديلنا ويشفينا من عدونا وندرك بعض ما أصابوا منا) ففعلوا وعسكر (قارن) بالمذار واستعمل على مجنبتيه (قباذ وأنوشجان). وكتب (المثنى بن حارثة الشيباني) الى (خالد) بالخبر عن اجتماع الفرس مع (قارن) في (المذار) فسار خالد بجيشه اليهم وعندما وصل اليهم وتقابل الجيشان دعا (قارن) للمبارزة فخرج اليه خالد ولكن (معقل بن الأعشى بن النبّاش) قد استأذن (خالداً) في مبارزة (قارن) فأذن له وقد استطاع (معقل) قتل (قارن) كما استطاع (عاصم بن عمرو التميمي) شقيق (القعقاع بن عمرو) قتل (الأنوشجان) وكذلك فعل (عديّ بن حاتم الطائي) مع (قباذ) وبمقتل قادة الجيش الثلاثة في المبارزة انتهت المعركة حيث ولّى الفرس ادبارهم فتعقبهم (خالد) وقتل منهم مقتلةً عظيمة.

---

(١) الطبري/ تاريخ الامم والملوك/ الجزء الرابع/ ص ٧.

عمليات خالد بن الوليد في كاظمة والمذار والولجة



عرفنا أن خالداً يرُيد أن يخوض معركته مع هرمز في منطقة (الحفير) وادركنا القصد الذي كان يرمي اليه من الناحيتين التعبوية والنفسية، ثم كيف ضحى بالمفاجأة التعبوية عندما وجد ان النتائج التي ستترتب عليها سلبية.

ثم رأيناه وهو يضلل عدوه ويفرض عليه مكاناً جديداً للمعركة في منطقة كاظمة لارباكه وارهاق جنوده ولكن ما الذي قصد اليه خالد وهو يحول اتجاهه من الفرات الى دجلة؟ ولماذا توغل في اتجاه الشمال الشرقي بينما كانت مهمته خلال المرحلة الأولى محددةً في اتجاه الشمال الغربي نحو الحيرة؟ هل يمكن اعتبار عمله هذا خروجا على أوامر القيادة العليا في المدينة؟ أو أن الفرس قد خططوا لجره الى منطقة تقتيل تناسبهم؟.

لا يعقل أن يضلّ استاذ العبقرية العسكرية (سيف الله المسلول) عن هدفه المرسوم كما لا يعقل كذلك أن ينخدع فتنطلي عليه ألاعيب الفرس وحيلهم في جرّه الى مناطق التقتيل المنتخبة من قبلهم ولهذا كان اجتيازه لنهر الفرات باتجاه المذار على نهر دجلة تتويجاً لمعركة المطاردة التي تعتبر المرحلة الثالثة من مراحل التقدم داخل اراضي العدو والتي تبدأ بالتقدم للتماس فالاشتباك ثم المطاردة العميقة لفلول العدو واستثمار الفوز.

لم تكن حركة خالد اذن «باتجاه المذار على نهر دجلة خروجاً» على اوامر القيادة العليا في المدينة وانما كانت تتويجاً لانتصاره في معركة كاظمة حيث اصدر أوامره للمثنى بمطاردة قوات العدو وادامة التماس مع فلوله المنهزمة.

هذا من الناحية التكتيكية الميدانية أما من ناحية أمن القوات والذي ركز عليه ابو بكر في رسالته التي وجهها لكلا القائدين (خالد وعياض) فقد كانت معركة (المذار) ضروريةً من الناحية الأمنية للقوات الاسلامية في هذه المنطقة القريبة من شط العرب والتي تشكل تهديداً خطيراً ضد أية قوات اسلامية تتوغل شمالاً على نهر الفرات لذلك فاننا نرى أن خالداً كان ملتزماً أشد الالتزام بمهمته المحددة في احتلال الحيرة كمرحلة اولى لاحتلال المدائن عاصمة الفرس وما تتطلبه خطة احتلال الحيرة اثناء حركة القوات العسكرية اليها من الاحتياطات الأمنية اللازمة.

لهذا كانت معركة المذار احدى هذه الاحتياطات الأمنية اللازمة اضافة لكونها تتويجاً لمعركة المطاردة واستثمار الفوز.

ولهذا أيضاً نجده يضع في كل منطقة يحتلها حامية تقوم على حمايتها كما تقوم

بتمرير المعلومات له عن اية تحشدات او تحركات معادية في المناطق القريبة من الخطوط الخلفية التي تعمل عليها القوات الاسلامية.

ولئن كان اهتمام خالد كبيراً بمبدأ أمن القوات وبالمعلومات التي تزوده بها قواته المتواجدة في المناطق الخلفية فان اهتمامه بأمن الخطة وحرصه على تحقيق المفاجأة مع عدوه في الخطوط الأمامية التي تتقدم عليها قواته كان لا يقل عن ذلك اهمية وشأناً.

ولما كانت حركته داخل اراضي العدو فان حاجته الى المعلومات عن عدوه كبيرة لذلك نجده يركز على مبدأ الاستطلاع (فيرسل المثنى بن حارثة الشيباني على رأس قوة حرس المقدمة ويحركه قبل الجسم الرئيسي بيومين على الأقل ويطلب منه ان يزوده بالمعلومات اللازمة عن قوات العدو وتحركاته في المناطق التي سيتوجه اليها).[1]



(١) ابن كثير/ البداية والنهاية/ منشورات مكتبة المعارف بيروت/ الجزء السادس/ ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

تحليل الموقف الفارسي لتقدم الجيش الاسلامي خلال معركتي كاظمة والمذار والرؤيا الاسلامية له

كان تحليل الموقف من جهة الفرس لاتجاه تقدم خالد بن الوليد بعد معركة كاظمة (ذات السلاسل) غامضاً فهناك شط العرب وهناك مقترّبان يؤديان الى المدائن أحدهما بمحاذاة نهر دجلة وهو مقترب قريب يقود الى (المدائن) مباشرة» ويختصر الطريق ولا يحتاج المسلمون الى تنفيذ هجومهم عليه الى مرحلتين بل هي مرحلة واحدة لأن هـذا المقترب يؤدي الى المدائن (عاصمة الفرس) مباشرة دون التوجه الى (الحيره).

ولكنه من وجهة النظر الأسلامية يؤدي بـالجيش الى التوغـل في عمق الاراضي الفارسية ويجعل من الفرس والقبائل العربية الموالية لهم والتي تقيم في منطقة السواد بين النهرين تشكل خطراً على هذا الجيش فيصبح بين (فكي كماشة) يمثل طرفها نهرا دجلة والفرات ويكون خالد بن الوليد لو تقدم على هذا المقترب كمن أدخل نفسه بين فكي الأسد الفارسي العجوز وليس من سبيل بعد ذلك الا ان يقضمه ويزدرده.

واذا كانت هذه تشكل نقطة «سلبية على هذا المقترب من وجهة النظر الاسلامية فأن ثمة نقاطا سلبية» اخرى تكمن في التقدم في هذا الاتجاه منها أن حركـة الجيش الاسلامي ستكون محفوفة بالمخاطر من كلا الجانبين فهو يتقدم في عمق الاراضي المعادية تكتنفه قرى ومدن فارسية او قبائل عربية شديدة الموالاة للفرس.

كما ان قتال المدن والضواحي والاشجار وعبور الانهار والاودية والجبـال غير مألوف لهذا الجيش الذي تعود افراده على القتال فوق رمال الصحراء فقط ولا تتوفر لديهم الخبرة القتالية في المدن او الضواحي.

فالجيش الاسلامي من مصلحته أن يقاتل مستنداً الى الصحـراء والتي كانت (الحيرة) تشكل أقرب وأخطر نقطة فيها بحيث يتمكن المسلمون من خلالها مهاجمـة (المدائن) حاضرة الأمبراطورية الفارسية وهم مطمئنون أنهم اذا لم يستطيعوا احتلالها فانهم يستطيعون العودة بسرعة للاحتماء بالصحراء العربية التي لا يستطيع الفرس مقاتلتهم فيها ولهذا كانت (الحيرة) تشكل هدف المرحلة الأولى بالنسبة للمسلمين.

وبعد ان رسم أبو بكر الهدف الاستراتيجي الحاسم وحدد المهمة لقواته فقد سعى الى تضليل العدو عن قصده الذي دفع بهذه القوات اليه ولذلك نراه يصدر أوامره الى (خالد وعياض) ان يقوما على الفور بمهاجمة العراق من جنوبه وشماله في آن واحد فيبدأ خالد (بالأبلّه) ويبدأ عياض (بالمصيّخ) ويكون بذلك قد حقق لقواته عدة مكاسب منها:

١ ـ تضليل العدو عن معرفة قصده الرئيسي.

٢ ـ تشتيت قوات العدو وبعثرتها في الشمال والجنوب.

٣ ـ تدمير الجزء الاكبر من قواته قبل المعركة الفاصلة بحيث لا يتمكن بعدها من القيام بأية تحشدات اخرى.

٤ ـ معرفة اساليب العدو القتالية قبل المباشرة بخوض المعركة الفاصلة معه.

ربما كانت خطة الفرس تقوم على استدراج الجيش الاسلامي الى منطقة (المذار) لتحويل اتجاه تقدمه نحو نهر دجلة بدلا «من الفرات لابتلاع هذا الجيش وقضمه تدريجيا» وفي الوقت الذي كانوا يتوهمون فيه ان (خالداً) وهو يطارد فلولهم الامامية نحو (المذار) سيدخل نفسه بين فكي الكماشة الفارسية فقد كان خالد يدرك معنى المطاردة واستثمار الفوز ولهذا نراه لا يتوغل بعيدا» على نهر دجلة بل يعود مسرعا» نحو نهر الفرات بعد أن ترك حامية له في منطقة (المذار) لمراقبة الحشود الفارسية في تلك المنطقة.

وربما أيضاً لم يكن يتوفر لدى قادة الفرس في ذلك الوقت خطة على المستوى الاستراتيجي لاستدراج المسلمين أو للأحاطة بهم سيما وان ظروف الأمبراطورية الفارسية من الداخل كانت على درجة من التداعي والضعف لا تمكنهم من التطلع نحو الخارج فضلاً عن عدم قدرتهم على مواجهة الأوضاع الداخلية، وانني اعتقد من خلال متابعة الاجراءات التي تم اتخاذها من قبلهم في مواجهة المسلمين أن جميع خططهم العسكرية لم تكن قد تجاوزت ردود الفعل السلبية في محاولة دفاعية لمنع المسلمين من التوغل داخل اراضي الأمبراطورية الفارسية.

الفرس يفتحون كماشتهم في الولجة

بعد أن نجح خالد في تحطيم فكي الاسد الفارسي العجوز دون أن يدخل بينها، وبعد أن فشلوا في استدراجه للتقدم على محور دجلة ورأوا أنه قد توجه الى الفرات تاركا وراء ظهره الصحراء العربية تحميه وتؤمن انسحابه اذا احتاج الموقف ذلك. بعد كل هذه الحسابات والتقديرات رأى الفرس أن يضعوا له خطة جديدة تقوم على استدراجه الى منطقة السواد بين نهري دجلة والفرات بينما يقوم جيش فارسي اخر بالتوجه الى منطقة الولجه على حدود الصحراء العربية وتكون مهمة هذا الجيش عمل كمين ينقض على الجيش الاسلامي في حالة انسحابه جنوبا او الاطباق عليه من خلفه في حالة نجاح القوات الفارسية في استدراجه الى ارض السواد.

وبناء على هذا التصور (قامت القيادة الفارسية بحشد جيشين احدهما فارسي

بقيادة (بهمن جاذوية) وكانت مهمته التقدم الى ارض السواد بين نهري دجلة والفرات لاستدراج الجيش الاسلامي الى هذه المنطقة وكان هذا الجيش يمثل الفك العلوي في الكماشة الفارسية واما الاخر فهو جيش خليط من القبائل العربية التي كانت تسكن ارض السواد والحيرة بقيادة (أندر زغر) من مواليد منطقة السواد بين النهرين)[١].

وكانت مهمة هذا الجيش ان يشكل الفك السفلي في الكماشة الفارسية وذلك بالانقضاض على الجيش الاسلامي من الجنوب اذا نجح (بهمن جاذوية) في استدراجه داخل ارض السواد. وفي حالة عدم نجاح الفرس في استدراج خالد شمالاً فان مهمة الجيش الجنوبي عمل كمين في منطقة (الولجه) يفاجيء الجيش الاسلامي وينقض عليه في الوقت المناسب.

ولهذا كان قوام هذا الجيش الذي يقوده (أندر زغر) من القبائل العربية القادرة على القتال في الصحراء وتتوفر لديهم الخبره الجيدة والمعرفة التامة لطبيعة الارض التي يقاتلون عليها.

خالد وفكي الكماشه الفارسية

كان امام خالد في (المذار) أحد احتمالين:

الاحتمال الاول: ان يواصل سيره بمحاذاة نهر دجلة حتى يصل الى المدائن (حاضرة الامبراطورية الفارسية)، ويكون بذلك كمن دخل بين الفكين الى البلعوم ليخنق هذه الامبراطورية من اقرب نقطة لها وذلك ممكن وجائز اذا استطاع خالد ان يمنع عملية ارتداد الفكين ولهذا فقد كان لزاماً عليه قبل أن يحشر نفسه بين فكي هذه الدولة ان يطمئن الى قوة ساعديه والا فان عملية قضمه وابتلاعه ستكون مؤكدة.

يحتاج خالد لو فكر في سلوك هذا المحور على نهر دجلة الى جيشين اخرين على الاقل يعمل احدهما على يمينه كما يعمل الآخر على يساره في منطقة ما بين النهرين عندها تكون عملية التقدم على نهر دجلة مضمونة وأمينه.

ولكن خالد لا يملك الا جيشاً واحداً ولذلك فانه لا يستطيع ان يدخل في مثل هذه المغامرة الفاشلة كما انه يكون بذلك قد تحول عن المهمة المحددة التي صدرت اليه من الخليفة باحتلال الحيرة، واصبح الجيش الاسلامي الاخر بقيادة عياض يقاتل في منطقة نائية ومعزولة لا فائدة من وجوده فيها.

يجب على خالد ان يعود بسرعة الى منطقة (الابلّه) ليواصل سيره في الاتجاه

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، الجزء الرابع، ص ٨

المرسوم بمحاذاة نهر الفرات من الجنوب على اطراف الصحراء التي تؤمن له حماية ظهره.

وبهذا تدخل حركته نحو المذار ضمن باب عمليات المطاردة واستثمار الفوز والاحتياطات الامنية المطلوبة.

وهكذا عاد (خالد) مسرعاً نحو (الابلّه) ثم كلّف (سويد بن مقرّن) بالبقاء في منطقة (الحفير) وأمره بالحذر وقلة الغفلة وترك الأغترار ثم خرج سائراً في جنوده نحو (الولجه) لمواجهة الجيش الفارسي الذي يقوده (الأندر زغر) فيها)[١].

خالد بن الوليد ينصب كميناً لعدوّه في الولجه

نقل المثنى الى خالد كافة التحركات والجشود الفارسية سواء منها ما تعلق بالجيش الذي يقوده (أندر زغر) والموجود في منطقة (الولجه) جنوب نهر الفرات أو ما كان متعلقاً بالجيش الذي يقوده بهمن جادوية في منطقة السواد بين النهرين.

ولهذا وضع خالد خطته العسكرية آخذاً باعتباره العاملين التاليين:

أولاً: أن يكسب عامل الوقت فيخوض معركة (الولجه) مع جيش (الاندر زغر) على انفراد وذلك قبل وصول (بهمن جاذويه).

ثانياً: أن يضع (الأندر زغر) بين فكي كماشة، وذلك من خلال كمين منظّم ينصبه لعدوه على التلال المحيطة به من الخلف ويكون هذا الكمين بمثابة احتياط قوي مرن مؤلف من الفرسان وقادر على الحركة في الوقت والاتجاه المناسب ولذلك فقد قسّمه الى قسمين: الأول: بقيادة (بسر بن أبي رهم) والثاني بقيادة (سعيد بن مرة العجلي)[٢].

وقد ظهر خالد بجيشه الصغير امام الفرس ظهور الطّيف الخادع (وعندما رآه (الأندر زغر) استهان به وتعجل خوض المعركة معه قبل أن يصل اليه (بهمن جاذوية) وكان القتال سجالاً بين الطرفين حاول كلا القائدين المتخاصمين فيه انهاك الاخر)[٣] (فأندر زغر) كان يتصور أن خالداً لا بد أن يستسلم بعد هذا الاعياء الذي اصاب جيشه الصغير وخالد كان يرى في اعياء الجيش الفارسي تمهيداً لوضعه بين فكي الكماشة وبعد أن اطمأن خالد الى ان الاعياء قد أخذ يدب في اوصال عدوه أصدر أوامره الى سعيد بن مره العجلي بتنفيذ المهمة والالتفاف من الجناح الايسر ليشكل مع خالد فكي كماشة تطبق على الجيش الفارسي ثم أصدر أوامر الى بسر بن أبي رهم الجهني بأن يلتف من الجناح

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، الجزء الرابع، ص ٨

(٢) الطبري/ تاريخ الأمم والملوك/ الجزء الرابع/ ص ٨/ وكذلك عبد الجبار محمود السامرائي/ معارك خالد بن الوليد ضد الفرس/ الدار العربية للموسوعات بيروت/ ص ٦٦.

(٣) احمد عادل كمال، الطريق الى المدائن، دار النفائس بيروت، ص ٢٣٠

الايمن ويقوم بمهمة منع الجيش الذي يقوده بهمن جاذوية من التدخل بفك الطوق الذي استطاع خالد أن يفرضه على أندر زغر وجيشه وعندما تيقن خالد أن جيش بهمن جاذوية ليس في المنطقة وان الفرس قد انهارت معنوياتهم اصدر اوامره الى بسر بن ابي رهم الجهني بأن يطبق هو الاخر من جهة اليمين على الجيش الفارسي.

أما (الأندر زغر) فعندما لاحظ هذه المفاجآت المتلاحقة من قبل خالد أدرك بأن المعركة قد حسمت لصالح المسلمين وليس امامه الا ان ينجو بنفسه ففر تاركاً جيشه يواجه مصيره المحتوم ولكنه مع ذلك لم ينج من الموت فقد أنهكه الاعياء ومات عطشاً[١].

دراسة تحليلية للموقف الفارسي بعد معركة الولجه

١ ـ تبين للفرس اتجاه التقدم الاسلامي بشكل مؤكد وانهم يسيرون بمحاذاة نهر الفرات باتجاه الحيرة معتمدين على البادية العربية لحماية ظهورهم وانه لا يمكن استدراجهم الى اية جهة اخرى كما لا يمكن صرفهم عن المحور الرئيسي الذي يتحركون عليه.

٢ ـ تبين للفرس ايضاً أنهم لا يجيدون القتال في الصحراء كما يجيده العرب ولذلك فلا بد من الاستنجاد بالقبائل العربية الموالية لهم في هذه المناطق ومعظمها ينتسب الى قبيلة (بكر بن وائل) فهؤلاء العرب الموالين للفرس يتقنون فن القتال في الصحراء كما ان لهم معرفة بطبيعة الارض التي يقاتلون عليها اكثر من الفرس.

٣ ـ سيكون قتال الفرس على نهر الفرات هو قتال اعاقة لمنع تقدم أية قوات اسلامية شمالاً بمحاذاة نهر الفرات.

٤ ـ يمكن استمالة القبائل العربية الموالية للفرس وتحريضهم للأشتراك في القتال ضد المسلمين طلباً للثأر سيما وقد قتل في معركة الولجه كثير من قبيلة بكر بن وائل العربية وكان من بينهم اثنين من ابناء شيوخهم وهما (جابر بن بجير وعبد الاسود العجلي)[٢].

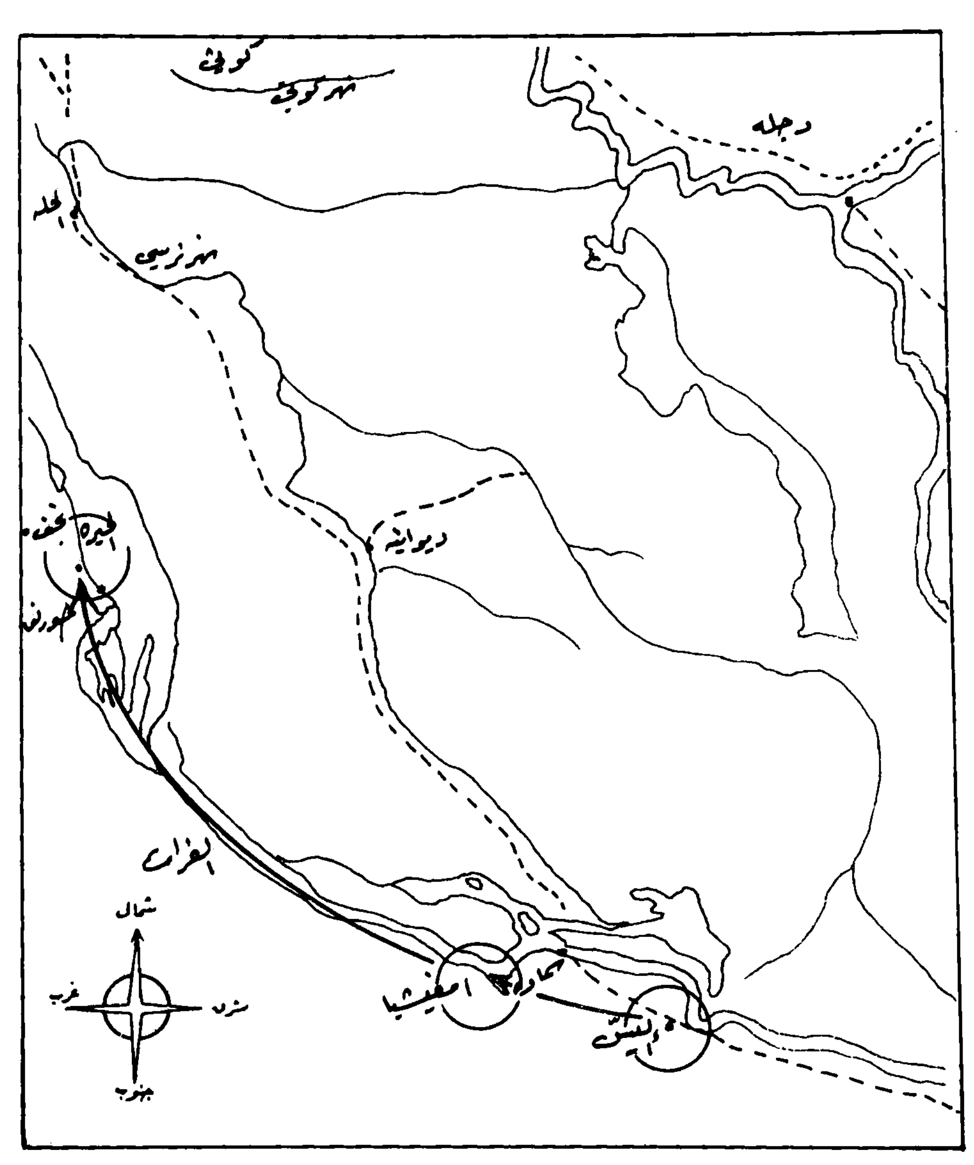
خالد يواصل تقدمه نحو الحيره والفرس يتجمعون في ألّيْس

لقد أخفق الفرس في محاولة التعرض التي نفذها (هرمز) حاكم الابله ضد خالد بن الوليد في معركة كاظمة (ذات السلاسل)، كما اخفقوا ايضاً في محاولة استدراجه نحو نهر دجلة والتي نفذها (قارن) في موقعة المذار واعتبرها خالد نهاية لمرحلة استثمار الفوز والنجاح الذي حققه في كاظمه كما جعل منها موقعاً اسلامياً متقدماً على نهر دجلة لتزويده بالمعلومات عن اية تحركات فارسية في تلك المنطقة كما انها كانت أشبه بحرس المؤخرة

(١) الجنرال أ. إكرم، سيف الله خالد بن الوليد ترجمة العميد الركن صبحي الجابي، مؤسسة الرسالة بيروت، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٩

(٢) احمد عادل كمال، الطريق الى المدائن، دار النفائس بيروت، ص ٢٣١

عمليات خالد في أليس وامغيشيا والحيرة



الذي يمنع أية قوات فارسية في تلك المنطقة من تعقب حركة الجيش الاسلامي المتوجه شمالاً بمحاذاة نهر الفرات كما تمنع الالتفاف عليه.

وكان فشل الفرس فشلاً ذريعاً عندما فتحوا لخالد كماشتهم بين ارض السواد والولجه

وعندما يئس الفرس من محاولة استدراجه للتوغل شمالاً في عمق الاراضي الفارسية وعندما يئسوا من محاولة وضعه بين فكي الكماشة الفارسية فلم يبق امامهم سوى وسيلة واحدة هي منعه من مواصلة التقدم على المحور الذي يتقدم عليه فلقد أدركوا أنه يتقدم على نهر الفرات باتجاه الحيره متخذاً من الصحراء او البادية العربية درعاً أميناً يحمي ظهر قواته.

ولذلك فقد سعى الفرس الى اثارة القبائل العربية في الولجه والموالية لهم على التجمع لقتال المسلمين.

الفرس والعرب الموالون لهم يتجمعون في أُلّيْس

في معركة الولجه قتل اثنان من ابناء زعماء القبائل العربية هما إبنا (جابر بن بجير، عبد الاسود العجلي) ولذلك فقد كاتب هذان الزعيمان العربيان الفرس واعلنا تأييدهم ومناصرتهما لهم.

أرسل (اردشير) الى بهمن جاذوية يأمره بالتوجه على رأس جيش فارسي الى منطقة ألّيس) حيث يلتقي بالقبائل العربية الموالية لهم ويحتشدون هناك بانتظار الجيش الاسلامي الذي يتقدم على هذا المحور باتجاه الحيره)(١).

(وقد ارسل بهمن جاذوية نائبه (جابان) على رأس الجيش وتعلل هو بالانتظار لمقابلة أردشير وأوصاه ان لا يتعجل في مقابلة خالد وان يتجنب ذلك ما استطاع حتى يأتي اليه)(٢).

ولم يكن خالد قد وقف على نبأ (جابان) وجنود فارس وانما بلغه ما كان من تجمع العرب النصارى (بألّيْس) فنهد لهم(٣).

استهان جابان بحجم الجيش الاسلامي الذي يقوده خالد وكان عسكر الفرس يجلسون لتناول وجبة الغداء عندما وصل الجيش الاسلامي اليهم.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، الجزء الرابع، ص ٩

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثاني، ص ٢٤١

(٣) الطبري/ تاريخ الأمم والملوك/ المجلد الرابع ص ٩/ ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ المجلد الثاني/ ص ٢٤١/ وكذلك ابن خلدون/ تاريخ ابن خلدون/ المجلد الثاني بقية الجزء الثاني/ ص ٨٠/ وكذلك ياقوت الحموي/ معجم البلدان/ الجزء الأول/ ص ٣٢٨/ وكذلك محمد ابو الفضل وعلي محمد البجاوي/ ايام العرب في الاسلام/ دار الفكر ص ١٩٢.

(وقد رأى خالد أن يفاجئهم في غدائهم ودارت معركة حامية الوطيس أبلى فيها الفرس والعرب الموالون لهم بلاء شديداً فنذر خالد (لئن مكنه الله من اعدائه فان سيجري النهر بدمائهم) وقد حقق الله له ما اراد فأبر بنذره وسار ماء النهر أحمر قانيا وسميت الموقعه منذ ذلك اليوم بموقعة (أليس او نهر الدم)[1].

وكانت هذه المعركة حاسمة مع الفرس والعرب الموالين لهم حيث واصل خالد تقدمه حيث قدم الى (أمغيشيا) فلم يجد فيها أحداً حيث رحل عنها اهلها طالبين النجاة بأنفسهم ثم واصل تقدمه بعد ذلك الى الحيرة فدخلها وصالح اهلها [2].

وباحتلال الحيره يكون خالد قد أنجز المرحلة الاولى والهامة في قتال الفرس لان الحيره تشكل قاعدة ارتكاز يستطيع من خلالها التقدم لاحتلال المدائن عاصمة الامبراطورية الفارسية.

ولكن خالداً لا يستطيع ان يتقدم الى المدائن في غياب (عياض بن غنم) هكذا نصّت تعليمات الخليفة في رسالته التي وجهها اليهما.

كما ان خالداً لا يستطيع الانتظار في الحيره ريثما يصله (عياض)، والذي يبدو أن لم يتمكن من فتح دومة الجندل وقد وردت الى خالد رسالة من عياض تطلب منه أنه يتحرك لنصرته في دومة الجندل وفي هذه الحالة سيتولى خالد مهمة عياض بن غنم كما تولى من قبل في حروب الرده مهمة عكرمه بن ابي جهل وشرحبيل بن حسنه (قائدي الجيشين الثاني والثالث في حروب الرده).

تحليل الموقف الاسلامي بعد فتح الحيره

ان خطة ابي بكر لفتح العراق تقتضي احتلال الحيره كمرحلة اولى ويكون احتلال المدائن هو المرحلة الثانية ولكنها تفترض تلاقي الجيشين الاسلاميين في الحيره بحيث يتم وضعها بين فكي الكماشة الاسلامية التي يمثل فكها السفلي الجيش القادم من اسفل العراق بقيادة خالد بن الوليد بينما يمثل فكها العلوي الجيش القادم من اعلى العراق بقيادة (عياض بن غنم).

والحيره حسب خطة ابي بكر تصبح بعد فتحها قاعدة ارتكاز واسناد خلال تنفيذ المرحلة الثانية.

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السادس ص ٣٤٦، وكذلك العميد الركن الدكتور ياسين سويد، معارك خالد بن الوليد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٣، ص ١٧٩ ـ ١٨٣

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، الجزء الرابع ص ١١، وكذلك ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد الثاني، بقية الجزء الثاني، ص ٨٠

ولكن الفك العلوي في الكماشة الاسلامية والذي يمثله عياض قد تعطل عن الحركة في دومة الجندل، بينما عمل فكها السفلي بمنتهى السرعة والاتقان.

واذا كان خالد قد أنجز الواجب المطلوب في المرحلة الاولى كما اراده ابو بكر فهل يمضي الى المدائن لتنفيذ المرحلة الثانية؟

واذا استطاع خالد بن الوليد أن يتحرك من كاظمه الى الحيره بأمان مطلق وفرته له البادية العربية التي كانت تحمي ظهره ومؤخرته من أية تحركات فارسية خلالها فكيف يمكن لخالد أن يوفر مثل هذه الحماية اذا توغل نحو المدائن مبتعداً عن الصحراء؟ (رحم الله ابا بكر أيّ رجلٍ عظيم كان).

لقد كان يعرف ان البادية العربية يمكن ان توفر الحماية للجيشين حتى وصولهما (الحيره)، اما الحركة باتجاه المدائن فأن القوات المتجهة نحوها تحتاج الى ترتيبات أمنية اخرى يمكن ان يوفرها احد الجيشين للاخر.

لا يستطيع خالد أن يتحرك من الحيره الى المدائن شرقاً لانه سيترك ظهره مكشوفاً للفرس والمناطق العربية الموالية لهم في كربلاء والانبار والمصيخ (المنـاطق التي كانت تشكل مهمة عياض بن غنم).

كما لا يستطيع خالد أن يتحرك بشكل مباشر الى دومة الجندل غرباً لنجدة عياض بن غنم لنفس السبب ايضاً.

ولا يستطيع الانتظار لفترة طويلة لان ذلك معناه الاخلاد الى الراحة وخير لهذه الجيوش الف مرة ان تخلد للراحة في مناطق شبه الجزيرة العربية من أن تركن الى حياة الدعه والرفاهية في مناطق الحيره وغيرها من المدن الفارسية المترفه.

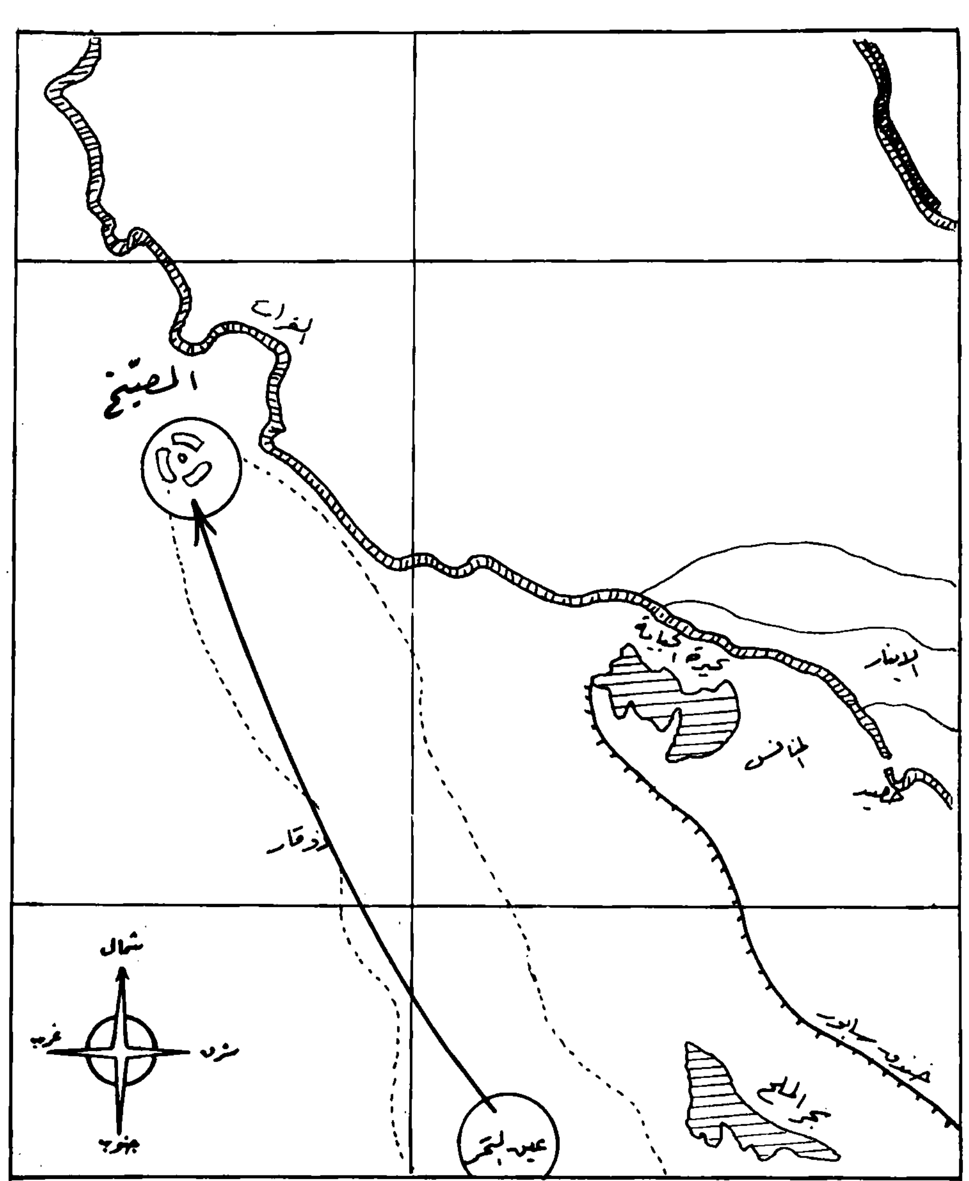
موقف قد يربك أي قائد عسكري باستثناء خالد بن الوليد فهو لم يرتبك قط في حياته العسكرية.

وما دامت حركة خالد باتجاه المدائن في غياب عياض بن غنم غير ممكنه وما دام انتظاره في الحيره لا يجدي نفعاً بل سيعطي مجالاً للفرس للمزيد من التفكير والاستعداد وربما القيام برد فعل مناسب لاسترداد الحيره، والحيره ليست آخر المطاف في رحلته العسكرية.

اذاً لا بد من الالتقاء (بعياض) وقد اسلفنا ان الحركة المباشرة من الحيرة الى دومة الجندل تعتبر مجازفة وتترك ظهره مكشوفا ولذلك لا بد من اتخاذ بعض الترتيبات الامنية الضرورية.

ولهذا تحرك خالد شمالاً نحو كربلاء والانبار ففتحهما ثم ارسل المثنى بن حارثه

حركة خالد إلى المصيّخ



الشيباني في مهمة استطلاعية ليشكل قاعدة متقدمة باتجاه المدائن شرقاً وترك القعقاع نائبه في الحيره ثم توجه من الانبار جنوباً غربياً الى عين التمر ففتحها ثم توجه الى عياض في دومة الجندل ففتحها وصالح اهلها[1].

وعلى ضوء حركة خالد العسكرية من الحيرة الى كربلاء فالانبار على بعد ثلاثمائة كيلو متر شمالاً ثم العودة جنوباً نحو عين التمر ثم التوجه غرباً الى دومة الجندل فان خالد يكون قد وضع نظرية جديدة في الحرب مؤداها: (أن الخطوط المستقيمة نحو الاهداف المطلوبة لا تكون دائماً أقصر الطرق المؤدية اليها).

تحليل موقف خالد بن الوليد بعد ان أنجز مهمة عياض

أنجز خالد مهمة عياض كاملة وضم اليه جيشه كما نصت على ذلك رسالة الخليفة حيث جاء فيها (أن من يصل الى الحيرة أولاً يكون هو قائد جيش العراق).

وخالد قد عمل كل ما يمكن عمله ونفذ المرحلة الاولى بمفرده على خير ما يرام كما أن تعليمات الخليفة واضحة تمام الوضوح (بعد أن يتم فتح الحيرة يتوجه أحد الجيشين الى المدائن بينما يبقى الاخر في الحيرة)، ان وجود جيش في الحيرة هو لحماية ظهر الجيش المتوغل شرقاً باتجاه المدائن.

خالد اذاً لا ينتظر ورود تعليمات جديدة من الخليفة تأمره أو تمنعه من تنفيذ المرحلة الثانية، وخالد قد أرسل نحو المدائن المثنى بن حارثه الشيباني في مهمة استطلاعية قبل أن يتوجه لنجدة عياض في دومة الجندل ومعنى ذلك أن خالداً كان مصمماً على تنفيذ المرحلة الثانية فور انجاز المرحلة الاولى والتي كان اكمالها يقتضي وجود (عياض) وجيشه.

وكان المثنى يشكل قاعدة متقدمة نحو المدائن ويقوم بتزويد خالد المعلومات الضرورية لتنفيذ المرحلة الثانية فخالد لا يؤخذ على حين غره كما لا يسهل على العدو أن يجرّه الى مناطق تقتيل منتخبه.

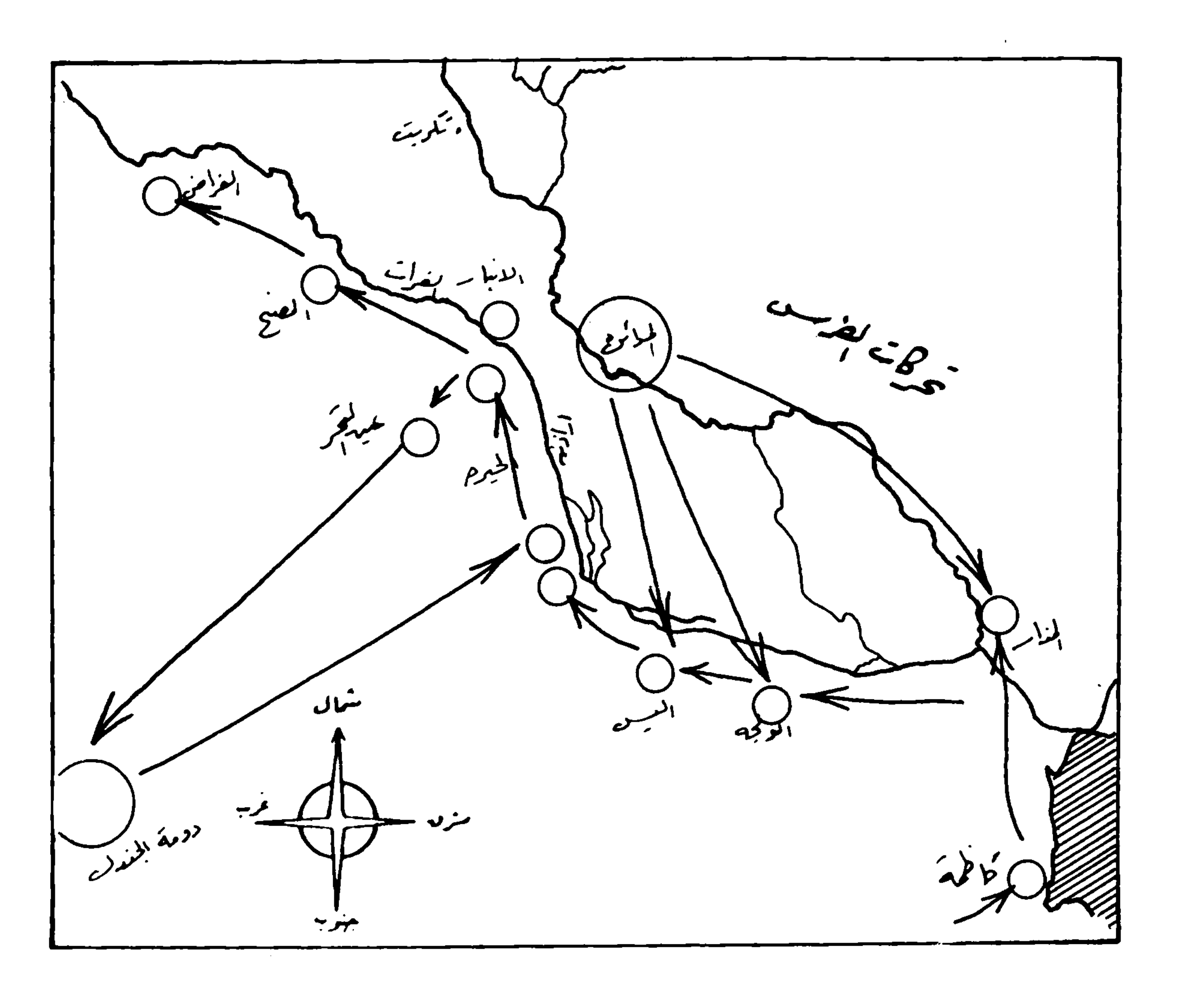
ولهذا أنجز مهمة (عياض) كاملة واستحضره معه الى الحيرة لكي لا يترك ظهره مكشوفاً للفرس اثناء تنفيذ المرحلة الثانية.

وفي هذه الاثناء وبينما كان خالد يقوم باستكمال الترتيبات الضرورية للمرحلة الثانية واذا برسالة من الخليفة تأمره بمغادرة أرض العراق الى الشام فوراً وبدون تأخير لتسلم قيادة الجيوش الاسلامية فيها لان الموقف في بلاد الشام قد تطلب ذلك.

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، الجزء الرابع، ص ٢٠ ـ ٢٤

عمليات خالد العسكرية في العراق



التوجه الى الشام

بعد الانتهاء مباشرة من حروب الردة وقبل عودة خالد بن الوليد من اليمامة أرسل أبو بكر اليه (عياض بن غنم) يأمرهما بالتوجه الى العراق ودخوله من كلا طرفيه الجنوبي والشمالي والاطباق على الحيرة كقاعدة ارتكاز متقدمة لاحتلال المدائن عاصمة الامبراطورية الفارسية.

منذ تلك اللحظة التي قدم فيها (شرحبيل بن حسنة) من الحيرة حاملاً رسالة خالد بن الوليد الى أبي بكر يزف إليه فيها خبر سقوط الحيرة في (٢٧ ربيع الأول ١٢هـ، ١١ يونيو ٦٣٣م)[١] فقد تمخض فكر الخليفة عن قرار استراتيجي هام باعلان الحرب ضد الامبراطورية الرومانية تلاه مباشرة ارسال قوة عسكرية على جناح السرعة الى منطقة (تيماء) بقيادة (خالد بن سعيد)

لقد أدركنا بسهولة اثناء قراءة رسالة أبي بكر الى (خالد بن الوليد وعياض بن غنم)[٢] ان فتح الحيرة كان يشكل مرحلة أولى من مراحل الهجوم على الامبراطورية الفارسية لتكون قاعدة انطلاق لتنفيذ المرحلة الثانية في الهجوم على العاصمة (المدائن).

وتم تنفيذ المرحلة الأولى بنجاح منقطع النظير وفي أقل من ثلاثة أشهر حيث أصبح سقوط العاصمة الفارسية قاب قوسين أو أدنى سيما والمسافة بين الحيرة والمدائن لا تزيد عن خمسين كيلومتراً كانت تنتشر خلالها الطلائع الامامية المتقدمة بقيادة (المثنى).

في مثل هذا الموقف الذي قد ينبلج عن نصر حاسم للمسلمين على الجناح الشرقي للجزيرة العربية نرى الخليفة أبا بكر يصدر قراره بالتوجه شمالا الى بلاد الشام حيث الامبراطورية الرومانية. وكما رأينا الخليفة أبا بكر على عجلة من أمره في توجهه الى العراق رأيناه كذلك في توجهه الى الشام. فهل كان الخليفة خاضعا لعوامل داخلية او خارجية تضغط عليه وتدفع به دفعا الى ساحات العراق والشام ام كان ذلك معروفا اليه قبل انتقال الرسول ﷺ الى الرفيق الأعلى كما كان الحال في تسيير جيش اسامة؟ لا شك ان الرسول ﷺ قد بشر اصحابه بفتح بلاد الشام والعراق اثناء عملية حفر الخندق حول المدينة كما انه قد بعث السرايا الى الاطراف الشمالية للجزيرة العربية ومنها ما وصل الى مؤتة في منطقة البلقاء كما انه أمر في حياته بتشكيل جيش اسامة للثأر من الروم وقد توفي قبل حركة هذا الجيش ولكن الخليفة رغم انفاذه جيش اسامه وفي ظروف صعبة

---

(١) احمد عادل كمال/ الطريق الى دمشق/ص ١٦٠.
(٢) الطبري/تاريخ الامم والملوك/ ج ٤ ص ٢ ـ ٥.

كانت تموج بها الجزيرة العربية الا اننا نجده وبعد القضاء على حركة الارتداد يتوجه الى الميدان الشرقي في العراق وبشكل فوري يدعو الى الاستفسار فما هي الاعتبارات التي ألحت عليه ان يبدأ بالحركة شرقا ثم عاودت ضغطها والحاحها عليه بعد مرحلة معينة لكي يغير حركته بالتوجه شمالا الى بلاد الشام بعد ان أصبح سقوط المدائن محتملا بين عشية وضحاها؟.

ولكي نتابع التحركات العسكرية الاسلامية لا بد لنا من استقراء الأفكار التي كانت تدور في ذهن الخليفة وهو يصدر القرارات ويرسل الجيوش الى ساحات القتال في العراق والشام فالدولة الاسلامية رغم ميلادها ـ منذ أيام الهجرة النبوية من مكة الى المدينة وتعهدها بالرعاية من قبل الرسول ﷺ لمدة ١٠ أعوام في حياته ـ الا ان رمال الصحراء قد مادت بها بعد وفاته وكادت ان تعصف بها رياح المرتدين فتقتلعها من جذورها.

والخليفة أيّاً كانت شخصيته لا بد له بعد وفاة الرسول ﷺ وقيام حركة المرتدين من مواجهة أمرين عظيمين أولهما ترتيب الاوضاع الداخلية في شبه الجزيرة العربية واعادة الحياة الى سابق عهدها ايام الرسول ﷺ وثانيهما حمل الراية الاسلامية خارج الجزيرة العربية ونشر الدعوة في البلدان المجاورة وكلا الامرين يحتاج بالضرورة الى تشكيل الجيوش وتعيين الجهات التي يمكن ان تتوجه اليها، واذا لم يكن ممكنا ان يبدأ أبو بكر في نشر الدعوة قبل اعادة الاستقرار وترتيب الأوضاع الداخلية فانه يتعين عليه بعد استقرار الامور الداخلية ان يحدد الجهة التي سيتطلع اليها.

وتعيين الجهة التي سيوجّه اليها جيوشه لا بد ان يكون قد مر بعملية مفاضلة وحسابات دقيقة ونحن اذا أخذنا بعين الاعتبار موقع الجزيرة العربية على الخريطة السياسية في عالم ذلك الزمن المتمثل بامبراطوريتي الفرس والروم فاننا سنجدها محصورة بينهما ومشتركة معهما في الحدود ولا يمكن للعقيدة الاسلامية ان يكتب لها النجاح أو التوسع والانتشار الا من خلال هاتين الامبراطوريتين. فالامبراطورية الفارسية تحدها من الشرق والشمال الشرقي والامبراطورية الرومانية تحدها من الغرب والشمال الغربي (آخذين بالاعتبار بلاد الشام ومصر والحبشة). واذا كان من خصائص هذا الدين الذي قامت عليه الدولة الاسلامية الناشئة التحدي والهيمنة على كل ما سواه من الأفكار والمعتقدات واذا كان الخليفة لا يملك ان يغير حرفا واحدا في دستوره فان تشكيل الجيوش امر حتمي تفرضه مصلحة الدفاع عن هذا الدين ان لم تكن تفرضه مسألة نشره وتبليغه ثم اذا كان أمر هذا الدين ليس سراً ولا خافياً على الامبراطوريتين الكبيرتين قبل وفاة النبي (ص) فان القضاء عليه في مهده أمر تفرضه مصلحة تلك

الدولتين الفارسية والرومانية ولا سيما بعد وفاة الرسول ﷺ وسيصبح التعجيل في مهاجمة الجزيرة العربية مطلباً ملحا من كلتيهما سيما وقد أخذت رمال الصحراء تتحرك بفعل تعاظم بركان الارتداد، ولما كانت الحكمة السياسية لكلا الدولتين تقتضي التريث حيناً حتى تتمكن القبائل العربية من تصفية بعضها بعضا فان الغاية السياسية لهما ربما تتمثل في الزحف باتجاه الجزيرة العربية في مرحلة الاعياء والانهاك لذا كانت قرارات ابي بكر الاستراتيجية ضرورية ولازمة كما جاءت توقيتاتها في أوانها المطلوب فلم يكن الموقف الامني يحتمل الانتظار في اعلان الحرب على المرتدين كما لم يسمح بتسريح الجيوش او اعادتها الى قواعدها بعد تصفية المرتدين. عمل واحد فقط يستطيع ان يضطلع به ابو بكر بعد حروب الردة وهو ان يعلن الحرب على الفرس والروم ولا مجال مع الخليفة في ذلك الى خيار فشبه الجزيرة العربية هي قاعدة الدولة الاسلامية الناشئة ومنها يكون منطلق العقيدة وهذه القاعدة يجب ان تكون قوية وصالحة لانطلاق القوات منها.

ان انتهاء حروب الردة في نهاية العام الحادي عشر للهجرة وابتداء عمليات الفتح الاسلامي في مطلع السنة الثانية عشر للهجرة باتجاه العراق حيث الامبراطورية الفارسية لم يكن بمحض الصدفة او بفعل المغامرة فالقبائل العربية التي ارتدت وكذلك الجيوش الاسلامية التي حاربتها قد خرجت جميعها منهكة من حروب الردة وفقدت اعدادا هائلة من خيرة رجالها وهي بحاجة الى فترة زمنية للراحة. ولكننا اذا أخذنا بعين الاعتبار ان تلك الجيوش لم تكن نظامية ولا دائمة وانما تعتمد على استنفار الخليفة للامة ودعوتها الى الجهاد كلما استدعت الظروف ذلك واذا أخذنا بعين الاعتبار ايضا طبيعة هذه الدولة الفتية الناشئة واطماع الدولتين الفارسية والرومانية وخشيتهما من خطرها وان مصلحتهما تشترك في زوالها سيما وقد سنحت الفرصة أو تهيأت بعد وفاة الرسول (ﷺ) وشيوع حركة الارتداد. واذا أضفنا الى كل ذلك طبيعة تكوين المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية وحداثته بالاسلام وصلته بالرواسب القبلية الجاهلية وما أحدثته حروب الردة من قتل وما يمكن ان تؤدي اليه من ثارات اذا أدركنا هذه الظروف التي كانت تحيط بالدولة الاسلامية وحرص الخليفة على مصلحة الدولة واستراتيجية الفتح فاننا حينئذ سندرك مغزى الخليفة من استعجال عملية الفتح وتحريك القوات خارج شبه الجزيرة العربية قبل ان يأذن لها بالعودة الى المدينة المنورة او يسمح لها بالراحة فترة من الزمن. أمّا القضية الثانية التي تتعلق بالتوجه نحو العراق قبل الشام وذلك واضح من رسالة ابي بكر الى (خالد بن الوليد وعياض بن غنم) قبل عودتهما إلى المدينة من شواطىء الخليج العربي والبحر الأحمر فان تفسير هذه القضية يرتبط بالناحية الجغرافية واثرها على

تسيير الحملات العسكرية الى ساحات العراق والشام فعلى الرغم من ارتباط شبه الجزيرة العربية بحدود مشتركة مع الدولتين الفارسية والرومانية الا ان طبيعة هذه الحدود وامتدادها الجغرافي نحو الشمال الشرقي لمسافات طويلة يقلل من الناحة الامنية التي تتعلق بسلامة القوات المتحركة نحو بلاد الشام، فلو افترضنا توجه الجيوش الاسلامية الى الشام أولاً فان أي احتمال للتعاون بين الفرس والروم معناه ان يتم عزل هذه الجيوش في مناطق بلاد الشام عن قاعدتها الاصلية في المدينة لو فكرت الامبراطورية الفارسية بالقيام بأية عمليات في شمال شبه الجزيرة العربية ومعنى ذلك ان التوجه نحو الشام قبل تأمين الجناح الشرقي الأيمن في العراق غير مأمون العواقب، ولذلك فان اعلان الحرب على الامبراطورية الرومانية يجب ان يكون مسبوقاً بتأمين الشواطىء الغربية لنهر الفرات. معنى ذلك ان القوات الاسلامية بقيادة (خالد) لن تتوغل في عمق الاراضي الفارسية ولن تتجاوز نهر الفرات شرقاً الا لغايات امنية تتطلبها العمليات العسكرية على طول نهر الفرات وهذا ما حصل فعلا في معركة (المذار)[١] على نهر دجلة لكي تكون قاعدة متقدمة في تلك المنطقة تزوده بالمعلومات وتؤمن لمؤخراته الحماية الضرورية، وبقي انتشار القوات الاسلامية شرقي نهر الفرات مقصورا على جنود من قوات حرس المقدمة التي كانت تعمل تحت قيادة المثنى بن حارثة الشيباني وكان واجبها تزويد الجيش الاسلامي بالمعلومات عن قوات الفرس وحشودها.

واذا كانت عمليات خالد بن الوليد في العراق من الناحية العسكرية قد حققت العنصر الأمني المطلوب للقوات التي ستعمل في بلاد الشام فانها من الناحية السياسية قد أضافت بعداً استراتيجيا بفصل الامبراطوريتين ومنع قيام اي تعاون عسكري محتمل بينهما ومما يعزز وجهة النظر هذه (ان (أبا بكر) وبعد ان وصله (شرحبيل بن حسنة) حاملا رسالة خالد بن الوليد يزف اليه خبر احتلال الحيرة امر بتشكيل جيش بقيادة (خالد بن سعيد) للتوجه الى منطقة تيماء)[٢] على مشارف بلاد الشام ثم استنفر العرب واعلن الحرب ضد الامبراطورية الرومانية.

وبعد ان اطمأن ابو بكر الى قيام خالد بن الوليد بمهمة (عياض) الموكلة اليه والمتعلقة بالحصون الفارسية الشمالية على نهر الفرات في منطقة (الفراض ـ المصيّخ ـ الحصير ـ الخنافس ـ عين التمر) (اصدر اوامره الى (خالد) بالتوجه الى بلاد الشام على رأس قوة عسكرية (قوامها تسعة الاف مقاتل (نصف القوة الاسلامية في العراق) لتولي

---

(١) الطبري/تاريخ الأمم والملوك/ج ٤/ص (٧ ـ ٨)
(٢) الطبري/تاريخ الأمم والملوك/ج ٤/ص (٢٨ ـ ٣٠)

قيادة الجيوش الاسلامية فيها)[1] وعملية تحريك جيش العراق مع نصف القوة العسكرية الى بلاد الشام يعني بلا شك ان مسرح العمليات في الشام اصبح يتصدر اهتمام الخليفة علما بان بلاد فارس لو كانت تأخذ الاهتمام الأول في سلم الاولويات لكان ارجاء تحريك الجيوش فترة من الزمن هو الانسب سيما وقد اصبحت المدائن عاصمة الامبراطورية الفارسية بعد فتح الحيرة تحت رحمة سيف خالد بن الوليد كما اصبح سقوطها بيد المسلمين امراً مؤكداً.

ونحن اذا سلمنا للمنطق القائل بان فتح بلاد الشام كان يتصدر قائمة التوجهات الاسلامية في ذهن الخليفة فما هي الغاية المترتبة على مثل هذا التوجه او ما هي ابعاد النظرة الاسلامية في توجهها نحو الشام؟ وهل كانت القسطنطينية في تصور الخليفة تشكل البوابة الشرقية التي يمكن ان يدخل منها الاسلام الى أوروبا؟، قد يكون مثل هذا التصور جائزاً وممكنا ولكن الذي يتتبع سير الفتوحات الاسلامية فيما بعد يرى انها سلكت غير هذا السبيل كما يدرك ان أولوية فتح المدائن وبلاد فارس قد تقدم كثيراً من الناحية الزمنية على فتح القسطنطينية والذي تأخر حتى عام (١٤٥٣م) فبعد ان تم فتح بلاد الشام لم تتوغل القوات الاسلامية شمالا في اراضي الامبراطورية الرومانية بل صدرت لها الأوامر بالتوجه شرقا نحو الامبراطورية الفارسية وغربا نحو مصر وشمال افريقيا، كما نلاحظ ان حركة الفتوحات الاسلامية فيما بعد قد سلكت باتجاه اوروبا من خلال بوابتها الغربية في الاندلس وليس من خلال بوابتها الشرقية في القسطنطينية. كما أن المسلمين لم يتمكنوا في يوم من الأيام من فتح كماشتهم في كل من اسبانيا والقسطنطينية في وقت واحد ولهذا فقد تعذر على الاطلاق وضع اوروبا بين فكي الكماشة الاسلامية.

ففي الوقت الذي نجح فيه المسلمون في عبور مضيق جبل طارق وفتح بلاد الاندلس فقد كانوا عاجزين فيه عن فتح القسطنطينية، وفي الوقت الذي تم لهم فيه فتحها على أيدي العثمانيين عام ١٤٥٣ كان الاسبان يقومون بطرد المسلمين من بلادهم.

يتبين لنا مما تقدم بانه لا الامبراطورية الرومانية ولا الفارسية كانتا تتصدران قائمة اولوية الفتوحات الاسلامية ولكن الذي كان يتصدرها باعتقادنا هو بلاد الشام والعراق ومصر وبعبارة أخرى (لقد بدأت الدعوة بقريش (في مكة) ثم المدينة وبقية شبه الجزيرة العربية ثم أخذت تتوسع بعد ذلك لتشمل عرب المناذرة والغساسنة في بلاد العراق والشام ثم العرب الاقباط في بلاد مصر حيث تقوم الشعوب العربية المسلمة بعد

---

(١) الطبري/تاريخ الأمم والملوك/الجزء الرابع/ص ٣٢.
وكذلك صادق ابراهيم عرجون/كتاب خالد بن الوليد/ص (٢١٨ ـ ٢٤٦)

ذلك بحمل راية الدعوة الاسلامية الى ما يجاورها من الأمم والأمصار، واذا استحوذ عرب الامبراطورية الرومانية على اهتمام الخليفة بعد عرب الامبراطورية الفارسية او احتلت بلاد الشام مركز الصدارة في ذهن ابي بكر بعد تأمين الجناح الشرقي مع الدولة الفارسية او الشاطىء الغربي على نهر الفرات على وجه الدقة والتحديد وبعد ان تمكن الخليفة من عزل الامبراطوريتين الكبيرتين عن بعضهما ومنع قيام اي تعاون محتمل بينهما في أي شكل من الأشكال فاننا نراه لا يتريث في اصدار قراره الاستراتيجي باعلان الحرب ضد الامبراطورية الرومانية والتوجه الى بلاد الشام.

والذي يوازن بين حركة ا لجيوش الاسلامية المتوجهة الى بلاد الشام والمهام المحددة لها من جهة وبين الجيوش التي توجهت قبل ذلك الى العراق يدرك ان خطة ابي بكر لبلاد الشام كانت مختلفة تماما عن خطته العسكرية في بلاد العراق.

وسبب الاختلاف يكمن في طبيعة الاهداف (شكلها ومدى قربها من البادية العربية او تأثيرها على سير العمليات العسكرية اللاحقة).

ونظره سريعة لتلك الأهداف المنتخبة خلال المرحلة الأولى من مراحل القتال مع الفرس (احتلال الحيرة) يتبين لنا انها جميعا تقع على الشواطىء الغربية لنهر الفرات باستثناء (المذار) على نهر دجلة والتي كانت ضرورية للعمليات اللاحقة، ولذلك فان المسلمين قاتلوا في العراق خلال هذه المرحلة على اطراف الصحراء محمية ظهورهم من أية عمليات التفاف محتملة حيث لا يجرؤ الفرس على قتال الصحراء، كما ان قرب المدائن من الحيرة كان يضيف ميزة اخرى لصالح المسلمين ضد الفرس.

أما الجيوش المتوجهة الى بلاد الشام فقد كانت مضطرة الى التغلغل في عمق الاراضي الشامية والابتعاد التدريجي عن مركز الخلافة الاسلامية بشكل خاص والصحراء العربية بشكل عام كما ان اتساع الاراضي الشامية من الغرب الى الشرق ومن الجنوب الى الشمال يفرض على الجيوش الاسلامية التجزئة والانتشار الذي قد يفقدها القدرة على مواجهة الحشود الرومانية كما يضيف اليها صعوبة كبيرة في القيادة والاتصالات، بينما سيكون بمقدور القيادة الرومانية التعامل معها بشكل منفرد وذلك باستدراجها وعزلها عن بعضها وتدميرها جيشا بعد اخر (كما حدث مع خالد بن سعيد في (مرج الصفر)[١].

ولما كان اتساع منطقة بلاد الشام يفرض تجزئة القوة الاسلامية الى مناطق متباعدة يصعب معها على قائد واحد امكانية السيطرة والاتصال لذلك فقد رأى الخليفة

---

(١) ابن خلدون/تاريخ ابن خلدون/المجلد الثاني/بقية الجزء الثاني/ص ٨٤.

ابو بكر تقسيم مسرح العمليات في بلاد الشام الى مناطق عمليات حدد لكل منها جيش خاص فكان (يزيد بن ابي سفيان لمنطقة دمشق وشرحبيل بن حسنة لمنطقة الاردن وابو عبيدة لمنطقة حمص وعمرو بن العاص لمنطقة فلسطين كما وضع لها جيشاً من الأحتياط بقيادة خالد بن سعيد في منطقة (تيماء) ثم أصدر أوامره بان تتحرك هذه الجيوش بشكل مستقل ضمن مناطق عملياتها على ان يجري التعاون والتنسيق بين قياداتها اذا تعرض أحدها للخطر بحيث تخوض معاركها مع الروم محتشدة تحت قيادة (أبي عبيدة) ثم تعود بعد ذلك الى الانتشار في مناطق عملها مرة أخرى)[١].

لذلك فان جميع هذه الجيوش ستكون دائمة الحركة والدوران ضمن مناطق مسؤولياتها ولذلك ايضا اطلق العسكريون على خطة ابي بكر العسكرية لفتح بلاد الشام اصطلاح (المروحة العسكرية) بينما اطلقوا على خطته العسكرية لاحتلال الحيرة في العراق اصطلاح (فكي الكماشة)[٢].

ومن مظاهر الاختلاف الرئيسية بين هاتين الخطتين ايضا ان خطة فكي الكماشة في العراق كانت مبنية على أساس التعامل مع حاضرة الامبراطورية الفارسية في المدائن باحتلالها من أقرب نقطة ارتكاز لها في الحيرة وذلك لأن جسم هذه الامبراطورية يمتد الاف الكيلومترات جنوبا وشرقا بينما يطل رأسها على الصحراء العربية من المدائن.

أما خطة المروحة العسكرية في بلاد الشام فقد بنيت على أساس التعامل مع جسم الامبراطورية الرومانية واطرافها وليس مع حاضرتها التي كانت تمتد الاف الكيلومترات شمالا في القسطنطينية.

ولما كان جسمها واسعا وممتدا لذلك فان طبيعة قتال المسلمين فيها أخذ شكل حرب الاستنزاف الذي استغرق مدة طويلة.

---

(١) الطبري/تاريخ الامم والملوك/ج ٤/ص ٢٨.
(٢) احمد عادل كمال/الطريق الى المدائن/ص ٢٠٧.

خطة الروم في مواجهة الجيوش الاسلامية

لم تختلف الخطط العسكرية التي طبقها الروم ضد المسلمين في بلاد الشام عن تلك التي استخدمها الفرس ضد المسلمين في العراق فكلا الطرفين الروم والفرس لجأ الى استخدام خطة عسكرية تقليدية تعتمد على استدراج القوات الاسلامية نحو الداخل وذلك بقصد ابعادهم عن البادية العربية لكي يسهل عزلهم وتطويقهم ثم تدميرهم في نهاية المطاف.

فكما حاول الفرس استدراج المسلمين باتجاه نهر دجلة والمناطق الواقعة بين النهرين في منطقة السواد كذلك حاول الروم استدراج المسلمين نحو حلب وانطاكيا.

وفي الوقت الذي كان فيه الفرس والروم واثقين من عمليات الاستدراج تلك الا ان المسلمين كانوا على درجة عالية من اليقظة والحذر ومعرفة ما يجيدون من فنون القتال وما يجهلون منها والأرض التي يحسنون القتال عليها وتلك التي ليس بمقدورهم مواجهة اعدائهم فيها.

وفي الوقت الذي كان الروم والفرس يحاولون سحب الجيوش الاسلامية وجرها بعيدا عن الصحراء تمهيدا لعزلها وتطويقها كانت هذه الجيوش تتراجع نحو الصحراء وتستند اليها وقد ظهر ذلك جليا في جميع المعارك التي خاضتها القوات الاسلامية في ساحات العراق والشام ففي العراق مثلا كانت جميع المعارك تدور على الشواطىء الغربية لنهر الفرات حتى معركة القادسية فقد خطط المسلمون لخوضها على أطراف البادية العربية حيث انتظروا قدوم جيش فارس مدة طويلة.

أما في بلاد الشام فمعركة أجنادين كانت على اطراف صحراء النقب ومعركة فحل كانت تستند الى البادية الشرقية للاردن ومعركة اليرموك كانت تستند الى بادية الشام الشرقية والى نهر اليرموك كمانع طبيعي يمنع التفاف الروم من الجهة الغربية.

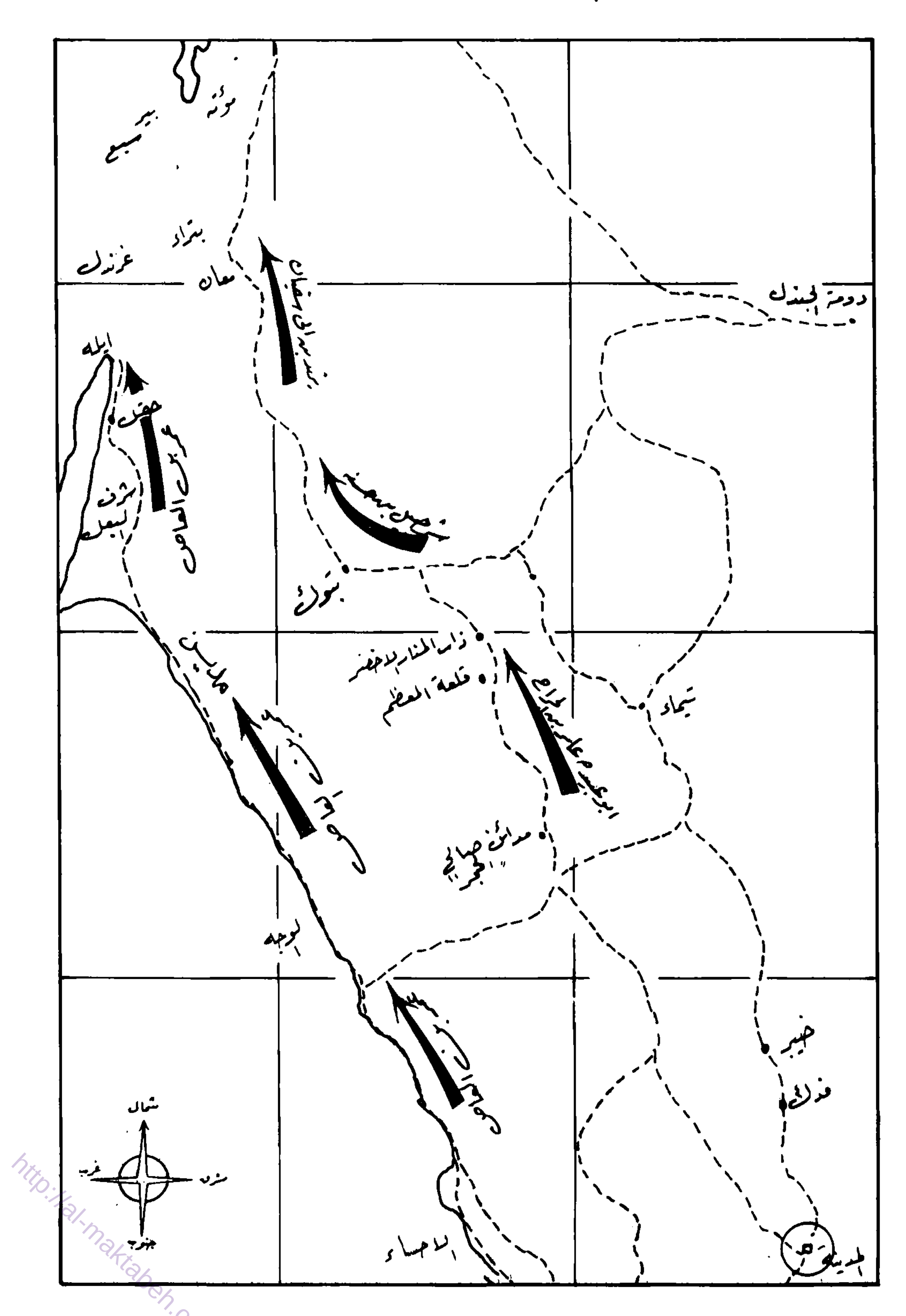
حركة الجيوش الاسلامية نحو بلاد الشام

بعد ان تمكن خالد بن الوليد من (فتح الحيرة في ربيع الأول من العام الثاني عشر للهجرة)[1] وتأمين الجناح الشرقي مع الفرس اخذت الجيوش الاسلامية تتدفق نحو بلاد الشام (حيث تحرك خالد بن سعيد على رأس قوة عسكرية الى منطقة تيماء في شمال الحجاز على الطريق العام الى الشام في (٤ ربيع ثاني ١٢ هـ ـ ١٨ يونيو ٦٣٣ م)[2] ويعتقد

(١) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ المجلد الثاني/ص ٢٤٤

(٢) الطبري/ تاريخ الأمم والملوك/ الجزء الرابع/ ص ٢٨ ـ ٢٩/ وكذلك احمد عادل كمال/ الطريق الى الشام/ ص ١٧٠/ وكذلك الجنرال غلوب/ امبراطورية العرب/ تعريب خيري حماد/ دار الكتاب العربي بيروت/ الطبعة الاولى/ ١٩٦٦/ ص ٤٤.

حركة الجيوش الإسلامية الأربعة نحو الشام



ان واجبه الرئيسي كان يتعلق في تأمين الطريق العام الذي ستسلكه الجيوش المتوجهة الى الشام وكذلك المحافظة على مصادر المياه في تلك المنطقة التي تتوفر فيها الابار كما يشكل قوة احتياطية متقدمة تستطيع تعزيز الجبهتين الشمالية والشرقية. ثم تتابعت حركة الجيوش الاربعة الى الشام حيث تحرك يزيد بن ابي سفيان من المدينة في (اول سنة ١٣ هـ) سالكا الطريق الى مدائن صالح ـ تبوك ثم الى معان فمؤتة ودمشق ثم تلاه شرحبيل بن حسنة بعد ثلاثة ايام سالكا نفس طريق التبوكية نحو منطقة بصرى.

أما أبو عبيدة فقد خرج من المدينة بعد عشرة ايام تقريبا من سير شرحبيل وعلى نفس الطريق أيضاً)[١]

والملاحظ في حركة هذه الجيوش انها استخدمت الفاصل الزمني خلال حركتها على طريق التبوكية الى الشام كما راعت امكانية هذه الطريق على الاستيعاب وقد تم تأمين الحماية الضرورية لها من قبل جيش خالد بن سعيد الذي عسكر في منطقة تيماء (الى الشرق قليلاً من مدائن صالح) اضافة الى توفير مصادر تموين المياه اليها.

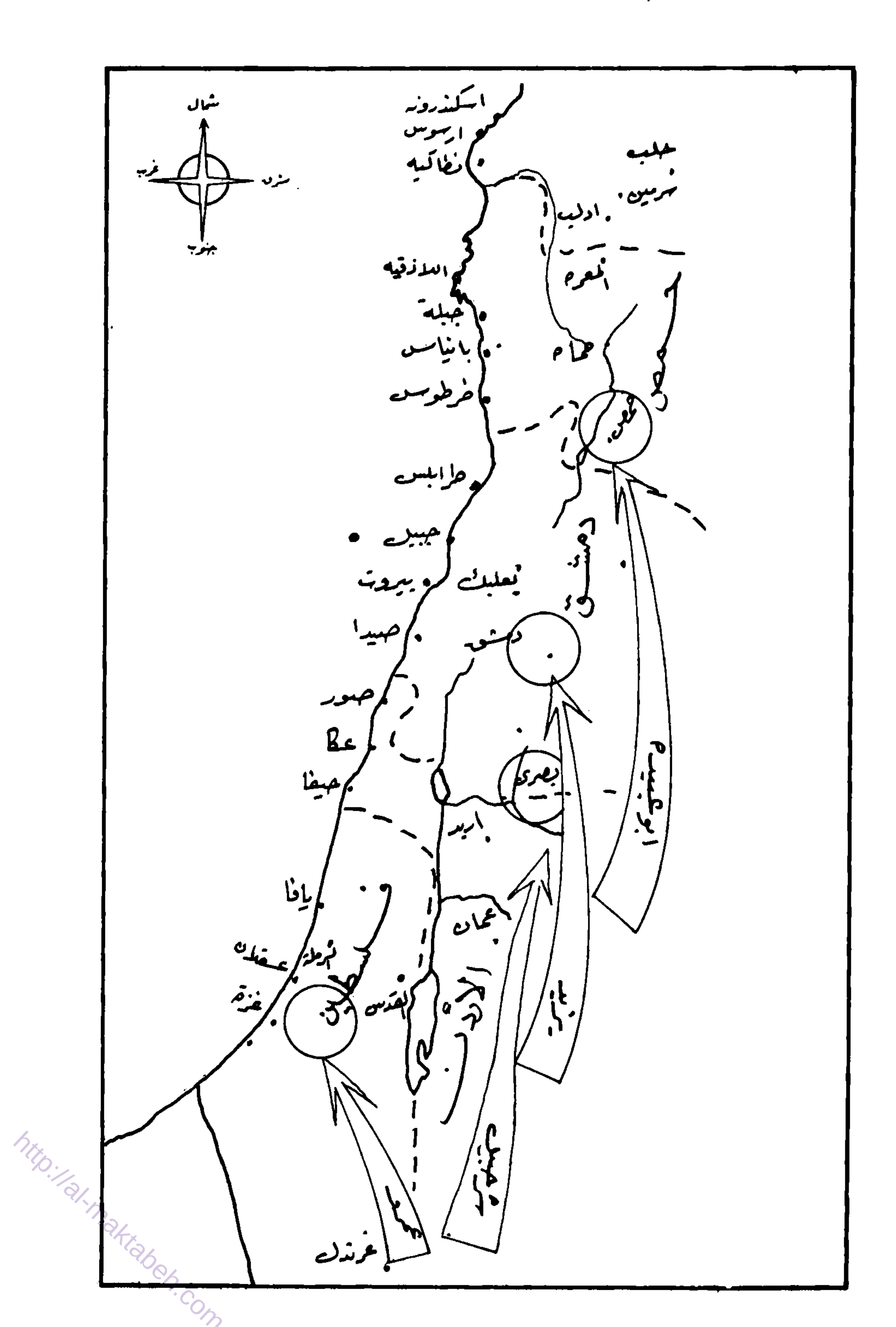
وأما جيش عمرو بن العاص فقد تأخر خروجه ستة اشهر تقريباً حيث تحرك في (٣ محرم ١٣هـ الموافق ١٠ مارس ٦٣٤م) وسبب حركته على طريق المعرّقة باتجاه ساحل البحر الأحمر الى فلسطين يعود الى أهمية هذه المنطقة وأثرها البالغ الخطورة على الجيوش الاسلامية التي توجهت الى بلاد الشام على طريق التبوكية سيما بعد (معركة (العربة وداثن التي وقعت قبل قدوم خالد بن الوليد الى الشام حيث حاول الروم بقيادة بطريق غزة الالتفاف خلف الجيوش الاسلامية من منطقة وادي عربة لقطع الامدادات عنها بجيش قوامه ثلاثة الاف وقد كان من المفروض ان تتم معالجة هذه القوة من قبل جيش الاحتياط في تيماء مما اضطر ابي عبيدة الى ان يوجه يزيد بن ابي سفيان الى الجيش الروماني في منطقة وادي عربة)[٢] وكان (يزيد) ما زال موجودا في منطقة البلقاء بينما كان شرحبيل بن حسنة في منطقة (بصرى) وأبو عبيدة في منطقة (الجابية).

(وقد كان للروم في بلاد الشام جيشان احدهما في فلسطين وقوامه ٧٠ ألف جندي والاخر في حمص وقوامه ١٠٠ مائة الف جندي)[٣]. لذلك كان لا بد من ارسال جيش الى فلسطين لمواجهة الجيش الروماني فيها فتحرك جيش عمرو بن العاص سالكا طريق (المعرّقة) الساحلية على البحر الأحمر الى منطقة (أيلة) العقبة حاليا ثم الى فلسطين مخترقا وادي عربة الى الشمال الغربي (وبعد ان تحرك عمرو بن العاص الى فلسطين

---

(١) الطبري/تاريخ الأمم والملوك/ج ٤/ص (٢٨ ـ ٣١).
(٢) البلاذري/فتوح البلدان/دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣/ص ١١٧.
(٣) احمد عادل كمال/الطريق الى دمشق/ص (٢٧٧).

وصول الجيوش الاسلامية الاربعة الى اهدافها في الشام



تحرك خالد بن سعيد من تيماء الى بلاد الشام بعد أن استأذن الخليفة أبا بكر ولكن خالد بن سعيد توغل كثيراً حتى وصل (مرج الصفر) حيث استدرجه الروم والحقوا به هزيمة ساحقة في ٤ محرم ١٣هـ الموافق ١١ مارس ٦٣٤م وهي اول هزيمة تحل بأحد الجيوش الاسلامية وقد جاءت في بداية الفتح الاسلامي لبلاد الشام)[١]

وبعد هزيمة خالد بن سعيد في (مرج الصفر) تجرأ الروم كثيرا وبدأوا بحشد قواتهم في كل من حمص وفلسطين للقيام بهجوم مضاد من اتجاهين احدهما ينفذه الجيش الثاني من حمص ويتحرك على (الخطوط الداخلية) لتثبيت القوات الاسلامية في مناطق بصرى ودمشق والجابية وثانيهما ينفذه الجيش الأول من فلسطين ويتحرك على الخطوط الخارجية لمنع جيش عمرو بن العاص من دخول فلسطين وعزل القوات الاسلامية بحركة التفاف سريعة من منطقة (أيلة) باتجاه معان وقطع اية علاقة لهذه الجيوش بقاعدتها الرئيسية في المدينة.

ازاء هذا الموقف والالحاح الشديد من قبل ابي عبيدة بشكل خاص وبقية قادة الجيوش الاسلامية بشكل عام قام الخليفة ابو بكر بمراجعة شاملة للموقف على الجبهتين (العراقية والشامية) تبين له من خلالها ان الحاجة قد اصبحت ملحّة في بلاد الشام الى قيادة ميدانية عليا تكون اكثر خبرةً ودرايةً بفنون القتال كما ان الموقف في العراق يبعث على الاطمئنان لذلك (فقد كتب الى خالد بن الوليد يأمره بالتحرك الى بلاد الشام لتولي قيادة الجيوش الاسلامية فيها كما أمره ان يصطحب معه نصف القوات الاسلامية على الجبهة العراقية فوافاهم في ربيع سنة ١٣ هجرية)[٢]

حركة خالد بن الوليد من العراق الى الشام

لقد استحوذت حركة خالد العسكرية من العراق الى الشام على اهتمام الباحثين والدارسين وقد تولاها الرواه والمؤرخون بالعناية والاسهاب. والذي يتتبع سير الحركات العسكرية في التاريخ يرى ان حركة (خالد) تلك لم تكن الأولى ولا الاخيرة من نوعها فقبل ميلاد السيد المسيح عليه السلام باربعة قرون تقريبا تحرك الاسكندر المكدوني من بلاد اليونان وعبر قارة اسيا من الغرب الى الشرق حتى وصل بلاد الهند والسند وقضى على الامبراطورية الفارسية التي كانت تسيطر على معظم تلك البلاد.

وقبل ميلاده عليه السلام بثلاثة قرون أيضاً تحرك هنيبال الفنيقي العربي من قرطاجنة في تونس قاصدا بلاد الرومان وباتجاه غير مباشر الى اسبانيا حيث احتلها وبنى فيها مدينة (قرطاجة) الجديدة على الشواطىء الاسبانية ثم عبر جبال الالب واجتاح بلاد الرومان من اقصى شمالها الى اقصى جنوبها.

(١) الطبري/تاريخ الأمم والملوك/ج ٤/ص (٣٠) وكذلك احمد عادل كمال الطريق الى دمشق ص (٢٢٧ ـ ٢٢٩)
(٢) الطبري/تاريخ الأمم والملوك/ الجزء الرابع/ص ٣٢

وفي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي تحرك هولاكو من بلاد التتار في جنوب شرق القارة الاسيوية فدمر بغداد عاصمة الخلافة العباسية واستولى على بلاد الشام ثم وصلت طلائع جيشه الى حدود مصر حيث تصدى له المسلمون بقيادة السلطان قطز والظاهر بيبرس المملوكيين وانتصروا عليه في معركة عين جالوت عام ١٢٦٠ ميلادية.

وفي العصر الحديث كانت الحرب العالمية الأولى والثانية وما جرى خلالهما من تحركات عسكرية من قبل جيوش دول المحور والحلفاء بقيادة (رومل ـ ومونتجمري) ومع ذلك فقد بقيت حركة (خالد) العسكرية من العراق الى الشام تتصدر قائمة التحركات العسكرية وتستولي على اذهان الباحثين والدارسين.

عجيب كل ما كان يأتيه ذلك القائد العسكري العجيب وما كان يصدر عنه من صنائع وافعال. فحركته العسكرية من العراق الى الشام ليست اولى عجائبه التي اصطنعها في حياته ولا هي أعظمها على الاطلاق فلقد سبق له ان انتصر على المسلمين في معركة (أحد) وكان بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان خالد قائدا لفرسان المشركين من قريش كما سبق له ان اعاد شبه الجزيرة العربية الى حظيرة الاسلام بعد ان ارتدت ناكصة على اعقابها لا تلوى على شيء. فواجه مسيلمة الكذاب وانتصر عليه وقتله في معركة اليمامة بعد ان عجزت بقية الجيوش الاسلامية عن مواجهته. ولقد سبق له ايضا ان عبر العراق من أقصى جنوبه الى أقصى شماله سالكا ضفاف الفرات ومنتصرا على حشود الفرس والعرب الموالين لهم في جميع المعارك التي خاضها معهم وبمدة لا تزيد عن اربعين يوما ثم يصدع لأوامر ابي بكر فيتخفف للحركة في نصف جيشه الى الشام تاركا نصفه الاخر في العراق بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني. ان رحلة خالد العسكرية من الحيرة في العراق الى (بصرى) في بلاد الشام تمثل الشطر الثاني في حركة الاقتراب غير المباشر نحو بلاد الشام هذه الحركة التي تمثل مدن (اليمامة والحيرة وبصرى) أهم معالمها الرئيسية.

على أثر التحركات الرومانية المضادة في فلسطين والشام ونجاحهم في استدراج (خالد بن سعيد) والانتصار عليه في معركة (مرج الصفر) جنوب دمشق كتب ابو عبيدة الى أبي بكر يخبره عن الحشود الرومانية الهائلة وتحركاتهم المضادة وتراجع الجيوش الاسلامية الى منطقة (بصرى) ملحّاً عليه في ارسال المزيد من الامدادات قبل خوض المعركة الفاصلة مع الروم.

وبعد ان قرأ الخليفة رسالة ابي عبيدة اجتمع بمستشاريه وتداول معهم الموقف العام على الجبهتين الشرقية والشمالية، ويمكن القول بان الموقف على الجبهة الشرقية مع الفرس كان اكثر ايحاء بالسلامة والاطمئنان من الموقف على الجبهة الشمالية مع الروم

ولكنه مع ذلك كان يتطلب الابقاء على نصف القوات هناك لتأمين سلامة الموقف في بلاد الشام من اية عمليات عزل يمكن ان تنفذها القوات الفارسية في حالة وجود تعاون عسكري مع الروم ولمنع الامبراطورية الفارسية من اعادة هيمنتها على القبائل العربية على طول شواطىء الفرات التي تم تحريرها من أيديهم.

كما يمكن القول بان الموقف على الجبهة الشمالية مع الروم كان محتاجاً الى قيادة عسكرية ميدانية خبيرة وملمّة بجميع فنون القتال ولم يكن قد تأتّى للقيادة هناك الفرصة الكافية التي تؤهلهم للاضطلاع بهذا الدور كما تأتت لخالد بن الوليد ولذلك قال ابو بكر قولته المشهورة (والله لأنسينّ الروم وساوس الشيطان بخالد)[1].

وكتب اليه يأمره بالحركة الى الشام وتولى قيادة الجيوش الاسلامية فيها.

ولما كان الوضع العام للجيوش الاسلامية في بلاد الشام على غاية كبيرة من الخطورة فان ذلك كان يتطلب من خالد بن الوليد ان يتحرك بأقصى سرعة ممكنة لتدارك الموقف هناك سيما وقد بدأ الروم في تنفيذ هجماتهم المضادة كما نجحوا في ا لاحاطة بجيش (خالد بن سعيد) واوقعوا فيه هزيمة منكرة في (مرج الصفر) ولما كان جلاء المسلمين عن المناطق التي افتتحوها في حمص ودمشق وبصرى وفلسطين يوحي بأن موقفهم كان في غاية الحرج والخطورة لهذا فقد كتب خالد بن الوليد الى المسلمين في الشام يقول:

(ان كتاب خليفة رسول الله ﷺ أتاني يأمرني بالمسير اليكم وقد شمرت وانكمشت (أسرعت) وكأن خيلي قد أطلت عليكم في رجال فأبشروا بانجاز موعود الله وحسن ثوابه)[2].

وعلى ضوء هذه الرسالة ومن خلال التحليل الذي أسلفناه يظهر أنّ عامل السرعة كمطلب أساسي ملحّ في حركة خالد تتوقف عليه بقية عوامل النجاح او الفشل في بلاد الشام.

واذا كان الاتجاه المباشر او الخط المستقيم ليس أقصر الطرق المؤدية الى النجاح المنشود في الحرب فان ذلك قد يكون نظرية حتمية في غياب بعض عوامل النجاح الاساسية للمعركة عند اعتماد نظرية الخط المستقيم كفقدان عامل الامن والمفاجأة ونقص القوات الصديقة او في حالة وجود قوات معادية على الطريق المستقيم لا تشكل هدفا مطلوبا بل تقتضي طبيعة الموقف العام عدم مواجهتها الى غير ذلك من العوامل التي

---

(١) الواقدي/فتوح الشام/ج ١/ص (٢٤ ـ ٢٥).
(٢) احمد عادل كمال/الطريق الى دمشق/ص ٢٤٠ وكذلك صادق ابراهيم عرجون في كتابه خالد بن الوليد ص ٢٤١.

لا تجعل من الاتجاه المباشر او الخط المستقيم أقصر الطرق المؤدية الى تحقيق النجاح، اما اذا كان الاتجاه المباشر او المستقيم نحو الهدف المنشود لا يتعارض مع عوامل النجاح الاساسية فان ذلك معناه انه أقصر الطرق الى الأهداف المنشودة وأفضلها.

لقد طبق خالد نظرية الاتجاه المباشر (المستقيم) نحو الاهداف كما طبق نظرية الاتجاه غير المباشر ايضا وذلك عندما كان الموقف يستدعي ان يسلك في هذا الاتجاه او ذاك، وقد أتقن كلتيهما ونجح في ذلك غاية النجاح.

ونحن اذا اعتبرنا ان تأمين شواطىء الفرات من الجنوب الى الشمال كان مطلبا ضروريا يتوقف على نجاحه ارسال الجيوش الى الشام فاننا سنكون متيقنين بان تكليف (خالد وعياض) لفتح الحيرة هو من قبيل التوجه غير المباشر لفتح الشام.

وعلى هذا الاساس يكون خالد بن الوليد قد سلك نحو الشام اتجاها غير مباشر لتأمين الجناح الشرقي مع الفرس على طول نهر الفرات بينما سلكت الجيوش الاربعة بقيادة (ابي عبيدة ويزيد وشرحبيل وعمرو بن العاص) اتجاها مباشرا نحو الشام من المدينة المنورة.

أما المرحلة الثانية في حركة (خالد) العسكرية نحو الشام فقد بدأت من (الحيرة الى بصرى) وهذه الحركة هي التي اشغلت أقلام المؤرخين كما استحوذت على أذهان الباحثين والدارسين رغم ان (خالد بن الوليد) في حركته الأولى من (اليمامة الى الحيرة) قد حلّق عاليا في مجال التخطيط والابداع العسكري حيث أربك قادة فارس وانتصر عليهم في جميع المعارك التي خاضها معهم وكان في كل معركة منها يفرض على عدوه واقعا جديداً لا طاقة لهم في مواجهته او تغييره.

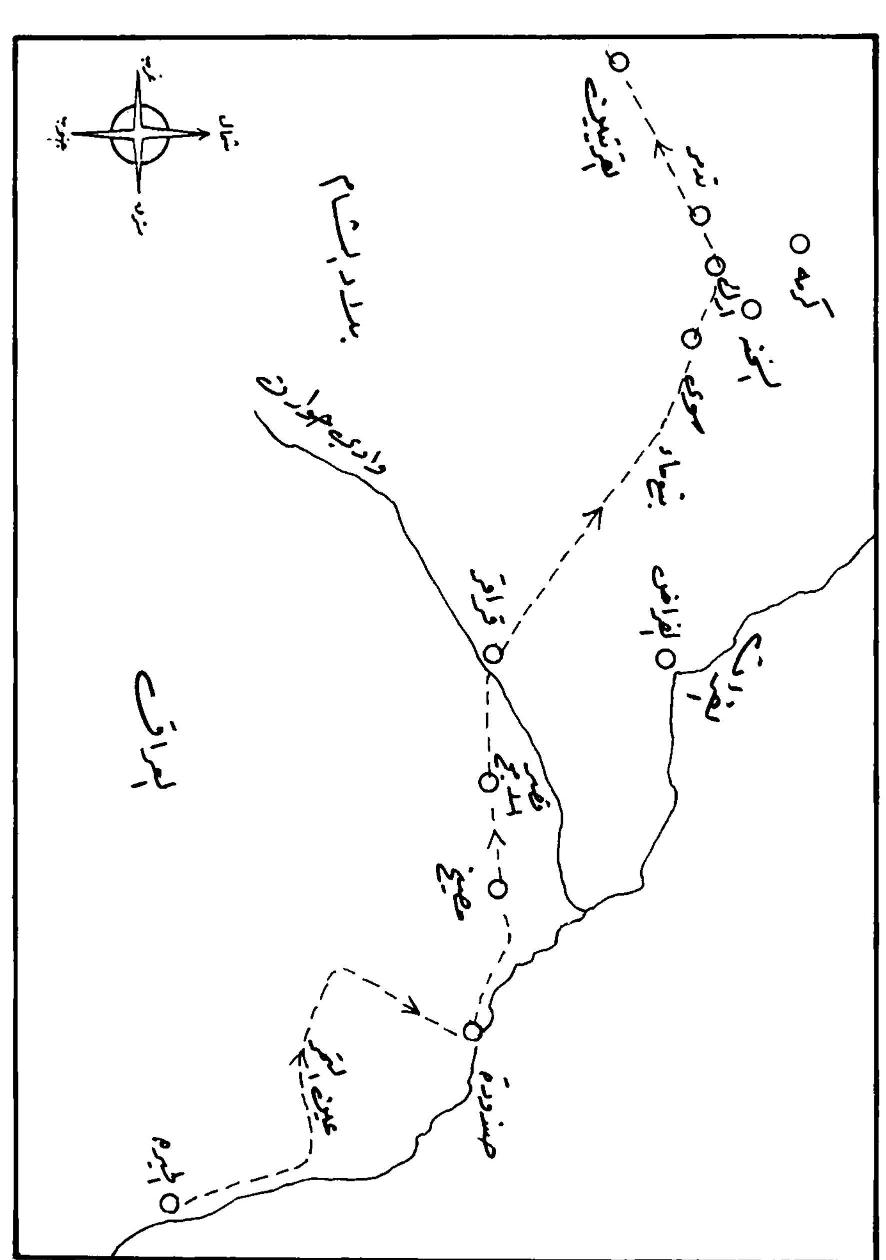
وقد اختلف الرواة في الطريق الذي سلكه خالد من الحيرة الى بصرى ولكنهم أجمعوا على أنه سلك احدى الطرق الاربعة التالية:[(١)]

١ ـ طريق القوافل والبريد الشمالية من الحيرة وبموازاة نهر الفرات شمالا الى دير الزور فتدمر فدمشق الى مدينة بصرى.
٢ ـ الطريق الجنوبية الى دومة الجندل ثم الأزرق ومنها الى بصرى.
٣ ـ طريق الحيرة ـ عين التمر ـ قراقر ـ ابو الشامات ـ الغوطة ومنها الى بصرى.
٤ ـ طريق الحيرة ـ عين التمر ـ قراقر ـ سوى ـ أرك ـ تدمر ـ دمشق ـ بصرى.

ولكي نرجح احدى هذه الطرق من وجهة نظر خالد بن الوليد لا بد ان نأخذ بعين الاعتبار ما يخدم منها الموقف في بلاد الشام ثم نرفض بعد ذلك جميع الطرق الأخرى.

(١) عميد ركن دكتور: محمود سويد/معارك خالد بن الوليد/ص (٢٣٢ ـ ٢٣٨).

الجزء الثاني من حركة خالد العسكرية من الحيرة إلى الشام



ومن خلال تحليلنا للموقف العام في بلاد الشام تبين لنا انه على غاية من الخطورة وان عامل السرعة يفوق كل العوامل الأخرى وان كل ساعة تمر سدى ربما يتبدل فيها الموقف لغير صالح الجيوش الاسلامية هناك وربما ينقلب رأسا على عقب فالكماشة الرومانية المفتوحة في فلسطين وحمص أخذت تتحرك نحو الجنوب وتضغط على المسلمين بين فكيها بينما كان المسلمون لا يملكون الا التراجع نحو البادية العربية لكي تستند اليها ظهورهم ويأمنون على الأقل التفاف الروم من خلفهم ريثما تأتي امدادات الخليفة او تعليماته.

ولذلك فإن طريق القوافل الشمالية، بمحاذاة (نهر الفرات الى دير الزور فتدمر) طويلة وهي مطروقة ليلا ونهارا ولا بد للروم من العلم بحركة المسلمين عليها واعاقتهم او منعهم من دخول الشام كما انها لا تخلو من الحصون والقلاع الرومانية سيما وانها منطقة حدود مشتركة بين الفرس والروم وقد جرى تحصينها من قبل الطرفين بسبب الحروب القائمة بينهما والتي سبقت ظهور الاسلام بقليل.

أما حسنات هذه الطريق فهي تتلخص في وفرة المياه واماكن ا لاستراحة كما ان من يسلكها يتجنب مخاطر الهلاك في الصحراء.

أما الطريق الجنوبية الى دومة الجندل فالازرق فهي طويلة جدا ولكنها أمينة ولقد سبق لخالد ان سلكها عندما توجه لفتح دومة الجندل ونجدة (عياض) كما ان القبائل العربية على طول الطريق الى (بصرى) قد أسلمت لأن الجيوش الاسلامية قد فتحت تلك المناطق وسيطرت عليها ومن حسناتها أيضاً وفرة المياه فيها وابتعاد القوات التي تسلكها عن الدخول في الصحراء المهلكة، وتكاد تنحصر سلبيات هذه الطريق في طولها المضيع للوقت الذي يعول خالد على عامل السرعة في كسبه لتحقيق النجاح المطلوب.

الطريق رقم ٣. تتجه بشكل مباشر الى (الغوطة ثم بصرى مارة في عين التمر وقراقر وابو الشامات) وهي اقصر الطرق ولكنها مع ذلك اكثر استغراقا للوقت لأنها تصطدم مع الحصون والقوات الرومانية كما ان القوات التي تسلكها لا بد لها من التوغل في الصحراء ولا تحقق المفاجأة وهي رغم قصرها الا ان القوات قد تتأخر عليها لمدة طويلة قبل ان تصل الى أهدافها بسبب كثرة حصونها وانتشار القوات المعادية عليها.

الطريق رقم ٤. تشترك مع الطريق رقم ٣ في البداية من (الحيرة الى عين التمر وقراقر ومن هناك تنعطف الى الشمال مارة بمفازة مهلكة الى سوى ثم أرك فتدمر)[1] حيث

---

(١) الواقدي/فتوح الشام/دار الجيل بيروت/الجزء الأول/ص ٢٤ ـ ٢٩.

تلتقي مع الطريق الشمالية ثم تنعطف جنوبا نحو دمشق فبصرى، وتكمن خطورة هذه الطريق وأهميتها في المسافة من (قراقر الى سوى).

أما خطورتها على القوات التي تسلكها فهي انها ستكون مضطرة الى مسيرة خمسة ايام بلياليها تحت لهيب الصحراء المحرقة ودون ان تجد فيها قطرة ماء.

وأما أهميتها فتكمن في قصرها وعدم وجود حصون معادية فيها الا في منطقة تدمر حيث تكون القوات قد دخلت بلاد الشام وحققت عامل المفاجأة وكأن القوات قد تسللت من خلال الصحراء وظهرت فجأة امام اهدافها الحاسمة.

يتبين من خلال استعراضنا للطرق وتحليلها بشكل عام ان الطريق رقم ٤ فقط هو الذي يوفر الوقت ويحقق المفاجأة والسرعة ولكن القوات التي تسلكه تتعرض لمجازفة خطيرة في قطع المفازة المهلكة بين (قراقر وسوى) ولهذا فان الأمن الذي توفره الصحراء للقوات فيها مصحوب بخطر الموت عطشا.

وكان على خالد ان يوازن بين المغامرة بجيشه وادخاله تلك المفازة المهلكة كسبا للوقت وانقاذا للموقف العام في الشام او التضحية بالوقت وعدم تعريض جيشه لاحتمال الهلاك عطشا في الصحراء.

ولو رجح خالد التضحية بالوقت على المغامرة بجيشه لكانت طريق (دومة الجندل) هي أنسب الطرق التي يمكن ان يسلكها الى الشام لتلك الاسباب التي تم ذكرها آنفا.

ولكن انقاذ الموقف المتردي على الجبهة الشامية وهزيمة (خالد بن سعيد) في (مرج الصفر) والحشود الرومانية الهائلة في حمص وفلسطين وانتزاعها زمام المبادرة وتراجع المسلمين الى منطقة (بصرى) للدفاع على اطراف الصحراء كل ذلك كان يلحّ على (خالد ابن الوليد) للاسراع في انقاذ الموقف المتدهور هناك لذلك فقد اسقط الطريقين الشمالية والجنوبية من حسابه لطولهما كما أسقط طريق أبو الشامات لأنها تتسبب في اعاقته وتأخيره لكثرة التحصينات والقوات المعادية عليها.

ورجح الطريق (رقم ٤) مجازفا بقطع المفازة المهلكة من (قراقر الى سوى)، واهمية حركة خالد بن الوليد ليست في مجازفته على طريق المفازة المهلكة وانما تكمن في تخطيطه لقطع الطريق وقدرته على النجاح في اجتيازها ووصوله في الوقت المطلوب لتولي قيادة الجيوش الاسلامية ومباشرته اسلوب التعرض ضد الجيوش الرومانية بدلا من الدفاع المستند الى الصحراء.

واذا كانت شدة حرارة الشمس نهارا وعدم توفر الماء والحاجة الى دليل خبير بالطريق مضافا الى عامل الوقت في جملة المشاكل التي يتعرض لها سالك الصحراء

فلا بد للقائد العسكري الخبير ان يذللها ويتغلب عليها، فاذا بدت المشكلة عسيرة في نظر عامة الناس فانها ستكون سهلة ويسيرة لدى خاصتهم فكيف وقد عرضت امام زعيم الخاصة وسيدهم خالد بن الوليد.

لقد كان قوام جيشه تسعة آلاف ووسائط النقل المتوفرة هي الخيل والجمال واذا كان الجيش يحتاج الى الطعام والماء فان الخيل والجمال تحتاج الى ذلك ايضا وعليه ان يوفرها اثناء قطع الصحراء لذلك فقد حمل الماء اللازم للجيش على ظهور الجمال كما جعل منها طعاما لهم ثم استحدم عددا كافيا من الجمال كصهاريج متنقلة حيث عطشها ثم سقاها حتى امتلأت أجوافها وقطع بعد ذلك مشافرها كي لا تجتر، وعند أوقات الطعام كان ينحر بعضها فيأكل الجيش لحومها وتشرب الخيل من الماء المخزون في أجوافها (وكان خالد اول من استخدم الجمال كصهاريج مياه متنقلة مع الجيش)[١]

أما لهيب الشمس المحرقة في الصحراء فلقد اتقاها خالد بأسلوب الحركة ليلا والاستراحة نهارا واسلوب الحركة الليلية يخفف من الارهاق ويجنب حرارة الشمس ولكنه يحتاج الى الدليل الخبير في الصحراء، والعرب هم أهل الصحراء ولديهم الخبرة الكافية في النجوم التي تحدد الاتجاهات اثناء المسير ليلا، أما (رافع بن عمير الطائي) الذي استخدمه خالد دليلا له فقد كان الرجل الوحيد الذي سبق له ان مر في هذه الطريق مع والده عندما كان غلاما وفي منطقة (سوى) كان رافع دليلهم لمعرفة مكان الماء حيث كان قد شرب منه في رحلته السابقة مع والده.

وأما عامل الوقت فقد كان خالد سريعا جدا في حركته الليلية حيث كـان يقطع مسيرة اليومين في ليلة واحدة وقد استغرقت رحلته من الحيرة الى بصرى ثمانية عشر يوما بينما كان يتطلب قطعها الى مدة تزيد على شهر كامل.

تلك كانت رحلة خالد العسكرية من العراق الى الشام والتي شكّلت المرحلة الثانية من حركة الاقتراب غير المباشر نحو الشام عن طريق العراق لتأمين الجناح الشرقي مع الفرس قبل توغل الجيوش الاسلامية في بلاد الشام.

---

(١) عميد ركن دكتور: محمود سويد/معارك خالد بن الوليد ص ٢٤٢.

الموقف العام لكلا الطرفين
قبل معركة اليرموك

١. **موقف الروم** : عندما شرعت الجيوش الاسلامية بالتدفق نحو بلاد الشام (كان هرقل الروم في مدينة القدس وقد وصلته أخبار هذه الجيوش والانتصارات المذهلة التي احرزتها فغادر فلسطين متوجها الى دمشق ومنها الى حمص فأنطاكيه حيث اتخذ منها مقرا لقيادته العسكرية. ويعتقد ان عودة هرقل الى انطاكية من فلسطين لم تكن هروبا من مواجهة المسلمين كما يصفها بعض المحللين العسكريين وانما هي تدبير حتمي تفرضه طبيعة الظروف التي استجدت في الاطراف الجنوبية من امبراطوريته لذلك كانت عودته سريعة ولم تستغرق اكثر من اسبوعين كما يقول المؤرخون وذلك كي يتمكن من اتخاذ الترتيبات الضرورية لاحتواء وطرد هذه الجيوش الغازية)[1].

اما اتخاذه انطاكيه مقرا لقيادته العسكرية وليس دمشق او القدس مثلا فذلك يرجع الى قرب هذه المدينة من عاصمة ملكه القسطنطينية وقربها ايضا من اوروبا احتياطه الكبير في الدعم والامداد، كما انها تقع في مكان متوسط ومناسب لتوجيه العمليات العسكرية في بلاد الشام.

لم يكن هرقل متأكداً من قصد المسلمين في بداية الامر ولكنه على اي حال كان يعرف ان مهمة جيوش الفتح الاسلامية تختلف كثيراً عن تلك المهمة التي نفذها الجيش الاسلامي في منطقة مؤتة قبل وفاة الرسول ﷺ، ولئن كان باستطاعة هرقل ان يعرف تماماً النوايا الاسلامية ولو بعد فترة من الزمن الا ان انتشار الجيوش في الاطراف الجنوبية لمملكته على مساحات شاسعة كان يقلقه اشد القلق سيما وقد تناهت الى مسامعه الانتصارات الساحقة والسريعة التي سجلها الجيش الاسلامي ضد الفرس بقيادة خالد بن الوليد، لذلك فقد كان الموقف الذي يواجهه هرقل مع الجيوش الاسلامية في بلاد الشام ليس سهلا كيوم مؤته ولكنه موقف صعب يحتاج الى عناية كبيرة في التخطيط والتدبير، فلقد كان يعرف تماما ان العرب لم يأتوا لكي يسلبوه قطعة من الارض او ينازعوه عليها ولو كان الامر كذلك لقدم لهم الارض وكل ما يطلبون من الاموال والهدايا ولكن هرقل كانت قد وصلته رسالة النبي ﷺ في وقت سابق يدعوه فيها الى الاسلام ويذكره بما هو مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وكان هرقل يعرف كل ذلك ولكن أبهة الملك وعظمة السلطان كانت تأبى عليه الاستجابة للدعوة الاسلامية ولهذا فقد كان متأكدا ان المسلمين قد جاؤا لكي يسلبون ملكه وسلطانه.

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السابع، منشورات مكتبة المعارف ببيروت ص ٥، وكذلك احمد عادل كمال، الطريق الى دمشق ص ١٩٦.

فلا بد اذاً من العناية الدقيقة في التخطيط والتدبير واولى المستلزمات الضرورية للتخطيط معرفة كافة التفاصيل عن العدو وفي مقدمتها تعليل الاسباب التي تحقق له التفوق وتديم له النصر.

واذا كان الكثيرون يردون الانتصارات التي حققها المسلمون في ميادين القتال الى العقيدة الاسلامية فقط فان هذه العقيدة كانت تشكل شبحا مرعبا يطارد هرقل في صحوه ونومه ولا يكاد يفارقه ابدا كما (ان القول بانتصار العقيدة كما يقول الاديب الكبير عباس محمود العقاد لا يغني عن كل قول فليس كل مناضل متذرع بالعقيدة صالح للانتصار في كل مكان وزمان والشواهد على ذلك كثيرة ففي الوقت الذي اخفق فيه عكرمة بن ابي جهل وشرحبيل بن حسنة في مواجهة مسيلمة الكذاب انتصر عليه خالد بن الوليد في اليمامة)[١]

وفي الوقت الذي عجز فيه عياض بن غنم عن فتح دومة الجندل كان خالد بن الوليد ينتقل في ساحات القتال مع الفرس من نصر الى نصر، فهي عقيدة صالحة توفر لها رجال قادرون على حملها وفي طليعة هؤلاء الرجال خالد بن الوليد.

ولا بد لهرقل اذن من التفكير في طبيعة قتال هؤلاء العرب المسلمين والاسلوب الذي يمكن ان يستخدمه في مواجهتهم، فلقد كان يدرك ان العرب يعتمدون كثيرا على الصحراء في حماية ظهورهم ولذلك فقد حاول استدراجهم بعيدا عن الصحراء العربية وقد وصلت طلائعهم الامامية الى منطقة حمص ولكنه عندما بدأ بتنفيذ هجومه المعاكس وجد ان المسلمين يجتمعون في منطقة بصرى على اطراف البادية العربية ولذلك فقد فشلت خطته في استدراجهم واحتوائهم ثم تدميرهم.

وما دامت خطة الاحتواء قد فشلت فليجرب معهم (فكي الكماشة) لهذا نجده يفتح الكماشة الرومانية في فلسطين ودمشق في آنٍ واحد واستطاع بذلك ان ينتزع زمام المبادرة من ايدي المسلمين وان يبادرهم بالتعرض على طول الجبهة بينما تحول الموقف الاسلامي الى التراجع التدريجي نحو الصحراء.

وفي هذه الاثناء وصل خالد بن الوليد من العراق على رأس جيش قوامه تسعة الاف مقاتل تقريبا)[٢].

---

(١) عباس محمود العقاد، العبقريات الاسلامية، عبقرية خالد ص ٨٤٩.

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع ص ٣٢

خالد بن الوليد
يستعيد زمام المبادرة

بعد ان اطلع خالد على الموقف العام وجد أن عليه ان ينفذ احد الخيارات الثلاثة التالية:

الخيار الاول: ان يبقى في بصرى ومعه (ابو عبيدة ويزيد وشرحبيل) وذلك لمواجهة الجيش الروماني الثاني الذي اخذ يزحف من حمص باتجاه بصرى فيخوض معه معركة حاسمة بينما (يقوم عمرو بن العاص بمفرده بمواجهة الجيش الروماني الاول في فلسطين، والذي بعث به هرقل لمواجهة عمرو بن العاص في أجنادين، وهذا الخيار صعب لأن عمرو لا يستطيع مواجهة الجيش الروماني الاول في فلسطين حيث يبلغ عدده تسعين الف فارس، بينما جيش عمرو لا يزيد عن سبعة الآف)[1].

الخيار الثاني: ان يبقى في بصرى ويستدعي عمرو بن العاص من فلسطين ليخوض مع الروم معركة فاصلة في منطقة بصرى (ولكنه في هذه الحالة سيعطي مجالا للجيش الروماني الاول ان يتجه نحو معان وينفذ مهمة عزل الجيوش الاسلامية بالشام عن قاعدتها الرئيسية في المدينة المنورة وربما ينفذ (وردان) قائد هذا الجيش ما وعد به (هرقل) من الوصول الى (مكة والمدينة) ويهدم الكعبة)[2].

الخيار الثالث: ان يقوم بتوجيه ضربة مفاجئة وسريعة للجيش الروماني الاول في فلسطين واذا تحقق له ذلك فانه يكون قد نجح في تحطيم احدى فكي الكماشة الرومانية وهذا الخيار يتطلب منه ان يتحرك هو ومن معه من المسلمين الى الميدان الذي يقاتل عليه عمرو بن العاص.

ان انتصار المسلمين على الروم في هذه المعركة معناه استعادة زمام المبادرة واستئناف التعرض، وهذا ما قصد اليه خالد بن الوليد عندما (ارسل الى عمرو بن العاص يأمره بالبقاء في فلسطين ويخبره بأنه قادم اليه بمن معه من المسلمين)[3] ولقد كان ظهور خالد بن الوليد في أجنادين (في مطلع جمادى الاول ١٣ هـ مفاجأة كبيرة لقائد الجيش الروماني فلقد كان اعتقاده وتدبيره منصبا لمقاتلة جيش واحد قوامه سبعة الاف بقيادة عمرو بن العاص وليس الجيوش الاسلامية كلها بقيادة خالد بن الوليد، انها المفاجأة التي تذهل العقل فما الذي أتى بخالد من العراق الى الشام وفي وقت كان فيه

---

(١) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول، دار الجيل بيروت ص ٤٨

(٢) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول ص ٤١.

(٣) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول ص ٤٩

قائد الجيش الروماني يتصور نفسه اسدا ينتظر اللحظة المناسبة للانقضاض على فريسته؟ *لقد انقلبت الامور فجأة وتبدل الموقف في ساعة الانقضاض واصبح الاسد* المفترس فريسة سهلة وبدلا من ان يتدارك الموقف طلب قائد الروم من جنوده ان يلفوا رأسه لكي لا يرى شيئا، وهكذا انتهت أجنادين بمفاجأة مذهلة افقدت قائد الجيش الروماني في فلسطين امكانية الحركة وحرمته فرصة التفكير في الموقف الجديد او اعادة النظر في الخطة الموضوعة، وقد ذكر خالد بن الوليد في رسالته الى ابي بكر أن (جملة من احصيناهم ممن قتل من المشركين في اجنادين خمسون ألفاً وجملة من قتل من المسلمين فيها أربعماية وخمسون رجلاً)[١].

وكتب خالد بن الوليد الى ابي بكر يخبره بانتصار المسلمين على الروم في اجنادين وبعودته بمن معه من المسلمين الى دمشق.

اما ما كان من هرقل فقد روعه انتصار المسلمين على قواته في اجنادين ولكن الذي اذهله وافقده رشده ظهور خالد بن الوليد بهذا الشكل المفاجيء في بلاد الشام فلقد طبقت شهرته الافاق حيث زلزل بانتصاراته الساحقة في العراق عرش الامبراطورية الفارسية في المدائن ولقد سبقت لهرقل وجيوشه معرفة أكيدة بخالد يوم مؤتة حيث تمكن بعبقريته الخلاقة من سحب الجيش الاسلامي الصغير من بين انياب الجيش الروماني بسلام ودون ان يصيب الوهن نفوس المسلمين او يقلل من هيبتهم في نفوس اعدائهم فما الذي يستطيع هرقل ان يفعله لفك الحصار عن دمشق؟ وما الذي يستطيع ان يفعله في مواجهة خالد بن الوليد؟

ان سقوط دمشق بأيدي المسلمين سيعجل في سقوط المدن الشامية الواحدة تلو الاخرى كما ان خوض معركة فاصلة حول دمشق ما زال مبكرا والحشود الرومانية لم تكتمل بعد.

ان باستطاعته ان يكرر لعبته الاولى ولكن ليس ضد عمرو بن العاص في فلسطين وانما ضد شرحبيل بن حسنة في غور الاردن وهو بذلك يضع خالد امام احتمالين.

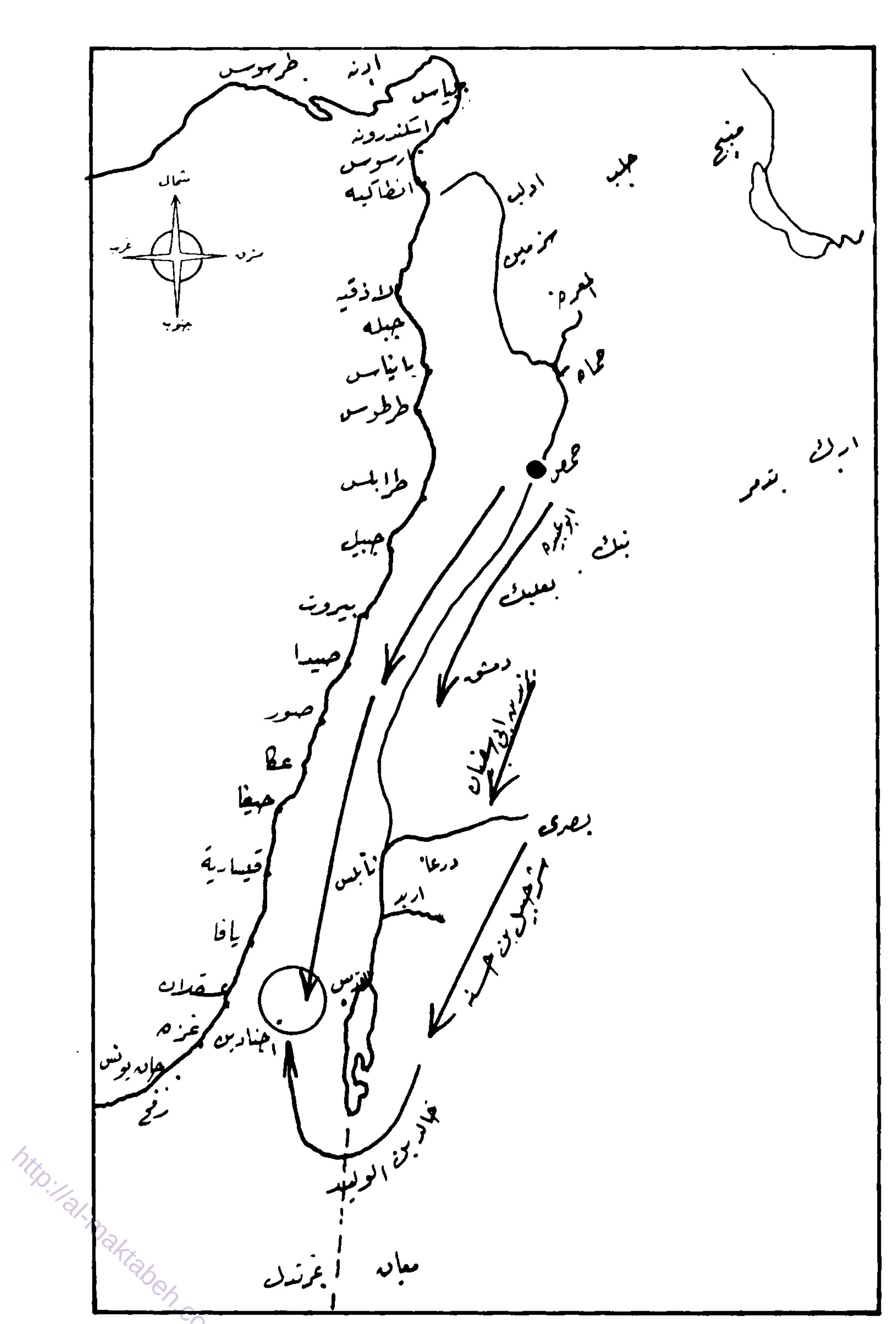
(أحدهما) أن يهب خالد ومن معه لنجدة شرحبيل فيكون هرقل قد نجح في رفع الحصار عن دمشق واعطى قواته مرة اخرى فرصة تجرب فيها حظها مع المسلمين وهي معرضة للربح كما انها معرضة للخسارة وتكرار الخسارة فيه استنزاف للمسلمين على اية حال.

اما (الاحتمال الثاني) فهو ان يبقى خالداً ومن معه على وضعهم يشددون

---

(١) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول ص ٦٦ ـ ٦٧

معركة اجنادين



قبضتهم وحصارهم على المدينة ويتركون (شرحبيل بن حسنة) يواجه موقفاً صعباً امام الجيش الروماني الزاحف نحوه، وبموجب هذه الخطة يريد هرقل ان يفرض على خالد عملية الرقص على انغام افكاره.

وفي لعبات الحرب يحاول كل قائد ان يعرض على خصمه عملية الرقص على انغام موسيقاه، بحيث يجعله دائماً امام مجموعة من المعاضل الصعبة لا يكاد يتخلص من واحدة حتى تظهر له اخرى.

ولكن القائد في لعبات الحرب يجب ان يكون دقيقاً في خططه عالماً بمواطن الضعف لدى خصومه وان عصا الطبل يجب ان تتوجه نحو مواطن الضعف عند العدو بحيث تكون عملية الرقص من شدة الالم لا من زهوة النصر.

لقد رقص خالد على افكار هرقل في أجنادين وكان متأثراً بعوامل النصر لأن خالداً لم يسمح للجيوش الرومانية بعزل شرحبيل في بصرى كما لم يسمح لها بعزل عمرو بن العاص في فلسطين.

واذا كان هرقل قد صمم ان يدخل مع (خالد) في لعبات الحرب فأنه يكون بذلك قد ارتكب الغلطة المميتة لأن (خالد) لا يمكن ان يهتز ابداً الا عندما يقرع القدر معزوفة النصر الحاسم.

ولقد كانت لهرقل تجربة في مؤتة تدلل على ان خالد لا يخوض معركة فاشلة على الاطلاق وانه قد خلق للنصر فقط وان رسول الله ﷺ قد قال عنه (أنه سيف الله المسلول).

اما عن تطور الموقف الاسلامي فالروايات التاريخية تؤكد وفاة الخليفة ابي بكر قبل معركة فحل وان رسالة خالد التي نقلت اليه خبر انتصار المسلمين في اجنادين قد وصلته وهو على فراش الموت، وقد اورد الواقدي خبرا وفاة ابي بكر حيث قال:[1] (وكانت الوقعة بأجنادين ليلة ست خلت من جمادي الاول سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية وذلك قبل وفاة ابي بكر بثلاث وعشرين ليلة) وعلى الرغم من اختلاف الرواة في الفترة التي بقي فيها خالد قائداً عاما للمسلمين في بلاد الشام في عهد عمر بن الخطاب الا ان خالد كان يمارس قيادة ميدانية في جميع المعارك التي اشترك فيها منذ اسلامه وحتى وفاته كما ان آراءه وافكاره العسكرية تتصدر جميع الاراء والافكار، أما في مواجهة الموقف الروماني الجديد فقد اجتمع رأي المسلمين بقيادة ابي عبيدة على التوجه الى منطقة فحل لملاقاة الجيش الروماني هناك وكان خالد قائداً للفرسان بينما كان ابو عبيدة قائدا عاماً.

(١) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول ص ٦٦

كان الموقع الروماني محصناً بشكل طبيعي بالبرك والمستنقعات التي لا يستطيع المسلمون اجتيازها او مواجهة عدوهم فيهـا، ولكي يتمكن (خالد) من اخـراجهم من موقعهم الدفاعي الحصين فقد عمد الى توجيه ضربة عنيفة لفرسان الروم بحيث تخرجهم من المعركة وتدفع بمشاتهم الى مغادرة الموقع ومباشرة الهجوم ضد المسلمين او تضطر القيادة الميدانية الرومانية الى اتخاذ ردّ فعل يحاولون من خلاله استعادة الروح المعنوية لجنودهم ولن يكون ذلك الا بمباشرة التعرض والهجوم الذي سيخـرجهم من الموقـع الدفاعي الحصين، وقد نجح (خالد) في توجيه ضربة مفاجئة لفرسان الروم كما نجح كذلك في استدراج الجيش الروماني بعيداً خارج موقعه الدفاعي الحصين.

ولذلك فقد قرر القائد الروماني ان يداهم الجيش الاسلامي في عمايـة الصبح معتقداً ان المسلمين سيكونون نياماً في تلك الساعة.. وهكذا جازف بموقعه المتميز بحماية طبيعية من البرك والمستنقعات المائية في سبيل التغلب على معضلة فقدان الروح المعنوية التي فرضها عليه خالد بن الوليد عندما وجه ضربته العنيفة لفرسانه في اليوم الاول.

كانت الخطـة الاسلامية موضوعةً على اساس ان يبادر الجيش الروماني هجومه عليهم وبذلك يتخلصون من مشكلة المانع المائي الذي يحتمي الرومان خلفه وبذلك كانت عملية الفرسان التي نفذها خالد بمثابة محاولة لأثارة حفيظة القيادة الرومانية ودفعها لاتخاذ رد فعل معين يخرجها من مواقعها التي تحتمي فيها.

وهكذا انتهت معركة فحل في (٢٨ ذي القعدة ١٣ هـ ـ ٢٣ كانون ثاني ٦٣٥ م)[١] بانتصار ساحق للمسلمين على الروم وتحولت البرك التي احتمى الرومان خلفها في بداية المعركة وبالاً شديداً عليهم في نهايتها لكثرة من غرق فيها اثناء هزيمتهم وفرارهم.

اما هرقل الروم العظيم فقد (ادرك بعد هزيمة جيشه في اجنادين وفحل ان خططه لمواجهة المسلمين في بلاد الشام قد فشلت وان الابقاء عليها غير مجد سيما وقد لمس لديهم تصميماً على فتح دمشق، لذا فقد امر بسحب جميع قواته الى انطاكية في عملية حشد كبيرة استعدادا للمعركة الفاصلة مع المسلمين حيث وجد ان انطاكية هي أفضل مكان يمكن فيه خوض المعركة الفاصلة بعد ان يكون قد نجح في استدراج المسلمين الى ابعد منطقة في شمال بلاد الشام)[٢]

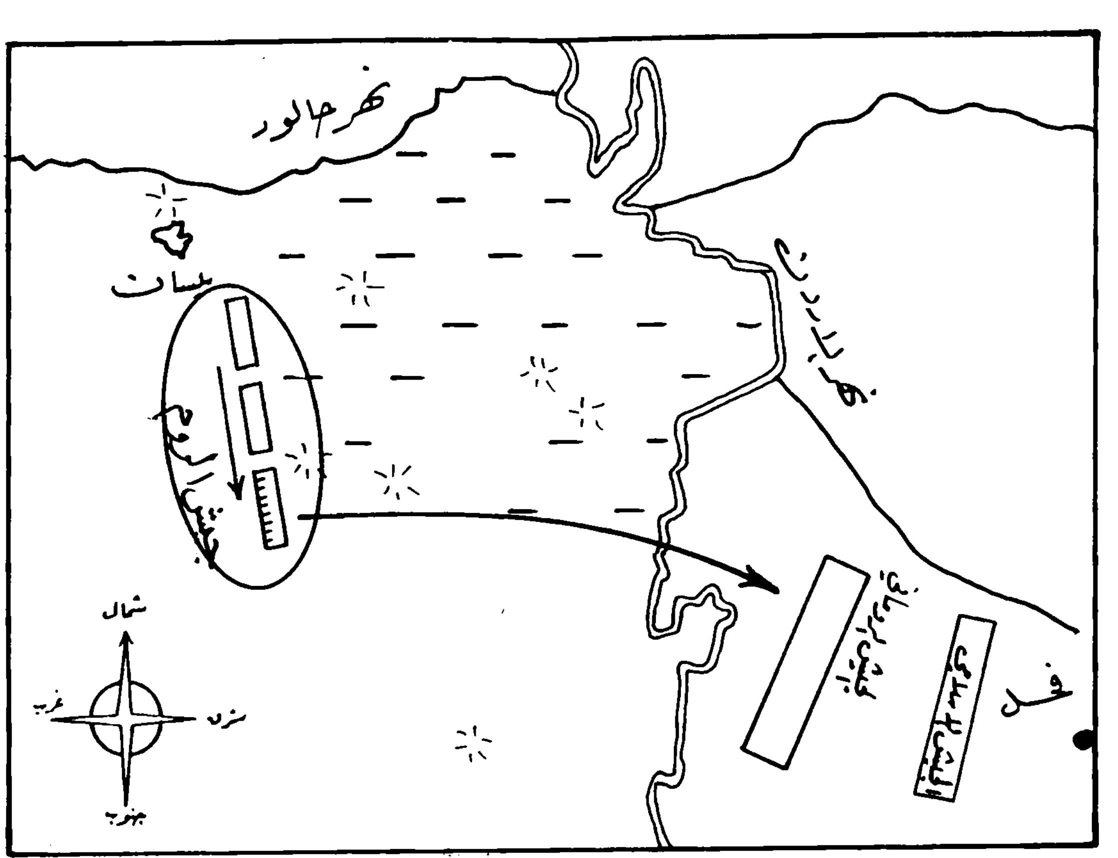
وربما كانت خطة هرقل في استدراج المسلمين الى انطاكية تقوم على الافتراضات التالية:

---

(١) احمد عادل كمال، الطريق الى دمشق، ص ٣١٣ ـ ٣٥٣

(٢) فيليب جتي، تاريخ سوريا وفلسطين ولبنان الجزء ٢ ص ١١

معركة فحل / الموقع الاولي قبل بدء القتال



١ . اطالة خطوط الامداد بين الجيوش الاسلامية وقواعد تموينها في المدينة المنورة.

٢ . امكانية عزل هذه الجيوش عن قاعدتها الرئيسية وذلك بالعمل خلف خطوطها.

٣ . قرب قيادته في انطاكية من عاصمة ملكة القسطنطينية.

٤ . قرب خطوط تموينية مع دول اوروبا التي لم تأل جهداً في تقديم كل ما يحتاج اليه.

ولهذا سمح هرقل للمسلمين بفتح دمشق وحمص وحلب دون تقديم ايّة مساعدة للسكان المدنيين في مقاومة عملية الفتح بل على العكس من ذلك فقد سحب قواته من حمص وحماه وفتح الطريق للمسلمين لاحتلال هذه المدن والتوغل شمالا باتجاه حلب وانطاكية (ولكن الخليفة عمر بن الخطاب كان قد أمر أبا عبيدة بايقاف عملية الفتح وعدم متابعة الروم الى انطاكية) [١] وعندما سمع هرقل بتوقف المسلمين عند حمص وعدم نيتهم متابعته شمالا فقد أخذ يعد العدة لعملية الهجوم الشامل المضاد.

أطلع ابو عبيدة قادة الجيوش الاسلامية على تفاصيل الحشد الروماني وتدارس معهم الموقف (وقد تبلورت خطتهم على التراجع نحو مدينة درعا التي تتاخم الصحراء شرقاً وجنوباً كما يمتد نهر اليرموك الى الغرب وبذلك يتم تفويت الفرصة على الروم للقيام بأية عملية التفاف محتملة من جهتي الشرق والغرب)[٢].

(١) احمد عادل كمال، الطريق الى دمشق، ص ٤٠٠

(٢) فيليب جتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ج ٢ ص ١١.

عوامل اختيار ميدان المعركة:

لا شك ان كل طرف من الأطراف المتحاربة كان يحاول فرض مكان المعركة على خصمه وكان يسعى بكل ما أوتي من حيلة لاستدراجه اليه.

فالعرب مثلا لهم خبرة في الصحراء وتتوفر لديهم امكانية القتال فيها والتعايش مع مناخها الشديد الحرارة نهاراً والشديد البرودة ليلاً ومع تقلب رياحها وما تثيره من غبار.

وهذه الميزة لا تتوفر لدى غيرهم ولذلك فان الصحراء تعتبر حصناً منيعاً بالنسبة لهم يتراجعون اليها كلما أحسوا بالخطر او شعروا بأنهم على أبواب معركة حاسمة مع اعدائهم، وقد أدرك (هرقل) تلك الميزة الايجابية عند العرب فحاول استدراجهم الى أعماق بلاد الشام شمالاً تاركاً لهم دمشق وحمص وحماة ومؤملاً أن يخوض معركته الفاصلة معهم قرب حلب وأنطاكية. معتقداً ان استدراجهم الى أنطاكية لن يكون في صالحهم لاعتبارات عدة منها:

١ ـ طول خطوط الامداد وبعدها عن مركز الخلافة الاسلامية في المدينة المنورة.
٢ ـ عدم معرفتهم منطقة انطاكية وقلة خبرتهم بطبيعة القتال فيها.
٣ ـ امكانية عزلهم وتطويقهم والقضاء عليهم.
٤ ـ تشتيت وبعثرة جهودهم وامكانياتهم ضمن منطقة تتميز بطول أبعادها واتساع مساحتها وكثرة مدنها وقراها.

بينما كانت منطقة انطاكية تلائم وضع القوات الرومانية من النواحي التالية:

١ ـ قصر خطوط الامداد بين الجبهة والعاصمة في القسطنطينية.
٢ ـ قربها من دول اوروبا والتي كانت قادرة على تقديم العون المادي والبشري للجيوش الرومانية.
٣ ـ امكانية تصريف شؤون الدولة وتسهيل مهمة الحشد.

ولهذه الاعتبارات فقد اختار هرقل منطقة انطاكية ميدانا للمعركة الفاصلة مع المسلمين وانسحب اليها تاركا دمشق تحت رحمة المسلمين ومتخليا بالاضافة لها عن بعلبك وحمص وحماة وحلب وقد دخلتها الجيوش الاسلامية دون أية مقاومة وعندما كتب ابو عبيدة الى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بفتح هذه المدن كتب الخليفة اليه يأمره بالمقام في حمص وعدم تسريح الجيوش شمالا .

وبذلك استقر أبو عبيدة في حمص كما استقر يزيد بن أبي سفيان وخالد بن الوليد في منطقة دمشق وشرحبيل بن حسنة في منطقة درعا وعمرو بن العاص في فلسطين

وعندما أكمل هرقل استعداداته وحشد قواته في انطاكية وادرك ان المسلمين لن يتابعوه اليها فقد عاد اليهم زاحفا بربع مليون جندي تقريباً كآخر سهم يقذف به في وجوه المسلمين.

لقد أخفق هرقل في فرض مكان المعركة الفاصلة مع المسلمين رغم نجاحه في اختيار المكان لكل من معركتي اجنادين وفحل ومع ذلك فقد ذاقت قواته مرارة الهزيمة والفشل فيهما فما الذي دفعه للتعرض والقيام بهجومه المضاد والنزول عند رغبة المسلمين في فرض مكان المعركة الفاصلة.

وهكذا شرعت قوات هرقل بتنفيذ هجومها المعاكس ضد القوات الاسلامية التي كانت منتشرة في مناطق حمص ودمشق والاردن وفلسطين، ومعنى ذلك ان الجيش الروماني وهو يمارس خطة التعرض الكبير انما يكون قد انتقل من مرحلتي الدفاع والتراجع الى مرحلة التعرض والهجوم مستعيداً بذلك زمام المبادأة من أيدي القوات الاسلامية.

ويمكن القول أنه قد كان لعملية الحشد الكبيرة للقوات الرومانية في أنطاكية أثر كبير في تبديل الموقف الروماني وتغييره فالجيش الروماني الذي اتسم دوره بالدفاع والتراجع خلال السنتين الماضيتين انتقل فجأة بعد عملية الحشد الضخمة ليقوم بدور التعرض والهجوم المضاد لطرد القوات الاسلامية من جميع المناطق التي فتحتها.

واذا مضينا في عملية استقراء وتحليل لما كان يدور في ذهن الامبراطور الروماني (هرقل) بعد عملية الحشد الضخمة للقوات الرومانية فان ذلك يدفعنا الى التساؤل حول مدى ثقة الامبراطور بجنوده ومدى قناعته بقدرتهم على تحقيق النصر في المعركة الفاصلة مع المسلمين وما ندري ان كانت فطنة الامبراطور وبصيرته قد خدعته لدرجة معينة عن استقراء أسباب النجاح والفشل من معاركه السابقة وتجاربه المشهودة مع المسلمين في (اجنادين وفحل ودمشق) أم أن الامبراطور كان واثقاً من النتيجة المحتومة والفشل الأكيد ولكنه أراد في عملية التعرض الكبيرة التي قام بها أن يبرىء ذمته وينقي ضميره فرمى بآخر سهم من كنانته في وجه المسلمين. ان لعبة الحرب التي جرت في بلاد الشام كانت من وجهة النظر الرومانية قاسية ومريرة ففي الوقت الذي توهم فيه هرقل أن لديه مزيداً من الامكانية للتراجع شمالا واستدراج المسلمين الى انطاكية كان قد اخطأ القصد الذي سعى اليه المسلمون والاهداف المحددة للجيوش المتوجه الى بلاد الشام وبدلا من ان يدافع حول دمشق وبعلبك وحمص وحماة فقد تخلى عنها للمسلمين بدون قتال متوهما انه يستدرجهم شمالا الى انطاكية.

وبدلا من أن يتدارك هرقل فشله في فرض ميدان المعركة فقد ارتكب الغلطة القاتلة

عندما أوكل لجيشه مهمة التعرض في الوقت الذي كان فيه عاجزاً عن ممارسة واجباته الدفاعية وهكذا أخذ قائده المنتخب (ماهان) يتخبط في أداء المهمة التعرضية الجديدة فتابع حركة الجيوش الاسلامية التي قررت خوض معركتها الفاصلة في اطراف البادية العربية الى الغرب قليلا من (درعا).

وبدلا من ان يرفع (هرقل) معنويات جيشه ويستغل الروح التعرضية التي بدأت تحيا في نفوس جنوده فلقد طلب الى قائده (ماهان) (ان ينزل منزلا واسع العطن واسع المطرد ضيق المهرب[1] وكأنه طلب اليهم ان يمارسوا مهمة الدفاع بدلا من مباشرة الهجوم ولما كان يخشى على جنوده الهرب فلقد حشرهم في مكان ضيق المهرب محاط بثلاثة مواقع طبيعية لا يمكن الهرب منها وهي نهر الرقاد من الجهة الغربية ونهر اليرموك من الجهة الجنوبية ووادي علان من الجهة الشرقية وبقيت مفتوحة أمامهم الجهة الشمالية فقط وهي ضيقة جداً، ولكي يطمئن الى عدم قدرة جنوده على الهرب فقد ربطهم بالسلاسل وهكذا حاصر الروم انفسهم وعقلوها منتظرين آجالهم وأقدارهم وكان خالد بن الوليد حاضرا يرقب كل حركة يقومون بها ويحسب عليهم أنفاسهم ولقد أرسل اليهم عمرو بن العاص يستطلع موقعهم فعاد اليه يقول (حصرت الروم وقلّ ان يأتي محصور بخير)[2] عندها تحرك الجيش الاسلامي من منطقة درعا ليقفل الفرجة المفتوحة من الجهة الشمالية واحكم الطوق على الجيش الروماني فلم يفلت من قبضتهم الا اولئك الفرسان الذين عبروا من خلال الثغرة التي تمكنوا من فتحها على الجناحين او من خلال الفرجه التي فتحها لهم خالد بن الوليد.

خطة خالد التعبوية في اليرموك:

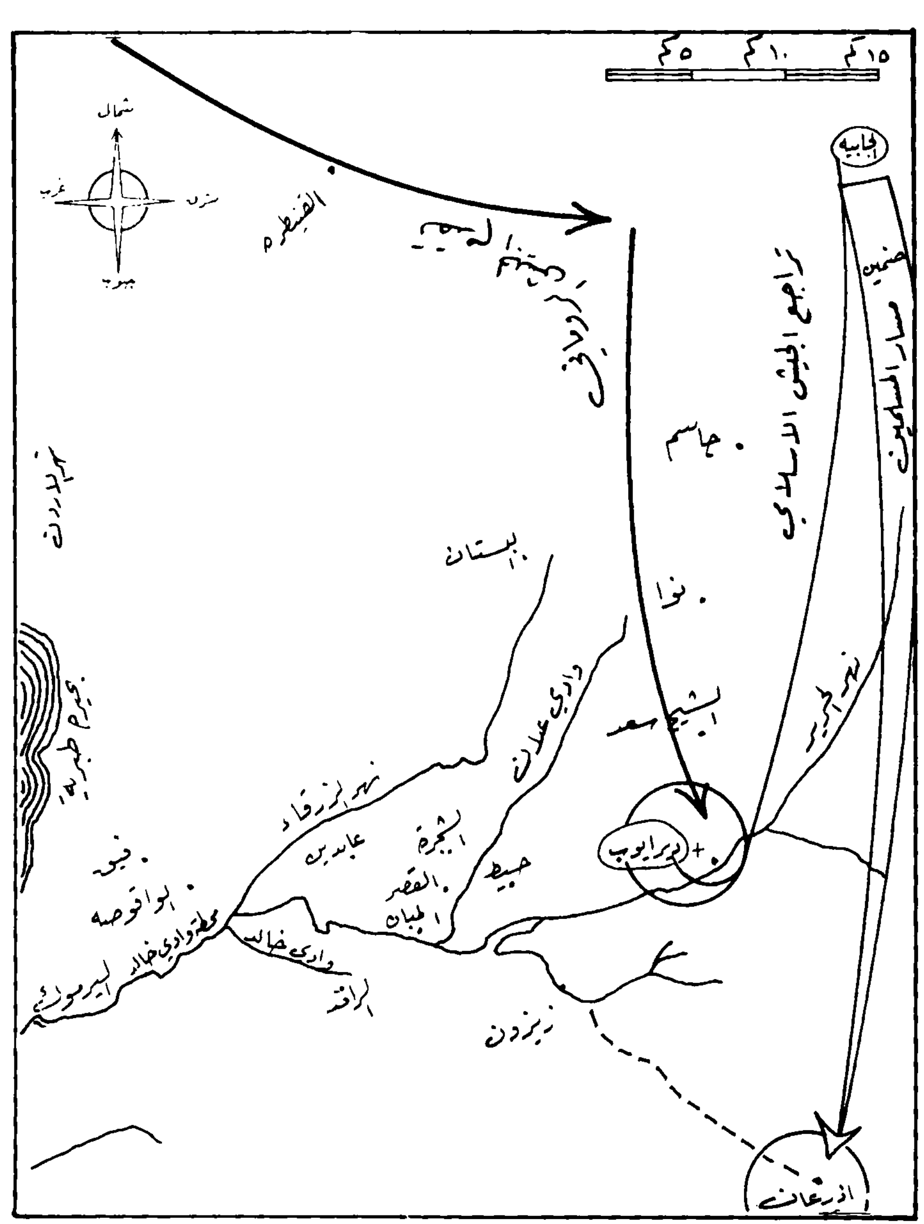
بعد عملية التراجع الطويلة من حمص الى دمشق ودرعا ثم قيام الجيش الروماني بتعقب الجيش الاسلامي المتراجع ادرك (خالد) ان زمام المبادرة قد أصبح بيد عدوه كما أدرك أيضا ان التراجع والانسحاب امام العدو يترك آثاره السلبية على نفوس المنسحبين ويعطي عدوه مزيدا من الثقة والجرأة ولهذا كان لا بد من القيام بعمل معين ينتزع فيه زمام المبادرة ويحطم نفوس اعدائه ويعيد الثقة لجنوده بأنفسهم وقيادتهم ولكي يحقق (خالد) كل ذلك فلا بد له من المبادرة والتعرض.

ولكن في أي اتجاه يمكن ان يعمل (خالد) او يتعرض؟

هل يشن على عدوه حربا نفسية؟

(١) الطبري/تاريخ الأمم والملوك/الجزء الرابع/دار القاموس الحديث للطباعة والنشر. بيروت/ص ٣١.
(٢) الطبري/تاريخ الأمم والملوك/الجزء الرابع/ص ٣١.

تراجع الجيش الإسلامي نحو درعا وتعقبه من قبل الجيش الروماني



هل يقوم بغارات ليلية؟
هل يبادرهم بالهجوم؟

كل هذه الافتراضات جائزة ومفيدة لو لم تكن مسبوقة بعملية التراجع الطويلة من حمص الى درعا اما وقد سبقتها عملية التراجع تلك فلقد اصبحت مثل هذه الافتراضات عديمة الجدوى.

لا بد اذاً من عمل آخر يستطيع (خالد) من خلاله ان يعيد الاتزان والاطمئنان الى النفوس المضطربة بعد تراجعها كما يستطيع ان يزعزع النفوس المعادية بعد ان اكتسبت عامل الجرأة والتحفز ضد المسلمين وهي تتعقب تراجعهم وانسحابهم.

وخالد بن الوليد الذي تدرب على قيادة الفرسان منذ شبابه يدرك أهمية هذا السلاح في قلب موازين المعركة. لقد استطاع هو نفسه ان يقلب بفرسانه موازين المعركة في (أُحد) ضد رسول الله (ص) كما استطاع هو نفسه ايضا ان يقلب بفرسانه موازين المعركة في (اليمامة) ضد مسيلمة الكذاب واستطاع (خالد) كذلك ان يقلب موازين المعركة بفرسانه في كل معركة خاضها ضد الفرس والروم.

وخالد بن الوليد الذي كان يملك زمام المبادرة دائما في عمليات التعرض (التقدم والهجوم) يعرف كيف ينتزعه من آيدي خصومه في عمليات الدفاع والتراجع.

ولا يحتاج استاذ العبقرية العسكرية لكي يحقق ذلك الى ان يجهد ذهنه كثيرا فهو حاضر البديهة امام كل معضلة ميدانية تواجهه ولقد رأى بعبقريته الفذة ان اعادة التوازن والاطمئنان الى نفوس المسلمين يحتاج الى عمل بطولي يستعرض من خلاله قوة المسلمين والروم أمام الجيشين المتقابلين في ميدان المعركة فتطمئن بعد ذلك نفوس وترتعد اخرى. ولما كانت المعركة على هذا المستوى العسكري الحاسم الذي حشد فيه الطرفان المتقاتلان كل ما لديهما من طاقة وقدرة عسكرية لذلك فلا بد للعمل البطولي الذي يقوم به خالد ان يكون على مستوى يتناسب مع هذا الحشد الكبير. وهكذا نظم (خالد) فرسانه وقسمهم الى اربعة اقسام[١]:

فجعل (قيس بن هبيرة) الذي كان يشابهه ويوافقه في قوته وبأسه على قسم منها وجعل (ميسرة بن مسروق العبسي) الذي كان من أشراف العرب وفرسانهم على قسم آخر ثم جعل (عمرو بن الطفيل الازدي) على القسم الثالث وجعل القسم الرابع تحت قيادته).

---

(١) أحمد عادل كمال/الطريق الى دمشق/ص ٤٥٠.

وخرج (خالد) بفرسانه الى الروم يستعرض ويبارز ولما رأى الروم ذلك اخرجوا اليه فرسانهم فتقابل فرسان الطرفين في ميدان القتال على مرأى من الجيشين المتصارعين فاندفع قائد فرسان الروم الى المسلمين يطلب المبارزة ونظر (خالد) الى فرسانه وقال: أما لهذا الرجل من يخرج اليه؟

أراد (ميسرة بن مسروق) ان يخرج اليه فقال له خالد: أنت شيخ كبير وهذا الرومي شاب ولا يكاد الشيخ الكبير ان يقوى على الشاب الحديث السن.

ثم طلب (عمرو بن الطفيل) ان يخرج اليه فقال له خالد انت حديث السن وأخاف ان لا تقوى عليه. عند ذلك ادرك (قيس بن هبيرة) ان خالد يقصده ويعنيه حيث قال: (يا أبا سليمان: اني أظنك تعرض بي واياي تعني، أنا أبرز اليه) فقال له خالد: (أبرز على اسم الله تعالى فانك كفؤ والله تعالى يعينك عليه) وخرج (قيس بن هبيرة) فبارزه قليلا ثم قتله وعاد الى موقعه)(١).

لا شك ان مشهد المبارزة قد ترك آثاره في نفوس الجيشين المتقابلين ولكن خالد لم يكتف بما قدمه (قيس) بل أراد ان يخوض مع فرسان الروم معركة يستثمر من خلالها الفوز الذي حققه قيس بن هبيرة حيث امر قادة فرسانه ان يحملوا على فرسان الروم، وقد انتهت معركة الفرسان بانتصار ساحق لفرسان المسلمين.

وهكذا حقق خالد ما كان يصبو اليه من خلال معركة الفرسان حيث انتزع زمام المبادرة من أيدي عدوه وملأ قلوبهم رعباً وفزعاً كما أعاد الثقة والاطمئنان الى نفوس المسلمين بعد تراجعهم وانسحابهم.

لله درّ (خالد) من قائد ملهم فلقد فعلت معركة الفرسان فعلها في نفوس الجيشين أما من جهة الروم فلقد أرسل قائدهم (ماهان) يطلب المفاوضة والصلح ويقدم الهدايا والأموال الكثيرة، وأما من جهة المسلمين فقد تمسكوا بشروطهم الثلاثة في الصلح وهي: (الاسلام أو الجزية أو الحرب) ولما لم يقبل الروم بهذه الشروط أخذ كلا الفريقين يستكمل تحضيراته للمعركة الفاصلة.

استكمال الخطة المقترحة وعرضها على ابي عبيدة:

عرض خالد على ابي عبيدة خطته المقترحة في مواجهة الروم وكانت قائمة على توحيد الجيوش الاربعة في جيش واحد يجري تعبئته في نظام الكراديس ويتألف الكردوس من الف مقاتل كما يجري تقسيمهم الى ميمنة وميسرة وقلب واقترح ان

(١) الواقدي، فتوح الشام/ الجزء الأول ٢١٥ ـ ٢١٧/ وكذلك الدكتور يوسف غوانمه/ معركة اليرموك/ دار هشام للنشر والتوزيع/ ص ٦٨.

(٢) صبحي عبد الحميد/ معارك العرب الحاسمة/ مؤسسة الأبحاث العربية بيروت/ ص ٣٦.

يكون على الميمنة عمرو بن العاص وعلى الميسرة يزيد بن ابي سفيان وعلى القلب شرحبيل بن حسنة ثم قسم الفرسان الى قسمين احدهما بقيادته وموقعها خلف الجناح الأيمن والثاني بقيادة قيس بن هبيرة وموقعها خلف الجناح الأيسر)(١).

وقد افترض خالد أن يبادر الروم بالهجوم وان يكون دور المسلمين دفاعياً ريثما يتم استنزاف قوة العدو الهجومية وفي تلك اللحظة من ضعف العدو يأتي دور الفرسان الذين يستطيع بهم ان ينتزع زمام المبادرة من جديد فيقوم بهجومه المضاد مستغلا لحظة الاعياء والانهاك عند العدو.

(وطلب خالد من أبي عبيدة ان يترك له قيادة المعركة على ان يكون ابو عبيدة قائدا اداريا عاماً)(٢).

وقد اقترح تعيين أبي الدرداء قاضيا للجيش وتعيين ابي سفيان خطيبا لادامة المعنويات وعبد الله بن مسعود لادارة الغنائم كما تقوم نساء المسلمين باسعاف الجرحى ورد المنهزمين من المسلمين الى ميدان المعركة.

يتبين من خطة خالد المقترحة انها دفاعية ومؤلفة من نسقين:

النسق الأول من المشاه الذي جرى تعبئتهم في كراديس بلغت ستاً وثلاثين كردوسا وهي مقسمة الى ميمنة وميسرة وقلب.

النسق الثاني وهو الأحتياط وكان مؤلفاً من الفرسان وقد قسمه الى قسمين: احدهما خلف الجناح الايمن والاخر خلف الجناح الأيسر.

وكان كل من عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن ابي سفيان يشكلون هيئة اركان عليا في قيادة خالد بينما كان ابو عبيدة القائد الاداري للمعركة والمشرف على معسكر النساء.

ولم يغفل خالد في خطته الناحية المعنوية كما لم يغفل الناحية الادارية في الاشراف على الغنائم واسعاف الجرحى.

ولم يخف خالد عن ابي عبيدة وهيئة اركانه العليا ان خطته تأخذ بالاعتبار محاولة عزل فرسان الروم عن مشاتهم.

(اعجب ابو عبيدة بخطة خالد وأقره عليها وأمر المسلمين بالانصياع لأوامره وتنفيذ تعليماته)(٣).

---

(١) الطبري/تاريخ الأمم والملوك/الجزء الرابع/دار القاموس الحديث للطباعة والنشر. بيروت/ص ٣٣ ـ ٣٤.
(٢) الجنرال ا.اكرم/سيف الله المسلول خالد بن الوليد/ترجمة العميد الركن صبحي الجابي ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤.
(٣) الواقدي/فتوح الشام/الجزء الأول/ص ١٩٢.

أما الجيش الروماني فبعد ان اكمل حشده واستعداده أخذ يتعقب حركة الجيش الاسلامي خلال عملية التراجع التي بدأها من حمص فبعلبك فدمشق الى درعا وقد حاول الرومان ضرب مؤخرة الجيش الاسلامي في منطقة الجابية ولكن خالد بن الوليد كان قد فوت الفرصة عليهم حيث عمل بفرسانه ما يشبه حرس المؤخرة للجيش الاسلامي الذي يقوده ابو عبيدة) (١).

وبذلك يكون خالد قد عمل على قطع التماس مع العدو اثناء عملية التراجع الى درعا وحرم عدوه فرصة الاتصال بالقوات المتراجعة ومنعه من التدخل فيها او التأثير على حركتها المتوازنة بقصد اخلالها وتحويل تراجعها الى هزيمة.

ميدان المعركة.

اختار المسلمون منطقة درعا في بداية الأمر لتكون ميدانا للمعركة الفاصلة مع الروم لما يتوفر فيها من مناعة طبيعية فهي متصلة بالصحراء من جهتيها الشرقية والجنوبية وهذه الميزة تحرم الجيش الروماني من الحركة والمناورة غرباً وتكسبها أهمية من وجهة النظر الاسلامية بحيث يقاتل المسلمون عدوهم وهم مطمئنون الى ان ظهورهم محمية برمال الصحراء وان المدد قد يصل اليهم من الخليفة دون تدخل من قبل الأعداء) (٢).

أما الجيش الروماني الذي يقوده ماهان فبعد ان نزل في منطقة الجابية جاءت اليه الأوامر من الأمبراطور العظيم هرقل (بأن ينزل منزلاً واسع العطن واسع المطرد ضيق المهرب) (٣).

وليس من ميدان للمعركة في تلك المنطقة تتوفر فيه شروط الامبراطور الا تلك المنطقة المحددة بنهر اليرموك جنوباً ونهر الرقاد غرباً ووادي علان شرقاً كما انه ليس من تعليل للشروط التي استلزم امبراطور الروم توفرها في ميدان المعركة سوى انه قصد بقوله (واسع العطن) ان يكون ميدان المعركة واسعا لاستيعاب القوات الرومانية التي يزيد عددها على ربع مليون جندي كما قصد بقوله (واسع المطرد) ان يسهل ميدان المعركة حركة القوات الرومانية أثناء هجومها والتفافها.

أما ما قصده بقوله (ضيق المهرب) فلأنه كان شديد الحرص على ثبات الجيش

(١) الواقدي/فتوح الشام/الجزء الأول/ص ١٦٣ ـ ١٦٤.
(٢) الواقدي/فتوح الشام/الجزء الأول/ص ١٦٥.
(٣) الطبري/تاريخ الأمم والملوك/الجزء الرابع/ص ٣١ وكذلك عميد ركن الدكتور: ياسين سويد/معارك خالد بن الوليد/ص ٢٤٧.

الروماني واغلاق منافذ التفكير في الهزيمة امام الجنود الرومان فلقد سبق وان لجأوا الى الهرب اثناء مواجهة الجيش الاسلامي في معركتين كبيرتين هما أجنادين وفحل.

تعديل مواقع الطرفين.

بناء على رسالة هرقل الى قائد جيشه (ماهان) فقد تحرك الجيش الروماني من منطقة الجابية نحو الجنوب الغربي ونزل في المنطقة المحصورة بين نهر اليرموك والرقاد ووادي علان، ونتيجة لهذه الحركة فقد أرسل ابو عبيدة الى عمرو بن العاص ليقوم باستطلاع مواقع الجيش الروماني وقد عاد اليه بعد ذلك يقول:

(ابشروا فلقد حصرت الروم وقلّ ان يأتي محصور بخير)[1].

وقد تشاور أبو عبيدة مع قادة جيشه واستقر رأيهم على تغيير موقعهم والحركة لاغلاق الفجوة بين نهر الرقاد ووادي علان وبذلك احكم الحصار على القوات الرومانية من الجهات الأربع واغلق في وجهها جميع منافذ الهرب.

خطة الروم في معركة اليرموك:

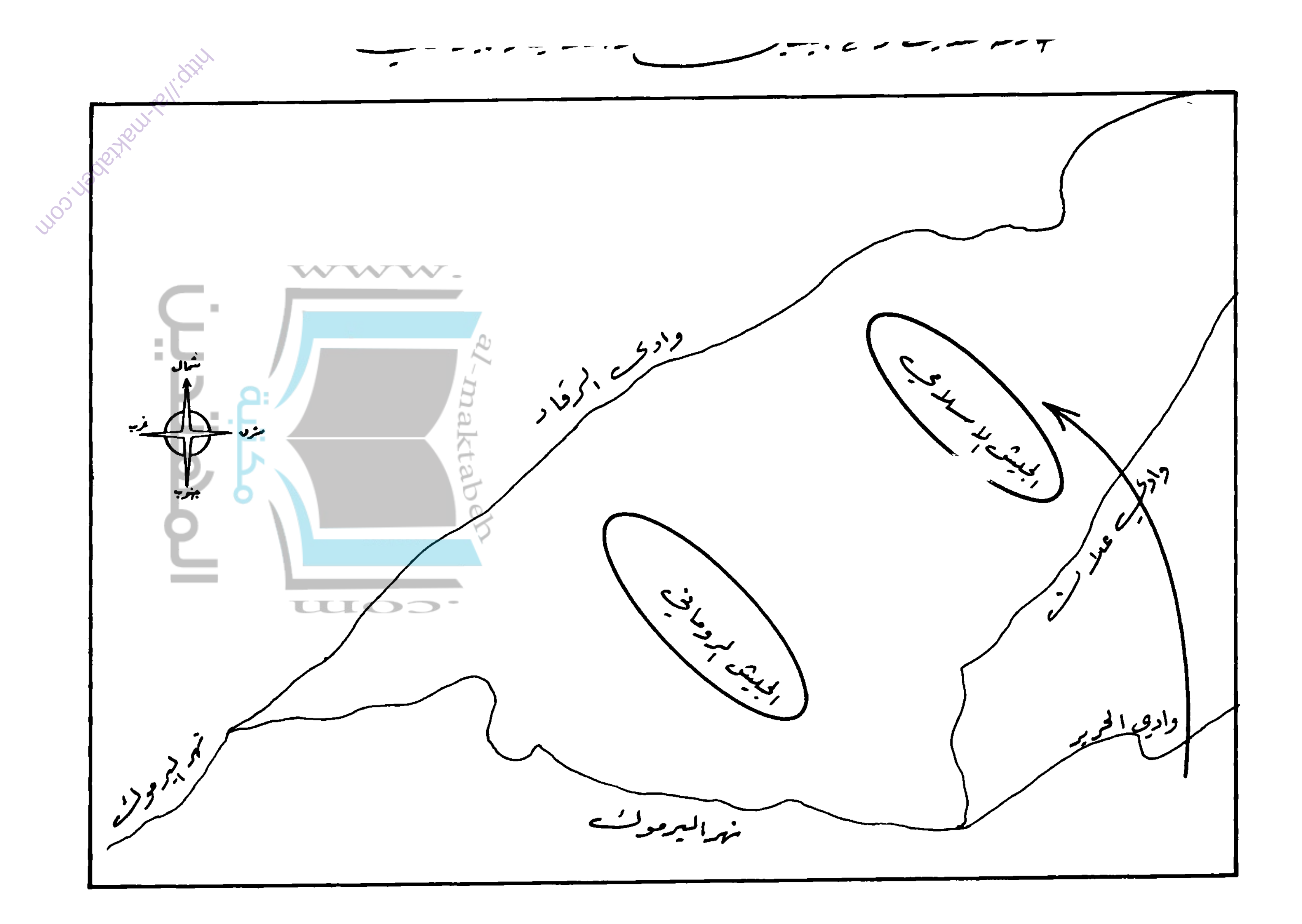
يمكن القول ان الجيش الروماني رغم عملية التعرض الكبيرة التي نفذها بعد استكمال حشده في انطاكية ضد الجيش الاسلامي وتعقبه له من حمص الى بعلبك فدمشق ودرعا الا ان قادته وجنده لم يتحرروا من عقدة الهزيمة التي منوا بها في جميع المعارك التي خاضوها مع المسلمين.

وذلك واضح من خلال الرسالة التي بعث بها هرقل الى قائده ماهان يشترط فيها ان يكون الموضع الذي ينزلون فيه (ضيق المهرب) كما ان نزولهم في ذلك الموضع وربط جنودهم بالسلاسل لدليل واضح على امتلاء نفوسهم فزعا ورعبا.

وكذلك فإن استنادهم الى نهر اليرموك والرقاد ووادي علان يدل على اعتصامهم بهذه الموانع الطبيعية من أية عمليات التفاف قد يقوم بها المسلمون رغم ان الجيش الاسلامي لا يستطيع القيام بعمليات الالتفاف نظراً لقلة عدده مقارنة مع الجيش الروماني الذي يفوقه اضعافاً مضاعفة لذلك فان عدم ثقة القادة الرومان بجنودهم وعقدة الخوف من الهزيمة واختيار الموضع الضيق المهرب وربط جنودهم بالسلاسل كل هذه العوامل قد أثرت على سير المعركة لغير صالحهم وحرمتهم ميزة التفوق الكمي الذي يتيح لهم امكانية الالتفاف والتطويق.

---

(١) الطبري/تاريخ الأمم والملوك/الجزء الرابع/ص ٣١ وكذلك العميد الركن الدكتور: ياسين سويد/معارك خالد بن الوليد/ص ٢٤٧.


الجيش الإسلامي
الجيش الروماني
وادي الرقاد
وادي علان
وادي الحرير
نهر اليرموك
نهر اليرموك
شمال
جنوب
شرق
غرب

كانت الخطة الرومانية قائمة على التعرض والمبادرة بالهجوم وكانوا يقاتلون بنظام الصفوف التي تدعمها الفرسان (اما جيشهم فكان مؤلفاً من الروم والأرمن والعرب)[1] وكانت العناصر العربية بقيادة (جبلة بن الأيهم) والأرمنية بقيادة (جرجير) تشكل قلب الجيش الروماني اما العناصر الرومانيـة فقد جـرى تعبئتها في صفـوف على الميمنـة والميسرة وكان (قناطير) يقود الميمنة والى يساره الارمن وكان (ديرجان) يقود الميسرة والى يمينه العرب، أما فرسان الروم فقد كانت على الأجنحة ولم يتوفر احتياط للجيش الروماني رغم كثافة عدده.

قوات الطرفين

أ - الجيوش الرومانية:

(١) ذكر الواقدي[2] ان الملك هرقل قد قرر ان يبعث الجيش الروماني مع خمسة ملوك من الروم فأول ما عقد لواء من الديباج المنسوج بالذهب الأحمر وعلى رأسه صليب من الجوهر وسلمه الى (قناطير) ملك الروسية وضم اليه (مئة الف فارس) من الصقالبه وغيرهم ثم عقد لواءً آخر من الديباج الأبيض فيه شمس من الذهب الأحمر وعلى رأسه صليب من الزبرجد الاخضر وسلمه الى (جرجير) وهو ملك (عمورية) وضمّ اليه (مئة الف فارس) من الروم، ثم عقد لواء ثالثاً من الدستري الملون عليه صليب من الذهب الأحمر وسلمه الى (الدّيرجان) صاحب القسطنطينية وضم اليه (مئة الف فارس) من الافرنج، ثم عقد لواء رابعاً وسلمه الى (ماهان) ملك الأرمن وقال له (يا ماهان: قد وليتك على هذا الجيش كله ولا أمر على أمرك ولا حكم على حكمك ثم قال (لقناطير وجرجير والديرجان وقورين) وهم ملوك الجيش: اعلموا ان صلبانكم تحت صليب (ماهان) وأمركم اليه فلا تصنعوا أمراً الا بمشورته ورأيه) وكان جملة من بعث الملك (هرقل) الى اليرموك من العساكر (ستماية الف فارس) وفي رواية اخرى ذكر الواقدي (سبعماية الف فارس).

(٢) أورد الطبري[3] ان عدد الجيوش الرومانية كان في اليرموك (مئتين واربعين الفاً) منهم: (ثمانـون الف مقيد وأربعـون الفاً منهم مسلسـل للموت، وأربعـون ألفاً مربوطون بالعمائم وكذلك ثمانون ألف فارس وثمانون الف راجل).

(٣) ذكر ابن الأثير[4] ان عدد القوات الرومانية كان في اليرموك (مئتين واربعين الف مقاتل).

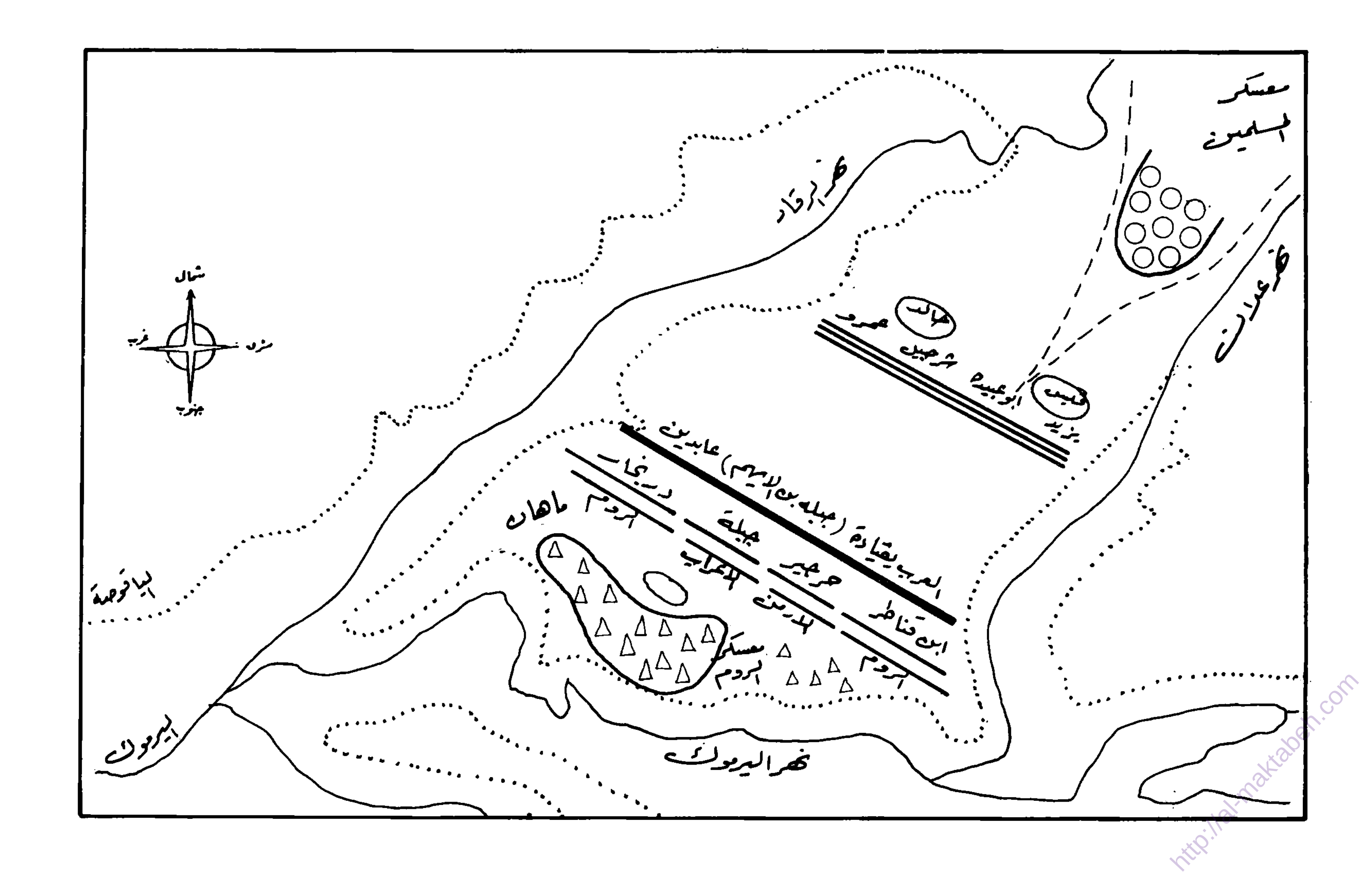
---

(١) فيليب حتى/تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين/ص ١١.

(٢) الواقدي - فتوح الشام، الجزء الاول ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٣) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع ص ٣٢

(٤) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثاني ص ٢٥٩



معسكر المسلمين
نهر الرقاد
شمال
شرق
غرب
جنوب
خالد
عمرو
شرحبيل
ابو عبيدة
قيس
يزيد
العرب بقيادة (جبلة بن الايهم) عابدين
ابن قناطر
جرجير
جبلة
دريجان
الروم
ماهان
الدرنق
الاعراب
معسكر الروم
اليرموك
نهر اليرموك
نهر عدوان
الياقوصة

(٤) أما ابن كثير[١] فقد روى ان عدد القوات الرومانية يوم اليرموك بلغ (مئة وعشرين الف) وقد نسب روايته الى ابن اسحاق حيث قال: ان (سقلاب الخصيّ) كان على الروم يومئذ في مئة الف وعلى المقدمة (جرجه) من ارمينية في اثني عشر الفاً ومن المستعربة اثنـي عشر الفاً عليهم (جبله بن الأيهم).

ب ـ الجيوش الاسلامية:

ورد في المراجع التي تمت الاشارة اليها آنفاً أن عدد افراد الجيش الاسلامي كان يتراوح بين ستة وثلاثين الف مقاتل وأربعين الف مقاتل ومن هذه المراجع من أورد ان خالد بن الوليد قد عبأ الجيش الأسلامي في كراديس بلغت ستة وثلاثين كردوسـاً او أربعين كردوساً وبمعدل (الف مقاتل للكردوس الواحد) ويظهر ان تقدير عـدد افراد الجيش الاسلامي كان أكثر دقة من تقدير عدد افراد الجيش الروماني.

نشوب القتال

أ ـ اليوم الاول:

روى الواقدي عن (عدي بن الحرث الهمداني) وكان ممن حضر الفتوح من أولها الى آخرها قال:[٢] (وكانت الصفوف التي صفّها (ماهان) ثلاثين صفـاً فلما تكـاملت صفوفهم واذا ببطريق عظيم الخلقة قد برز وعليه درع مذهّب ولأمة حرب وفي عنقـه صليب من الذهب مرصع بالجوهر وتحته فرس أشهب وكان البطريق من عظماء الروم، وعندما وقف بين الجيشين تبيّن انه يطلب المبارزة فخرج له (روماس) صاحب بصرى وبعد مصاولة بينهما تمكن ذلك البطريق من توجيه ضربة الى (روماس) ولكنها لم تكن قاتلة وعندما شعر (روماس) بالدم يسيل منه عاد الى معسكر المسلمين فتبعه البطريق فصاح خالد بالمسلمين: مَنْ يخرج له؟ فقال قيس بن هبيره: انا اخرج له وخرج قيس وبعد مبارزة بينهما فقد خلالها (قيس) سيفه تقدم (عبد الرحمن بن ابي بكر) وهو يحمل سيفاً يريد ان يعطيه (لقيس) وعندما شاهـده الروم خرج له فـارسان من عـظمائهم فبارزهم (عبد الرحمن) وتمكن من قتلهما كما تقدم الى البطريق فبارزه وقتله).

كما ذكر الواقدي في رواية عن (عبد الملك بن عبد الحميد) وكان ممن شهد وقعة اليرموك فقال:[٣] (أولها شرر نار وآخرها ضرام الحرب وان كل يوم يأتي من القتال أصعب من اليوم الأخر) وقال عمرو بن جرير: فشهدنا في اليوم الاول حرباً يسيراً وذلك ان (ماهان) أمر عشرة من الصفوف ان تحمل على المسلمين بعد ان قتل (عبد الرحمن بن

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السابع ص ٥.

(٢) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول، ص ١٩٣ ـ ١٩٦

(٣) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول، ص ١٩٧.

خارطة بداية الاشتباك / اليوم الاول

معسكر المسلمين

وادي الرقاد

وادي علان

عمرو بن العاص

خالد بن الوليد

شرحبيل

ابو عبيدة

قيس بن هبيرة

يزيد

معاذ بن جبل

جبلة العرب

جرجير الارمن

ابن قناطر الروم

ماهان

معسكر الروم

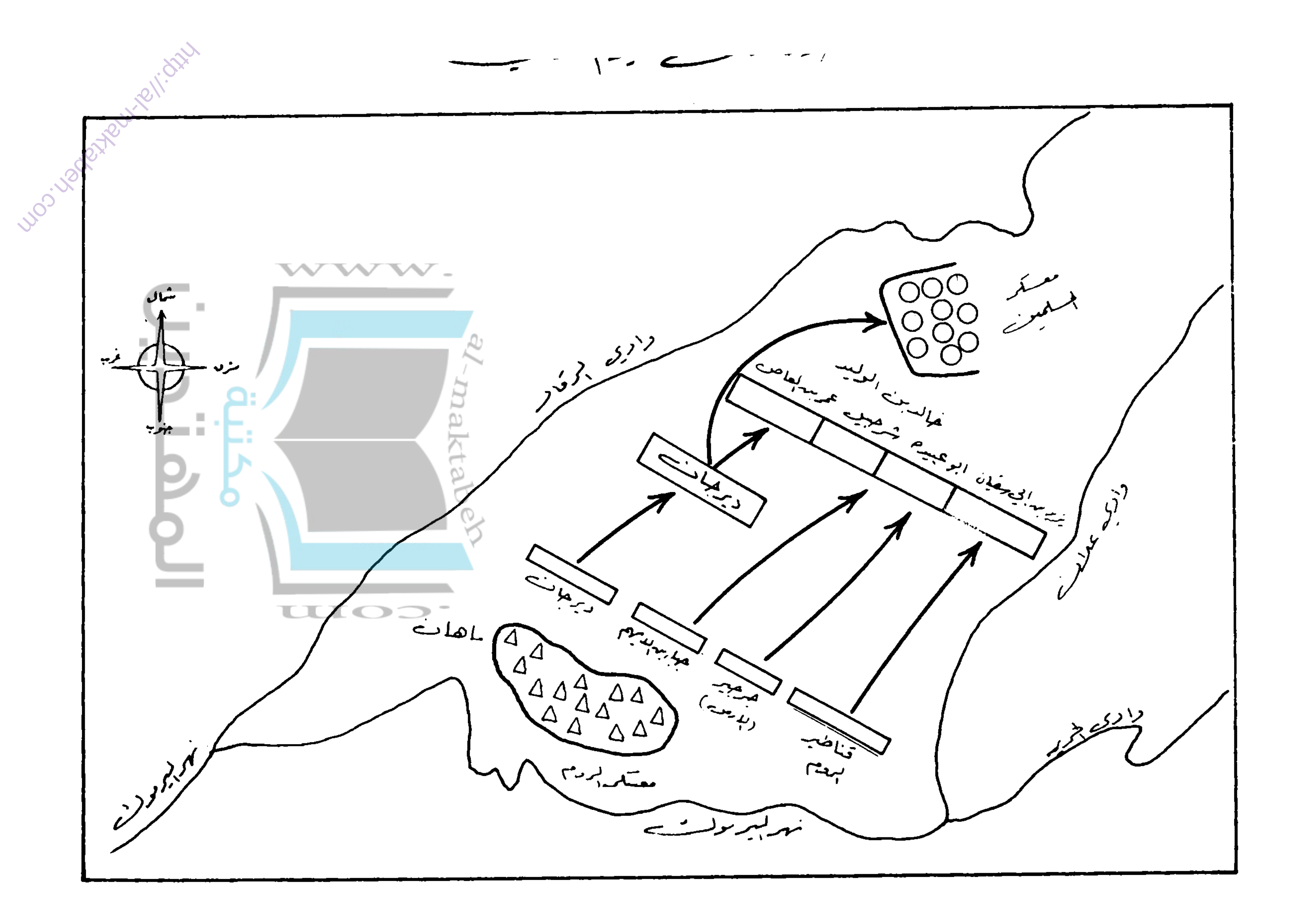
عابدين

شمال

جنوب

شرق

غرب



معسكر المسلمين
خالد بن الوليد
عمرو بن العاص
شرحبيل
أبو عبيدة
يزيد بن أبي سفيان
ديرجان
ديرجان
ماهان
جرجير
قناطير
معسكر الروم
وادي الرقاد
وادي علان
وادي حرير
نهر اليرموك
نهر اليرموك
شمال
جنوب
شرق
غرب

ابي بكر) من قتل من فرسان الروم ولم يزل الحرب بين الفريقين من قيام الشمس في قبة السماء الى ان همت بالغروب ولم ينفصل الجمعان حتى فرق الليل بينهم ورجعت كل فئة الى مكانها واستقبلت المسلمين نساؤهم فصارت تجعل المرأة مرطها تمسح به عن وجه زوجها وتقول له: (أبشر بالجنة يا وليّ الله) وبات المسلمون في خير وسرور واوفدوا النيران وكان عدد القتلى قليل في صفوف المسلمين.

ب - **اليوم الثاني**:

تركز القتال في هذا اليوم بالهجوم العنيف ضد ميمنة الجيش الاسلامي وكان فيها (معاذ بن جبل وعمرو بن العاص) وكان الذي باشرهم بالهجوم من القادة الرومان هو (الديرجان) الذي كان على ميسرة الجيش الروماني أما ميمنة الجيش الروماني فقد كان (ماهان) قد عيّن عليها (قناطر)[1].

وقد روى الواقدي عن (ورقة بن مهلهل التنوخي) وكان صاحب راية ابي عبيدة يوم اليرموك حيث قال:[2] (واقبلت الروم وزحفت كالجراد المنتشر حتى دنا طرفهم من ميمنة المسلمين وكان أبو عبيدة يدعو الله ويستنصره وبينما هو كذلك حملت الروم على ميمنة المسلمين وكان فيها (الازد ومذحج وحضرموت وخولان) فحملت عليهم الروم حملة منكرة فصبروا لهم صبر الكرام وقاتلوا قتالاً شديداً وثبتوا ثباتاً حسنا وحملت عليهم كتيبة ثانية فصبروا صبراً جميلاً وحملت عليهم كتيبة ثالثة فأزالوا المسلمين عن الميمنة فصاح بهم (عمرو بن معد يكرب الزبيدي) وكان المقدم عليهم وله من العمر مئة وعشرون سنة، فلما سمعت قبيلة (زبيد) كلام سيدها رجعوا الى القتال واجتمع حوله زهاء خمسماية فارس وحملوا على الروم حملة واحدة وحملت معهم قبائل (حمير وحضرموت وخولان كما حملت قبيلة (دوس) مع أبي هريرة ودارت الحرب بينهم وبين الروم كما تدور الرحى وتكاثرت جموع الروم على ميمنة المسلمين فعادت الخيل تنكص بأذنابها راجعة على اعقابها ونظرت النساء المسلمات خيل المسلمين هاربة من ميدان القتال فنادت بعضهن بعضاً يا بنات العرب دونكن والرجال ردوهم من الهزيمة حتى يعودوا الى الحرب، قالت (سعيدة بنت عاصم الخولاني) كنت في جملة النساء يومئذ على التلّ فلما انكشفت ميمنة المسلمين صاحت بنا (عفيرة بنت غفار) وكانت من النساء المترجلات ونادت: يا نساء العرب دونكن والرجال واحملن اولادكن على ايديكن واستقبلنهم بالتحريض فأقبلت النسوه يرجمن وجوه الخيل بالحجارة وجعلت (ابنة العاص بن منبه) تنادي: قبّح الله وجه رجل يفرّ عن حليلته؛ وجعل بقية النساء يقلن لازواجهن: لستم لنا ببعولة ان لم تمنعوا عنا هؤلاء الاعلاج ونظرت (هند بنت عتبة) الى زوجها أبي سفيان منهزماً

---

(١) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول ص ٢٠٠.

(٢) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول، ص ٢٠٥.

فضربت وجه حصانه بعمودها وقالت له: الى أين يا ابن حرب؟ ارجع الى القتال وابذل مهجتك حتى تمحص ما سلف من تحريضك على رسول الله ﷺ وهكذا انعطف المسلمون في الميمنة مرة اخرى الى ساحة المعركة وذكر الزبير بن العوام انه شاهد النساء يحملن مع ازواجهن على جنود الروم يضربنهم بأعمدة الخيام.

أما (سيف الله المسلول) فلقد كان كالاسد المتحفز للانقضاض ينتظر اللحظة المناسبة للوثوب على خصمه يرقب كل شيء بهدوء واتزان معملاً ذهنه فيما يجب عمله في أوانه المطلوب، ولذلك نراه يتحرك بفرسانه لمواجهة فرسان الروم عند معسكر النساء فيعزلهم ثم يحيط بهم احاطة السوار بالمعْصم ويفتك بهم فتكاً ذريعاً حتى لا يكاد يغادر منهم احداً على قيد الحياة ثم يقوم بعد ذلك بتوجيه هجومه المضاد لاستعادة المواقع التي خسرها المسلمون في الجناح الايمن.

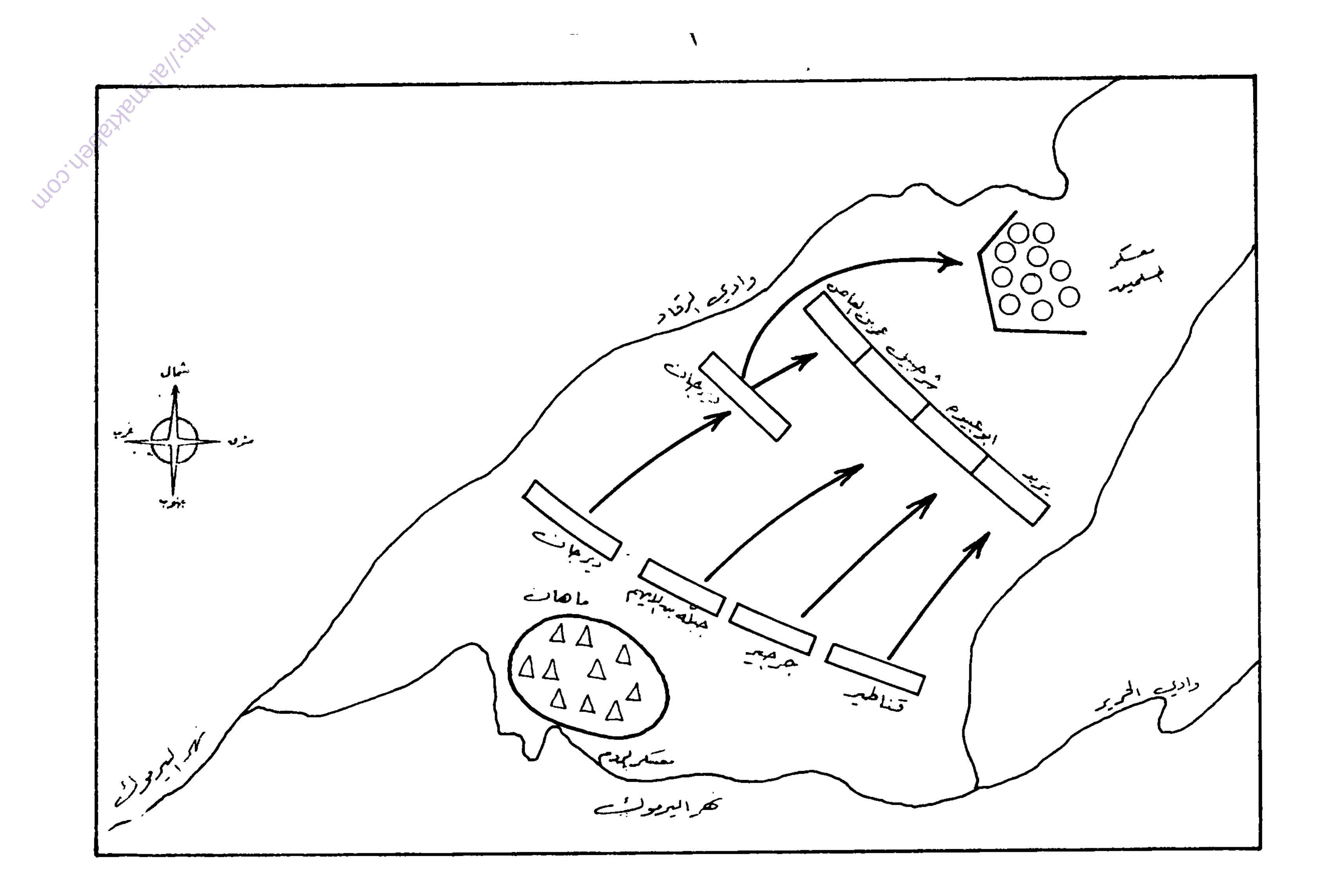
جـ - اليوم الثالث:

ذكر الواقدي[1] (فلما اصبح الصباح صلى بهم ابو عبيده صلاة الخوف واذا بالصلبان قد بدت وبرايات القوم قد طلعت في عدد الشوك والشجر كأنهم لم يلاقوا قتالاً قط فوقفوا في مصافهم ونصب (ماهان) سريره على الكثيب الذي كان عليه بالامس وهو يشرف منه على العساكر فلما نظر ابو عبيده الى سرعة الروم صاح بالمسلمين وحرضهم على القتال والثبات ثم تقدم (ابو سفيان) الى ولده (يزيد) والرآية في يده وحوله اصحابه وقد عزم على الحملة والجهاد فأوصاه بالصبر والجهاد وحسن البلاء في القتال فوعده (يزيد) خيراً ثم حمل على من يليه من الروم مستعيناً عليهم بنصر الله فقاتل وصحبه قتالاً عظيماً وأبلوا بلاءً حسناً ولم يزالوا كذلك حتى برز الى ميمنة المسلمين بطريق من البطارقة وبيده رمح عظيم وعليه صليب من الذهب وحوله زهاء عشرة الاف فارس من الروم فحملوا على الميمنة وكان فيهم (عمرو بن العاص) ثم تكاثر الروم وازدادت حملتهم عنفواناً وشده فأخذ المسلمون يتراجعون امامهم حتى وصلوا الى معسكر النساء فصاحت بهم زوجاتهم (أين أنصار الله) فسمعها (الزبير بن العوام) وكان جالساً عند زوجته (اسماء بنت أبي بكر الصديق) يداوي عينيه فوثب (الزبير) على الفور وقال: لبيك يا أختاه، أنا من أنصار الله، ثم امتطى صهوة جواده وحمل على الروم وهو يقول: أنا الزبير بن العوام، انا ابن عمة رسول الله ﷺ.

وكان سيف الله المسلول يراقب كل ما يجري وعندما تيقن ان فرسان الروم قد

---

(١) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول ص ٢٠٧ - ٢٠٨.



معسكر المسلمين
وادي الرقاد
عمرو بن العاص
شرحبيل
أبو عبيدة
يزيد
ماهان
جبلة بن الأيهم
جرجير
قناطير
وادي الحرير
معسكر الروم
نهر اليرموك
نهر اليرموك
شمال
جنوب
شرق
غرب

وصلوا معسكر النساء كرر معهم ما فعله في اليوم الاول فقضى على معظمهم ولم يبق منهم على قيد الحياة الا من تمكن من الهرب باتجاه الشرق فاستعاد المسلمون في الميمنة توازنهم ورجعوا الى مواقعهم التي كانوا عليها عند بدء القتال.

ثم واصل (خالد بن الوليد) هجومه باتجاه ميسرة الروم حتى وصل الى خيمة قائدهم (الديرجان) فهجم عليه (ضرار بن الأزور) وقتله)[1].

وخلال هذه الاثناء كان المسلمون على الجناح الايسر بقيادة (شرحبيل بن حسنه) يواجهون هجوماً عنيفاً نفّذه ضدهم (جرجير) الأرمني في ثلاثين ألفاً من الارمن وقد انكشف المسلمون في هذا الجناح امام الهجوم الروماني وكان (قيس بن هبيره) يراقب الموقف على الجناح الايسر للمسلمين وعندما شاهد جنود (شرحبيل) يولون الأدبار حمل بمن معه حتى اقتربوا من سرادقات (ماهان) الذي ولّى هارباً وصاح بمن حوله وعنفهم على تراجعهم فعادوا الى مواقعهم واستمر القتال حتى حلول الظلام.

د - **اليوم الرابع (يوم التعوير)**:

بدأ الروم هذا اليوم بالمبارزة وأنهاه خالد بن الوليد بالمبارزة كذلك ولكن الاحداث في منتصفه كانت عنيفة جداً، حيث روى الواقدي عن (عبد الله بن قرط الاسدي) أنه قال:[2]

(شهدت القتال كله فلم ار قتالاً أشدّ من يوم التعوير).

لقد شهد هذا اليوم مصرع معظم ملوك الرومان وقادتهم وبطاريقهم في المبارزة كما فعلت فيه السهام الرومانية فعلها في عيون المسلمين ففقد سبعمائة منهم احدى عيونهم او كليتيهما وشدد فيه الجيش الروماني ضغطه على المسلمين حتى أوصلوهم الى معسكر النساء كما اشتركت فيه نساء المسلمين بالقتال الى جانب ازواجهن،

بدأت المبارزة بين علج روماني عظيم الجثة شديد البأس وبين (ذي الكلاع الحميري) استطاع خلالها ذلك العلج ان يوجه ضربة الى ذراع (ذي الكلاع الحميري) اضطرته الى ان يهرب من مواجهة العلج ويدعو (فرسان حمير) للأخذ بثأره فخرج اليه أحد فرسان حمير وبارزه ثم وجّه اليه طعنة اثبتها في صدره فخرّ ذلك العلج الروماني صريعاً وبعد ذلك خرج ملك من ملوكهم يدعى (مريوس) وهو ملك بلاد (اللاّن) وطلب المبارزة فخرج له (شرحبيل بن حسنه) وبعد ان تبارزا وتضاربا انقطع السيفان في ايديهما فتعانقا معانقة شديدة وكان (ملك اللاّن) اعظم جثة من (شرحبيل) فضغط عليه

(١) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول، ص ٢١٢.

(٢) الواقدي، فتوح الشام الجزء الاول ص ٢١٧.

ضغطة شديدة وكان (ضرار بن الأزور) يراقبهما وعندما شعر بان الخطر يتهدد (شرحبيل) خرج نحوهما يسعى على قدميه حتى اقترب منهما ولا احد من الجيشين يعلم به وكان في يده خنجر فضرب به (ملك اللان مريوس) وقتله وبذلك انقذ (شرحبيل).

ثم خرج بعد ذلك أربعة فرسان من الرومان على التوالي يطلبون المبارزة فبارزهم (الزبير بن العوام) وقتلهم جميعا. وبعد ذلك خرج ملك آخر من ملوك الرومان يطلب المبارزة هو (ملك الروسية صهر ملك اللان وزوج ابنته) فخرج اليه (خالد بن الوليد) فبارزه وقتله، وعندما سمع (ماهان) بمقتل الملكين غضب غضباً شديداً وقال: (سيدان منا قتلا في يوم واحد واني أظن ان المسيح لا ينصرنا ثم أمر الرماة ان يرموا عن يد واحدة فرموا سهامهم واطلقوا نحو المسلمين دفعة واحدة مئة الف سهم فكان النشّاب يقع في عساكر المسلمين كسقوط البرق من السماء فكثرت الجراح في الناس واعوّر من المسلمين سبعماية عين فسمي ذلك اليوم (يوم التعوير)وكان ممن أصيب في ذلك اليوم بعينه (المغيرة بن شعبه وابو سفيان صخر بن حرب)[1].

اما المشهد الثالث من مشاهد ذلك اليوم المهول فقد تمثل بالهجوم الجبهوي الكاسح الذي شنّه الروم على جيش المسلمين بعد ان مهدوا له برماية السهام الكثيفة والتي احدثت آثاراً سيئة بين صفوف المسلمين وقد حاول (ماهان) ان يستغل نتيجة هذه الرمية العنيفة وان يقطف ثمارها بهجوم ساحق يخترق فيه معسكر النساء ويحقق النصر وسواء كان (ماهان) قد خطط لرمية السهام او جاءت كرد فعل على مصرع قادة جيشه الكبار الا أنه وجد فيها فرصته الذهبية لانتزاع النصر وقد كان من الممكن ان يستثمر الموقف ويستخلص النصر لو ان خصمه المقابل كان غير (خالد بن الوليد) لقد ساء الموقف الاسلامي في اليرموك اثر الهجوم الكاسح الذي شنّه (ماهان) في اعقاب (عملية التعوير) ودارت حول معسكر النساء المعركة البطولية الرائعة التي خاضتها المسلمات القرشيات بوجه خاص والعربيات بوجه عام حيث وقفت الى جانب كل فارس عربي مسلم زوجته العربية المسلمة تقاتل معه وتلهب حماسته الدينية وتستثير نخوته العربية وحميته وغيرته على شرفه وكرامته وعرضه وزوجته.

كانت (أسماء ابنة أبي بكر الصديق) تقاتل الى جانب زوجها (الزبير بن العوام) وأما خوله بنت الأزور) فقد كانت لا تقل في فروسيتها عن اخيها (ضرار) وكانت تتصدى لعلوج الروم وفرسانهم وقد جرحت في المعركة.

وكانت (عفراء بنت عفان) تقاتل الى جانب (خولة) وعندما رأتها تسقط جريحة على الأرض اقبلت نحو الفارس الروماني الذي ضربها فطعنته واردته قتيلاً ثم اسرعت بعد ذلك الى (خولة) واسعفتها.

---

(١) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول ٢١٥ ـ ٢١٧.

كذلك الدكتور يوسف غوانمه، معركة اليرموك، دار هشام للنشر والتوزيع ص ٦٨

وفعلت بقية النساء المسلمات في اليرموك ما فعلته هؤلاء النسوة الثلاثة كما روى الواقدي:[١] (أن رجلاً من بني محارب يقال له (نجم بن مفرج) قد ألهب حماس الناس وأثار حميتهم ونخوتهم بنظمه وسجعه).

أما (سيف الله المسلول) فقد أدرك ان (ماهان) قد قذف بكل ما في كنانته من سهام بعد ان فقد معظم قادته في المبارزة وان الروم اذا فشلوا في هجومهم هذا فسوف لا يقدرون على مثله أبداً ولذلك فقد سمح لهم ان يلقوا عنانهم على غاربهم وترك لهجومهم فرصة الوصول الى معسكر النساء واستنزف جهدهم وطاقتهم في معركة عنيفة داخل المعسكر حتى اذا ظن الروم أنهم وصلوا الى غايتهم وحققوا أحلامهم حمل عليهم بفرسانه من الجهة الشمالية وأصدر اوامره الى (قيس بن هبيره) ان يحمل هو الاخر عليهم من الجهة الجنوبية فيضعهم بين فكي كماشة ويطحنهم طحين الرحى بثغالها وما هي الا ساعة او ساعتين من القتال حتى غابت شمس ذلك اليوم وقد فقد الرومان من فرسانهم أربعين الفاً حول معسكر النساء وذكر الواقدي انه قد انقطع في يد خالد في ذلك اليوم تسعة أسياف وأنه في أثناء حملته كان يصيح (أنا خالد بن الوليد) فكان الرومان يفزعون من اسمه فيهربون من وجهه وروي كذلك انه في مساء ذلك اليوم خرج احد البطارقة الرومان يقال له (النسطور) ودعا (خالداً) للمبارزة فخرج اليه خالد وأثناء المبارزة كبا جواد (خالد) به فسقطت القلنسوة عن رأسه فنادى من حوله من المسلمين:[٢] (قلنسوتي رحمكم الله فأسرع اليه بها رجل من بني مخزوم فوضعها (خالد) على رأسه ثم هجم علي (النسطور) وصرعه وعندما سئل عن هذه الحادثة فيما بعد وقيل له: أنت أنت في مثل هذه الحالة وتسأل عن القلنسوة فقال خالد: ان رسول الله ﷺ لما حلق رأسه في حجة الوداع اخذت من شعره شعرات فقال لي ما تصنع بهؤلاء يا خالد؟ فقلت اتبرك بها يا رسول الله وأستعين بها على قتال اعدائي فقال لي: لا تزال منصوراً ما دامت معك فجعلتها في مقدمة قلنسوتي فلم ألق جمعاً قط إلا انهزموا ببركة رسول الله ﷺ).

ليلة الناقوصة:

ذكر الواقدي:[٣] أن رجلاً من رؤساء أهل حمص يدعى (أبو الجعيد) كان يسكن قرية (الزراعة) من اعمال حمص، وعندما تقدم الجيش الروماني متعقباً الجيش الاسلامي عسكر في (الزراعة) وكان فيها عرس (لأبي الجعيد) حيث كانت زوجته الثانية تزف اليه في تلك الليلة فتكلف (ابو الجعيد) بضيافة الروم فأكرمهم وأطعمهم وسقاهم

(١) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول ص ٢١٩.

(٢) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول ص ٢١٨.

(٣) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

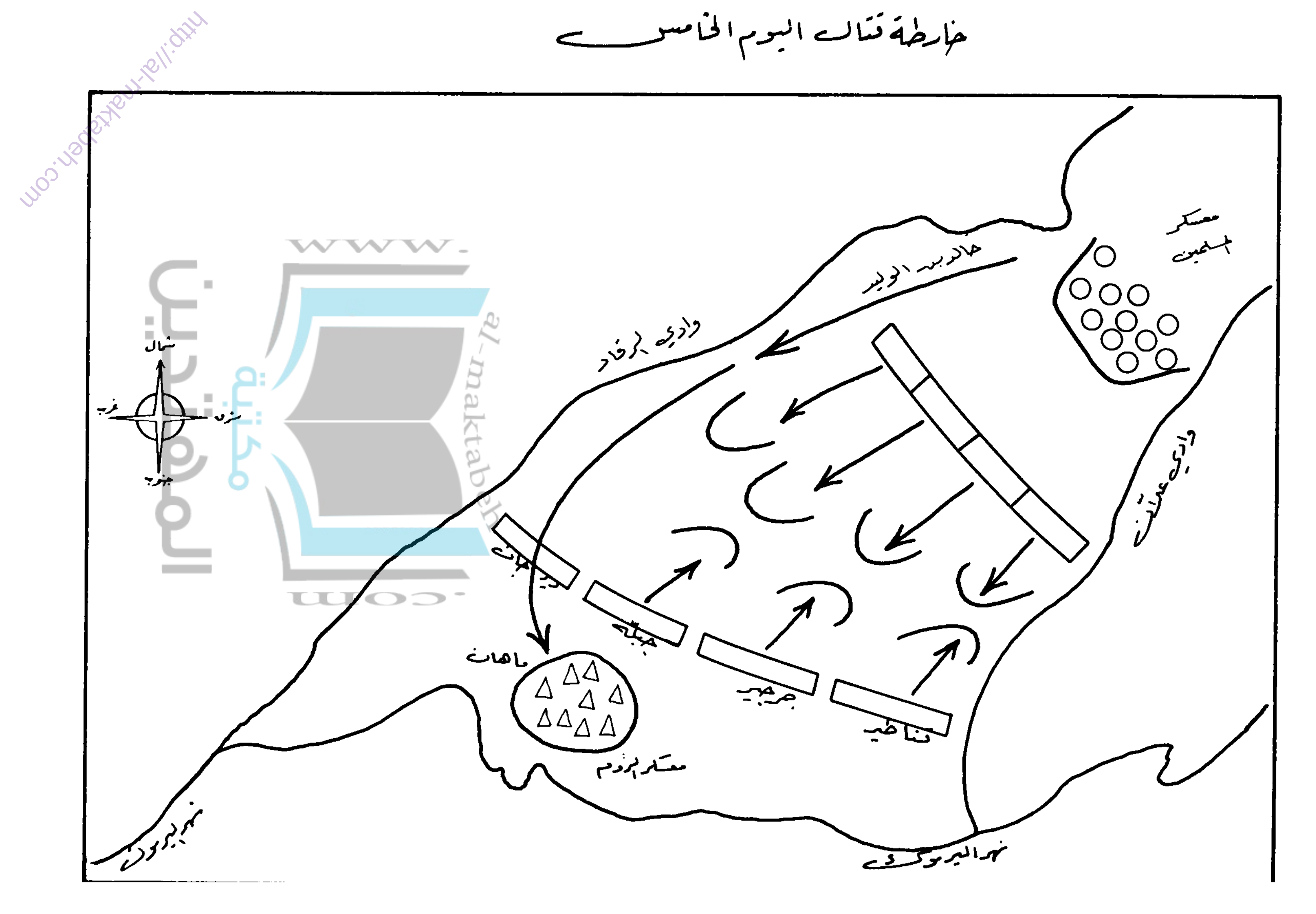
الخمر فلما فرغوا من امورهم قالوا له: هات امرأتـك الينا فـأبى عليهم ذلك وشتمهم فأخذوها رغما عنه وعبثوا بها بقية ليلتهم وقتلوا اولاده من زوجته الاولى وانطوى (أبو الجعيد) على أمر في نفسه، فلما كان (يوم التعوير) وعلم ان النصر سيكون للعرب جاء الى أبي عبيده فوجده يطوف في تلك الليلة وجماعة من المهاجرين حول المعسكر فقال لهم ما قعودكم؟ قالوا له:وما نصنع؟ قال: اذا كانت ليلة غد فأكثروا من النيران، ثم رجع الى الروم لينصب عليهم حيلة، فلما كانت الليلة الثانية اقبل (ابو الجعيد) على المسلمين وقال لأبي عبيده: اريد خمسماية من ابطالكم حتى اشير عليهم بما يصنعون، وكان ممن تمّ اختيارهم (ضرار بن الازور) ثم سار بهم الى المخاضة على نهر الرقاد ولم يكن يعلم بها احد من الجيشين ثم قال لهم: ناوشوهم الحرب ثم تظاهروا بانكم منهزمون باتجاه هذه المخاضة ودعوني واياهم ففعلوا ذلك وصـاحوا بـالرومان وحملوا عليهم ثم تـظاهروا بالهزيمة نحو المخاضة وبعد ذلك صاح (ابو الجعيد) بصوته عالياً: يا معشر الرومان دونكم ومن انهزم فهؤلاء المسلمون قد اوقدوا نيرانهم وعوّلوا على الحرب عند ذلك أقبلت الروم على عجلة وهم يظنون ان ذلك حق فبعضهم ركب جواده عريانـاً وبعضهم سار راجلاً في طلب المسلمين المنهزمين وكان (ابو الجعيد) يعدو بين ايديهم الى ان اوقفهم على الناقوصة وقال لهم هذه هي المخاضة دونكم واياهم فأقبلوا يتساقطون في الماء كتساقط الجراد حتى هلك منهم في الماء عدد كبير فسمّتها العرب (الناقوصة) لما سببته من نقص جيش الروم بكثرة من سقط فيها، ولما أصبحوا في اليوم التالي نظروا الى معسكر المسلمين فوجدوهم ما زالوا في مكانهم وعندما سأل (ماهان) عن الشخص الذي اخبرهم بهجوم العرب عليهم في الليلة السابقة قالوا: (ابو الجعيد) وهو رئيس من رؤساء أهل حمص نزلنا عليه في (الزراعة) في ليلة عرسه وعبثنا بزوجته وقتلنا اولاده فعرف كيف يأخذ منا بثأره.

اليوم الخامس:

ذكر الواقدي[1] ان (مـاهان) بعـد الخسائـر الكبيرة التي حلت بجيشـه (يوم التعوير) وخاصة سلاح الفرسان الذي أبيد نصفه حتى ذلك اليوم وهرب نصف الباقي منه خلال المعركة العنيفة حول معسكر النساء وكذلك ما أصاب قادة جيشه من هلاك أثناء المبارزة على أيدي المسلمين لذلك فكر في وسيلة للنجاة بمن تبقى معه من الجيش فأرسل في طلب (قورين) ثم تشاوروا حول ارسال شخص الى (ابي عبيده) لوقف القتال والتفاهم بعد ذلك على خطة ترضي الفريقين وعندما عرض الرجل الطلب على (أبي عبيده) همّ بالاستجابة والقبول ولكن (خالد) منعه من ذلك وقال له: لا تفعل أيها الامير فما عند

(١) الواقدي، فتوح الشام، الجزء الاول ص ٢٢٣ ـ ٢٢٥.

خارطة قتال اليوم الخامس

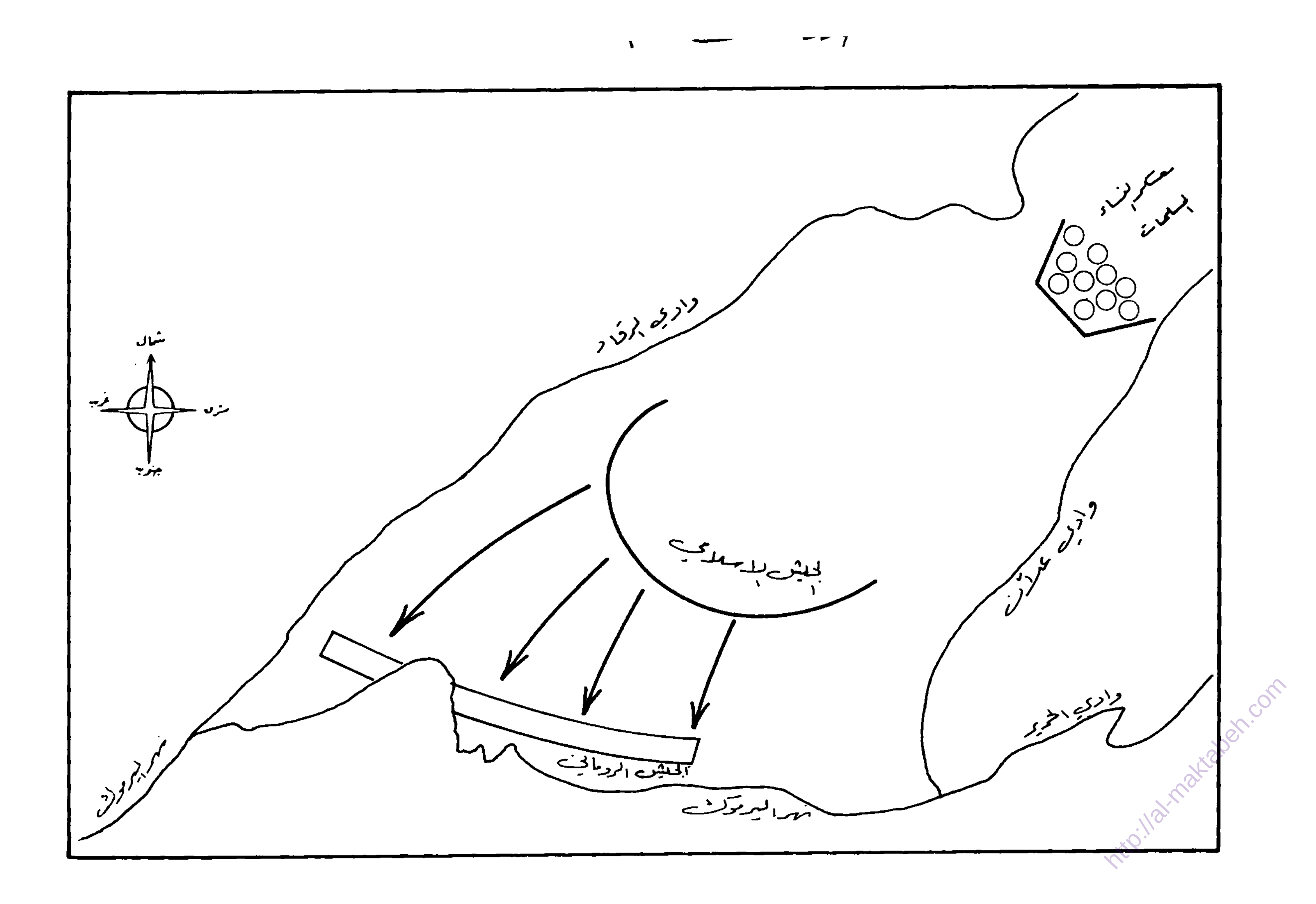


القوم خير بعد ذلك فامتنع أبو عبيده وقال للرجل: ارجع الى صاحبكم واخبره اننا لن نؤخر القتال واننا على عجلة من أمرنا، وكان الجيشان متأهبان بانتظار ما سيكون عليه الامر، وعندما وصل الجواب الى (ماهان) اخذ يستعد لمواصلة القتال وبدأ الاشتباك بالمبارزة بين (أبي عبيدة وجرجير) حيث انتهت بينهما بمصرع (جرجير) ثم خرج بطريق من البطارقة الرومان من اقرباء (جرجير) يدعى (جرجيس) وطلب المبارزة فتسابق اليه كل من (ضرار بن الأزور) و (مالك النخعي) وقد وصل اليه (مالك) اولاً فبارزه وصرعه ثم عاد (مالك) الى جيش المسلمين، عند ذلك لم يجد (ماهان) بداً من الخروج بنفسه للمبارزة فخرج اليه (مالك بن الأشتر النخعي) فابتدره (ماهان) بضربة عنيفة على جبهته فرأى مالك الدم يفور من وجهه ولكنه ادرك ان الضربة لم تكن قاتلة فتظاهر بالهزيمة امام (ماهان) فتبعه ثم انعطف اليه (مالك) وضربه مستعيناً عليه بالله وعندما احسّ (ماهان) بهول الضربة ولىّ هارباً، وكان (خالد) يرقب الموقف عن كثب فلما هرب (ماهان) صاح (خالد) بالمسلمين احملوا على الكفار فقد ادركتم النصر باذن الله فحمل المسلمون على الروم وهم يصيحون بأعالي صوتهم (الله اكبر) وقاد خالد هجوم الفرسان من الجهة الشمالية والتف حول مؤخرة الروم فأوسع فيهم قتلاً وتنكيلاً فهرب فرسان الروم من المعركة وكان في مقدمة الهاربين (ماهان) القائد العام لهم جميعاً، واستمر الجيش الاسلامي يزحف ويضغط على الجيش الروماني ويحصرونهم في منطقة (الواقوصه) حتى حلّ المساء واشتد الظلام وكان الرومان يتدافعون في الواقوصة ولا يعرفون عن بعضهم شيئا كما كان المسلسلون يجرون بعضهم بعضاً الى الواقوصة فيسقطون فيها جميعاً.

اليوم السادس المطاردة :

ذكر الواقدي[١] أنه بعد ان أشتد الظلام في اليوم الخامس من أيام المعركة وقد انكشف الروم وانهزموا امام المسلمين طلب (أبو عبيده) من (خالد) ان يوقف القتال حتى الصباح حيث صار المسلمون لا يرى بعضهم بعضاً، كما ان النتيجة قد ظهرت جلية واضحة فتوقف (خالد) عن اعمال المطاردة ليلاً، وفي صباح اليوم التالي نظر المسلمون الى الروم فلم يروا منهم احداً، وعندما وقفوا على المقطع الصخري للنهر وجدوا الجثث متناثرة على حافته فأدركوا أنهم سقطوا فيه خلال الليل وهكذا كانت نهاية الجيش الروماني الذي تجمع أغلب الروايات على ان عدده كان اكثر من مئتي الف جندي قتل منهم في ميدان المعركة مئة ألف وسقط في الواقوصة ثمانون ألفاً ونجا منهم من هرب باتجاه دمشق فتابعهم (خالد) وأدركهم قرب دمشق وكان فيهم (ماهان) فحمل عليهم

(١) الواقدي، فتوح الشام، الجزء ١، دون ص ٢٢٦.


شمال
شرق
غرب
جنوب
وادي الرقاد
معسكر النساء المسلمات
الجيش الإسلامي
الجيش الروماني
نهر اليرموك
نهر اليرموك
وادي علان
وادي الحرير

وقتــل منهم مقتلة عظيمــة وقد تمكن (النعمــان بن جهله الازدي وعــاصم بن خــوال اليربوعي) من قتل (ماهان).

ثم خرج اهل دمشق لملاقاة (خالد) وقالوا له: نحن على عهدنا الذي كان بيننــا وبينكم فقال لهم: نعم، ثم مضى الى حمص فنزل بها وبلغ ذلك أبا عبيده فلحق به.

معركة القادسية

رحل خالد الى الشام بنصف جيش العراق لأن الموقف الاسلامي في بلاد الشام كان يحتاج الى قيادة أكثر كفاءة ودراية بفنون القتال كما كان يحتاج الى قوات اضافية مدربة تعززتلك القوات وتزيد من شوكتها.

اما الموقف الاسلامي في بلاد العراق فلقد كان ادعى الى السلامة والاطمئنان وخاصة بعد فتح الحيرة والانتصارات التي حققها المسلمون ضد الفرس في (كاظمة والمذار والولجه وأليس وامغيشيا والحيرة وكربلاء وعين التمر ودومة الجندل والفراض) في أقل من ثلاثة أشهر.

وكما كان الخليفة ابو بكر يرى أن مسرح بلاد الشام يحتاج الى خالد بن الوليد فلقد كان يرى كذلك ان المثنى بن حارثة الشيباني هو أفضل من يخلف خالداً في العراق.

ولكن المنية قد عاجلت أبا بكر قبل أن تسجل الجيوش الاسلامية في العراق والشام انتصاراتها الحاسمة ضد الفرس والروم.

وتولى الخلافة عمر بن الخطاب بعد ابي بكر الصديق وكان أول عمل عسكري قام به هو عزل خالد والمثنى وتوليه ابي عبيدة عامر بن الجراح وأبي عبيد بن مسعود الثقفي مكانيهما[1].

ونحن اذ لم نكن بالمستوى الذي يقيم عمل الفاروق في عزل خالد والمثنى فان الفاروق نفسه قد قيم عمله حين قال: (رحم الله ابا بكر فلقد كان أعلم مني بالرجال).

فما الذي كان يمكن أن يحدث في اليرموك لو تمسك أمين الامة ابو عبيدة بالقيادة (كما تمسك بها أبو عبيد بن مسعود الثقفي في معركة (الجسر) في العراق حينما تمسك برأيه ولم يقبل بالمشورة التي قدمها له (سليط بن قيس) بان لا يعبر الجسر واكثر من ذلك فقد اتهمه بالجبن)[2].

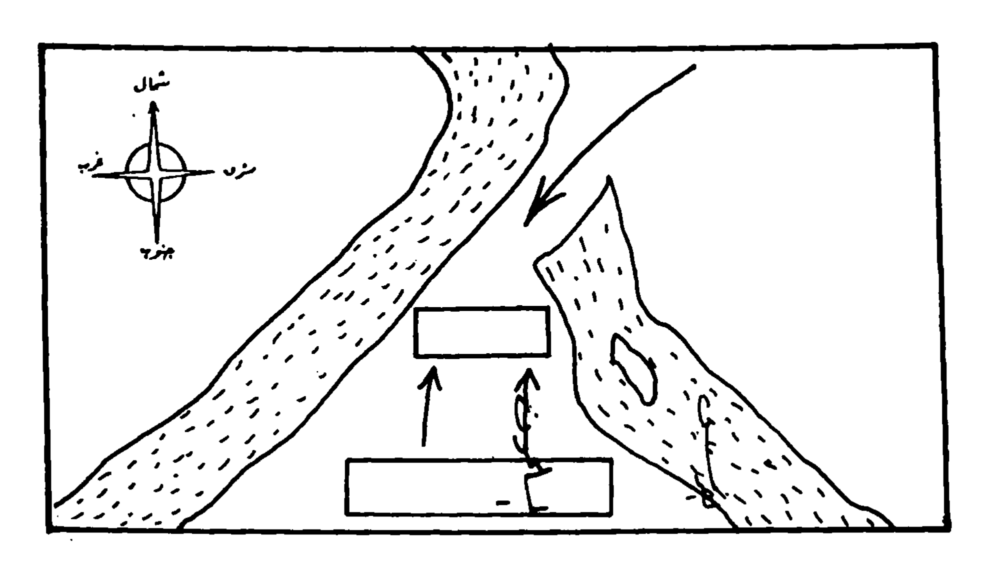
رحم الله المثنى فلقد صنع في معركة الجسر ما صنعه استاذه خالد بن الوليد في معركة مؤتة حيث استطاع بعبقريته (أن يضمن انسحاب أربعة الاف من جيش المسلمين بعد أن تأكد أنه يخوض بهم معركة خاسرة)[3].

وكما عمل خالد في معركة الفرسان في اليرموك حين استعاد زمام المبادرة من أيدي خصومه وضرب معنوياتهم ورفع معنويات الجيش الاسلامي اثر تراجعه الطويل امام

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع ص ٥٩ ـ ٦٠

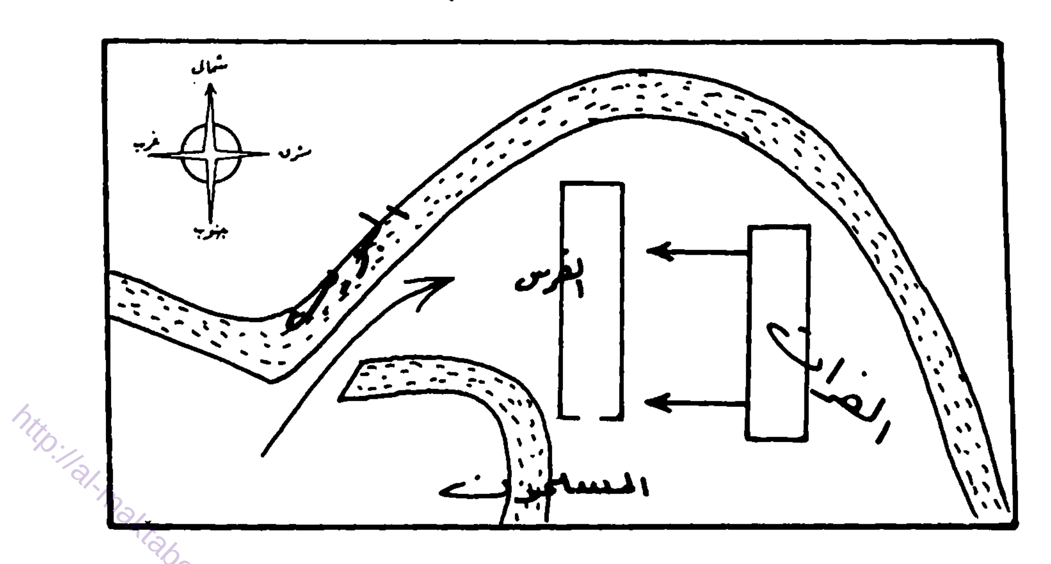
(٢) المسعودي، مروج الذهب، الجزء الثاني، المكتبة الاسلامية بيروت، ص ٣١٥ ـ ٣١٧.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ ص ٢٥٢.



خارطة معركة الجسر / المسلمون يعبرون الجسر

خارطة معركة البويب / الفرس يعبرون الجسر



الجيش الروماني من حمص الى اليرموك (فلقد عمل المثنى ما يشبه ذلك في معركة البويب بعد مضي بضعة أشهر على معركة الجسر فاستعاد زمام المبادرة ورفع معنويات جنوده وحطم معنويات اعدائه بعد ان كانت قد ارتفعت في معركة الجسر)[1].

ونحن كذلك لا نستطيع ان نغمز من قدر خالد والمثنى حيث عزلهما الخليفة الفاروق وكان قد أقرهما الخليفة الصديق قبل ذلك وحققا ما حققاه في فتوح العراق والشام، كما أننا لا نستطيع ان نخطيء الخليفة الفاروق بعزلهما عن القيادة.

وكل ما نستطيع قوله أن خالداً والمثنى يصلحان للقيادة والعمل مع الصّديق ولا يصلحان للقيادة والعمل مع الفاروق وذلك راجع لاختلاف في طبائع الرجلين أبو بكر وعمر بن الخطاب.

فالخليفة ابو بكر يشكل نموذجاً للقيادة الديمقراطية التي تترك مجالاً كافياً للقيادة الميدانية للتصرف والعمل بمطلق الحرية والصلاحية دونما تدخل.

أما الخليفة عمر فانه يشكل نموذجا آخر للقيادة يمكن أن يطلق عليها اصطلاح (القيادة المركزية) التي تمسك زمام الامور بقوة ويمكن ان تفرض رأيها على ساحات القتال في العراق والشام وهي بعيدة عنها الاف الكيلو مترات في (المدينة المنورة).

ولكن هذا الافتراض اذا كان جائـزاً ومقبولاً لدى (أبي عبيـدة وسعد بن أبي وقاص) فانه لا مكان له على الاطلاق عند (خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيباني).

فخالد اذن لا يصلح للتعامل مع الفاروق من منطلق اختلاف الطبائع الادمية التي تجعل لكل منهما شخصية مستقلة متميزة، وما يقـال عن (خالد) يمكن ان يقـال عن (المثنى) تلميذه وقائد طلائعه الامامية في حرب العراق.

وكما لم يقر عمر (خالداً) على القيادة بعد انتصاره الكبير على الروم في معـركة اليرموك فهو كذلك لم يقر (المثنى) على القيادة بعد انتصاره الكبير على الفرس في معركة البويب.

وعندما جاءه (المثنى) الى المدينة يزف اليه بشرى انتصار المسلمين على الفرس في البويب ويطلب منه المدد فقد كافأه بتعيين سعد بن ابي وقاص أميراً عليه.

وعاد المثنى الى مكانه في العراق وتوفي رحمه الله قبل وصول سعد بن ابي وقاص اليه وعندما وصل (سعد) وجد أن المثنى قد ترك له وصيـة توضـح له اسلوبه الذي استخدمه في قتال الفرس وترشده الى ما هو ضروري ومناسب في قتالهم، وقد نقل (المعنّى

---

(١) ابن خلدون، المجلد الثاني، بقية الجزء الثاني من تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت ص ٨٩ ـ ٩١.

بن حارثة الشيباني) شقيق (المثنى) تلك الرسالة الى (سعد بن أبي وقاص) والتي يقول فيها[1]
«أن لا يقاتل الفرس إذا استجمع امرهم في عقر دارهم وان يقاتلهم على حدود ارضهم على ادنى حجر من ارض العرب وادنى مدرة من ارض العجم فان يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم وان يكن الاخرى فاؤا الى فئة ثم يكونوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم الى أن يردّ الله الكرة عليهم) فلما انتهى الى (سعد) رأى (المثنى) ووصيته ترحّم عليه وأمّر (المعنّى) على عمله ثم خطب (سلمى) زوجة (المثنى) وتزوجها.

موقف الطرفين قبل معركة القادسية

١ ـ موقف الفرس:

أ ـ **الموقف السياسي** : شهد البلاط الفارسي صراعا على السلطة استمر طيلة عهد ابي بكر، فعندما رحل خالد الى الشام كان قد توفي (أردشير) وتولى الحكم ابنخ (شهريار بن اردشير بن شهريار) وقد حدثت في فترة حكمه القصيرة معركة بابل في (آواخر أيار عام ٦٣٤م الموافق آواخر ربيع الاول ١٣هـ) وانتصر فيها المثنى على (هرمز جاذوية) ثم ملكت من بعده (دخت زنان) ابنة كسرى وخلعت ثم جاء بعدها (سابور بن شهريار)، (وقد عهد بأمره الى (فرخزاذ بن بندوان) والد رستم قائد جيش الفرس في القادسية وقد طلب فرخزاذ من سابور ان يزوجه من (آزر ميدخت) ابنة كسرى فوافق سابور على ذلك ولكن (آزر ميدخت) رفضت هذا الزواج وقالت: يا ابن عم أتزوجني من عبدي؟ ولما أصر سابور على زواجها منه دبرت مكيدة استطاعت بها ان تتخلص من فرخزاذ وسابور حيث قتلتهما واستولت على السلطة.

---

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع، دار القاموس للطباعة والنشر بيروت، ص ٨٨ ـ ٨٩، وكذلك ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد الثاني، بقية الجزء الثاني، دار جمال للطباعة والنشر، بيروت ص ٩٢.

وهكـذا اشتعلت الفتنة في البـلاط الفارسي حيث ثـار رستم وكان حـاكماً لخراسان فأرسلت اليه بوران ابنة (كسرى أبرويز) فزحف من خراسان الى المدائن ثم قتل آزر ميدخت بعد ان هزم جيوشها، وبعد ذلك نصب يزدجرد الثالث على عرش فارس فقام بتعيين رستم قائداً عاماً للجيش وأوكل اليه مهمة الحرب وطرد الجيوش الاسلامية من العراق)[١].

ب - الموقف العسكري:

(١) **قيادة الجيش الفارسي** تولى رستم قيادة الجيش الفارسي بأمر من يزدجرد وطلب اليه الحركة الى القادسية لمواجهة الجيش الاسلامي فيهـا وتحرك رستم من المدائن الى ساباط رغماً عنه فلقد كانت له وجهة نظر اخرى في مواجهة العرب فهو يرى ان حرب الاستنـزاف أفضل من مـواجهتهم في معركة فاصلة[٢] وربما كان يخشى في حقيقة الامر مواجهة العرب (فلقـد روي عنه انه كان مشهوراً بعلم التنجيم وانه قد تنبأ بانتصار العرب وزوال عرش كسرى)[٣]

وسواء أكان رستم يفضل حرب الاستنزاف على المواجهة المباشرة او كان يخشى هذه المواجهة (الا ان يزدجرد ارغمه عليها وذلك بسبب الحاح اهل السواد واستغاثتهم به من الغارات المتـلاحقة التي نفـذها الجيش الاسـلامي على محـاصيلهم وثمارهم وحيواناتهم سواء في عهد سعد بن ابي وقاص او المثنى من قبله)[٤].

وعلى هذا يكون الضغط الاسلامي قد أفلح في التأثير على قرار الامبراطور بالحرب والحركة الى القادسية لمواجهة الجيش الاسلامي فيها.

المسلمون اذن يختارون مكان المعركة ويحددون زمانها (تلك كانت خطة الخليفة عمر بن الخطاب فلقد اختار لسعد ان ينزل في القادسية وان لا يبرحها الا بالاغارات التي شنها على اهل السواد فيحقق بهذه الاغارات الاكتفاء الذاتي من الغذاء للجيش من جهة وتكون هذه الاغارات وسيلة ضغط على أهل السواد الذين سيستغيثون بالبلاط الفارسي لانقاذهم فيتحركون نحو القادسيـة)[٥] ولا اريد هنـا ان ابين اهميـة موقـع

---

(١)الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع، ص ٦٢ - ٦٣، وكذلك ابن كثير البداية والنهاية، الجزء السابع، منشورات مكتبة المعارف بيروت ص ١٦ - ١٧.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السابع، منشورات مكتبة المعارف بيروت ص ٣٥ - ٣٨

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السابع، ص ٢٦.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السابع ص ٣٧ - ٣٨.

(٥) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع ص ٨٩ - ٩٠، وكذلك صفحة ٩٦ - ٩٧، ابن خلدون تاريخ ابن خلدون،، المجلد الثاني، بقية الجزء الثاني من تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ص ٩١.

القادسية وسبب اختياره من قبل الفاروق ولكنني أودّ ان أقول أن كسرى الفرس أخذ يرقص على أنغام خليفة العرب.

(٢) **الجيش الفارسي**: نظم رستم جيشه استعداداً للحركة الى ميدان القادسية بأسلوب يناسب انفتاح القوات للتقدم فقسمه الى خمسة أقسام كما يلي[١]:

الاول	مقدمة عليها	جالينونس وقوامها اربعون الفا
الثاني	ميمنة عليها	(الهرمزان) وقوامها ثلاثون الفا
الثالث	ميسرة عليها	(مهران) وقوامها ثلاثون الفا
الرابع	مؤخرة عليها	(البندران) وقوامها عشرون الفاً
الخامس	الخدمات الادارية	وقوامها ثمانون الفا

وكان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً منها فيل أبيض كان (لسابور) فهو أعظمها وأقدمها وكانت بقية الفيلة تألفه.

فيكون تعداد الجيش الفارسي الذي تحرك من المدائن مئتي الف منهم ثمانون الفا، خدمات ادارية، ومئة وعشرون الفا مقاتلين.

٣ ـ حركة رستم العسكرية (زحف السلحفاة)

أطلق المحللون العسكريون على (حركة رستم العسكرية من المدائن الى القادسية اصطلاح (زحف السلحفاة) ذلك انه قطع مسافة مئةٍ وخمسةٍ وثمانين كيلومتراً خلال أربعة أشهر بمعدل كيلو متر ونصف في اليوم الواحدة)[٢].

ونحن اذا قارنا معدل سرعة تقدم رستم خلال حركته الى القادسية بمعدل سرعة تقدم خالد بن الوليد من اليمامة في البحرين الى الحيرة في العراق نجد ان خالداً استطاع فتح العراق واجتيازه من أقصى جنوبه الى أقصى شماله في فترة لا تصل الى أربعة أشهر مع الآخذ بعين الاعتبار ان اسلوب حركة خالد كان تعبويا وانه استخدم اسلوب التقدم للأشتباك وخاض اكثر من ستة عشر معركة انتصر فيها جميعاً وفتح شواطىء الفرات الغربية من البصرة جنوبا الى الفراض شمالاً.

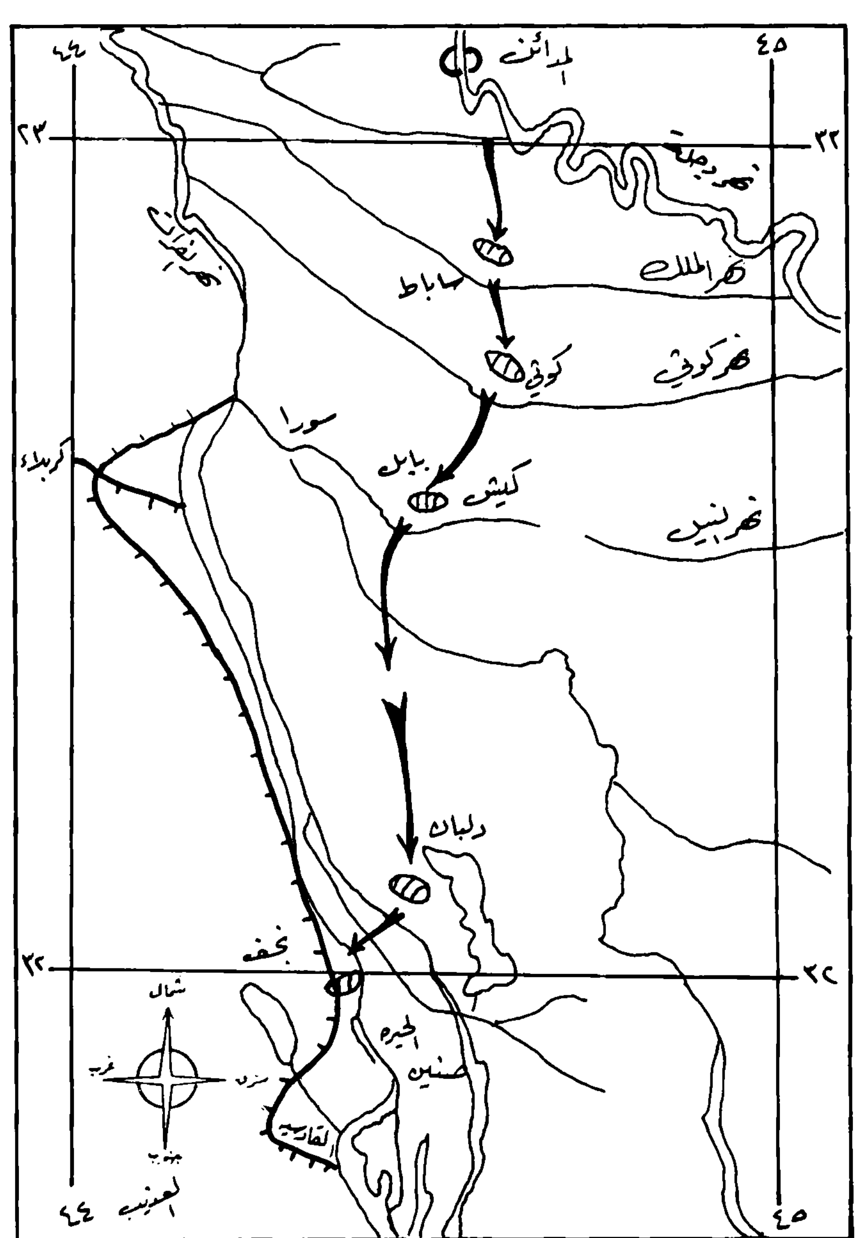
اما حركة رستم فقد استخدم فيها اسلوب التنقل على الطرق ضمن مناطق امنية لا عدو فيها وهذا الاسلوب أشبه بالتنقل الاداري في عصرنا الحاضر.

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السابع، منشورات مكتبة المعارف بيروت ص ٣٨.

(٢) احمد عادل كمال، القادسية، دار النفائس بيروت الطبعة السادسة ص ٨٣ ـ ٩١

حركة رستم العسكرية المعروفة بزحف السلحفاة



كما انه لا مجال للمقارنة بين معدل سرعة تقدم رستم في (زحف السلحفاة) وبين معدل سرعة تقدم خالد في الجزء الثاني من حركته التعبوية المشهورة (من الحيرة في العراق الى بصرى في الشام) فلقد قطع اربعة اضعاف المسافة التي قطعها رستم في ثمانية عشر يوما فقط.

ويمكن القول ان حركة رستم او تنقله الاداري المشهور (بزحف السلحفاة) كان أبطأتقدم شهدته ساحات القتال حتى عصرنا الحاضر.

٢ ـ موقف المسلمين

أ ـ **الموقف السياسي** توفي ابو بكر رضي الله عنه وتولى الخلافة عمر بن الخطاب ولكن انتقال الخلافة الاسلامية من شخص الى آخر لم يغير شيئا في استراتيجية الفتح الاسلامي وكل ما حدث من تغيير كان مقتصراً على قادة الفتح الاسلامي في العراق والشام ولم ينتج عن هذه التغييرات التي طرأت على القيادة السياسية او الميدانية آثاراً سلبية بارزة اللهم سوى ذلك الأثر الذي نتج عن عزل المثنى وتعيين ابو عبيد الثقفي في معركة الجسر، ولم يمض وقت طويل حتى أعاد المثنى الكرة على الفرس في معركة البويب وثأر لشهداء معركة الجسر.

ب ـ الموقف العسكري

(١) ـ قيادة الجيش الاسلامي

تعاقب على قيادة الجيش الاسلامي في العراق اربعة من القادة البارزين وهم على التوالي: خالد بن الوليد والمثنى بن حارثه الشيباني في خلافة ابي بكر ثم ابو عبيد بن مسعود الثقفي وسعد بن ابي وقاص في خلافة عمر.

ويمكن القول ان القيادة الميدانية عند خالد وتلميذه المثنى كانت مبدعة خلاقة اما قيادة ابي عبيد وسعد فقد كانت ملتزمة منفذة.

ولهذا فقد رأينا ان الخليفة الفاروق هو الذي خطط لمعركة القادسية وهو الذي اختار مكانها وبرمج لسعد زمانها كما نرى سعد لا يكاد يحرك ساكنا في ميدان العراق الا بعد موافقة الخليفة عليه بينما نجد الامر على خلاف ذلك مع خالد والمثنى فأبو بكر أوكل الى خالد وعياض مهمة احتلال الحيرة وترك لهما استخدام الاسلوب المناسب للوصول اليها، وليس معنى ذلك ان خالداً كان خارجاً على تعليمات الخلافة ولكنه في الحقيقة كان قائداً ميدانياً متميزاً، انه استاذ العبقرية العسكرية.

(٢) ـ الجيش الاسلامي

(أ) ـ **قوات (المثنى بن حارثه الشيباني)**[١] وقد تولى قيادتها بعد وفاته (بشير بن الخصاصية) وقوامها (ثمانية آلاف) جندي

(ب) ـ **قوات هاشم بن عتبه بن ابي وقاص**[٢] وقوامها (ستة آلاف) جندي وهي جيش (خالد) الذي تحرك معه الى الشام ولكن هذا الجيش قد عاد دون (خالد) وعلى مقدمته (القعقاع بن عمرو التميمي).

(ج) **مجموع الجيش الاسلامي بمن حضر مع** (سعد بن ابي وقاص) ومن اجتمع اليه كان يتراوح بين (ثلاثين الفاً الى ستة وثلاثين ألفاً)[٣].

(٣) ـ خطة المسلمين

يمكن القول ان القيادة العليا في المدينة هي التي رسمت الخطوط العريضة للخطة الميدانية في القادسية ومعنى ذلك ان استراتيجية الميدان قد اختفت معالمها في الاستراتيجية العليا فعندما تذكر القادسية تسبق الى الذهن صورة عمر بن الخطاب وتحتوي صورة سعد في زاوية منها ولكن لو ذكرنا اليرموك على سبيل المثال فان صورة خالد بن الوليد فقط هي التي تقفز الى الذهن ولا تقفز الى جانبها اية صورة اخرى مع العلم ان معركتي اليرموك والقادسية حدثتا في عهد عمر بن الخطاب كما ان خالد بن الوليد لم يكن القائد العام للجيوش الاسلامية في بلاد الشام وانما كان ابو عبيدة ومعنى هذا ان القيادة الميدانية في بلاد الشام هي التي باشرت وضع الخطة في اليرموك ولم يكن للاستراتيجية العليا في المدينة اي دور يذكر عند وضع الخطة ولهذا كانت الاستراتيجية الميدانية في بلاد الشام متميزة مستقلة ويمكن القول ان خطة المسلمين كانت قائمة على اختيار القادسية للمعركة الفاصلة ومحاولة جر الفرس اليها وقد نفذ المسلمون الغارات المتلاحقة على اهل السواد بين النهرين فضجوا واستغاثوا مما اضطر يزدجرد الى تعيين رستم قائداً للجيش وطلب منه التوجه الى القادسية للقضاء على المسلمين فيها وكان (رستم) يجنح الى حرب الاستنزاف ويخشى مواجهة المسلمين وقد ألح على كسرى باعتماد هذا الاسلوب ولكن كسرى أصر على حركته وقال له: لتسيرنّ اليهم أو لأسيرنّ

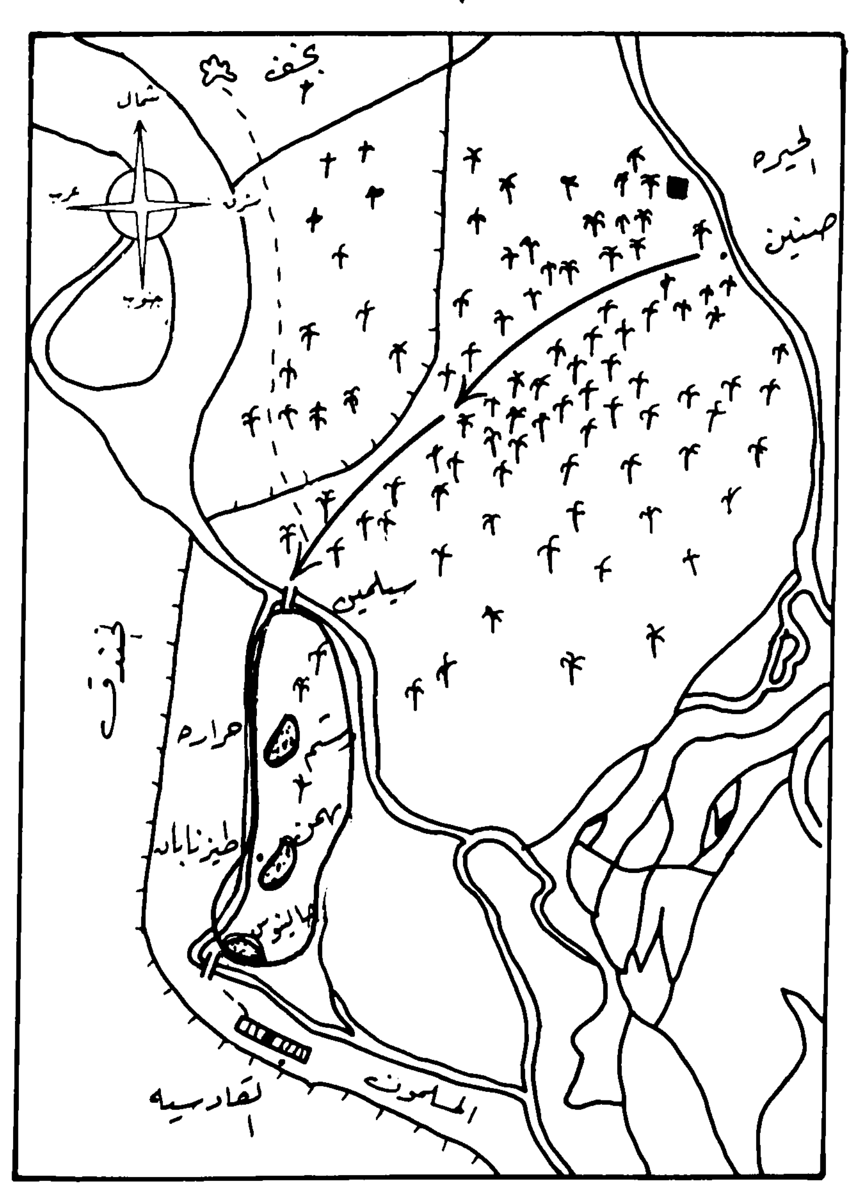
---

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع ص ٨٦ ـ ٨٧

(٢) المسعودي، مروج الذهب، الجزء الثاني، المكتبة الاسلامية بيروت ص ٣٢١

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السابع منشوورات مكتبة المعارف بيروت ص ٣٦، وكذلك ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثاني دار الكتب العلمية بيروت ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.

وصول رستم الى القادسية



بنفسي فتحرك (رستم) مرغماً الى القادسية[1] وهكذا نجح المسلمون في فرض ميدان المعركة على الفرس مما أكسبهم ميزة ذهبية كان لها تأثير كبير على مجرى القتال.

(٤) ـ ميدان المعركة

كان اختيار المسلمين لميدان المعركة قائماً على الاعتبارات التالية[2]:

(أ) قربه من الصحراء فهي حصنهم الامين الذي لا يستطيع عدوهم ان يدخل فيه ومكان القادسية يقع الى الجنوب من الحيرة.

(ب) حصر عدوهم في مكان ضيق لا يتسع لاستيعاب جميع قواته حيث نزل المسلمون القادسية قبل وصول عدوهم بمدة طويلة فكان طول الموضع الذي ترك للفرس لا يزيد عن كيلو مترين ولا يزيد عرضه عن مئتي متر.

معنى ذلك ان مساحة المنطقة المتروكة للفرس لا تزيد عن (اربعماية الف) متر مربع فاذا علمنا ان تعداد الجيش الفارسي قد بلغ (مئتي الف) جندي فان الفسحة المخصصة للجندي الواحد لا تزيد على (مترين مربعين) وهي فسحة غير كافية للانفتاح الجيد والحركة المطلوبة.

(جـ) الاستفادة من بعض الاماكن الهامة مثل السيطرة على القنطرة التي كانت على النهر فقد حاول الفرس الدخول منها ولكن سعداً منعهم من ذلك قائلا: «تكلفوا معبرا اخر غير القناطر» فبات المجوس يردمون العتيق بالزرع والتراب وببرادع رواحلهم وأمتعتهم طوال الليل حتى الصباح.

وبقي سعد مسيطراً على هذه القنطرة طيلة ايام المعركة حيث حرم عدوه فرصة الانسحاب منها فسقط الكثير من جنوده في النهر وماتوا غرقاً.

(د) كان موقع القادسية يساعد المسلمين في انهم كانوا يقاتلون وكانت الشمس في ظهورهم بينما كان الفرس يقاتلون والشمس في وجوههم كذلك كان شأن القتال بين المسلمين والروم في اليرموك.

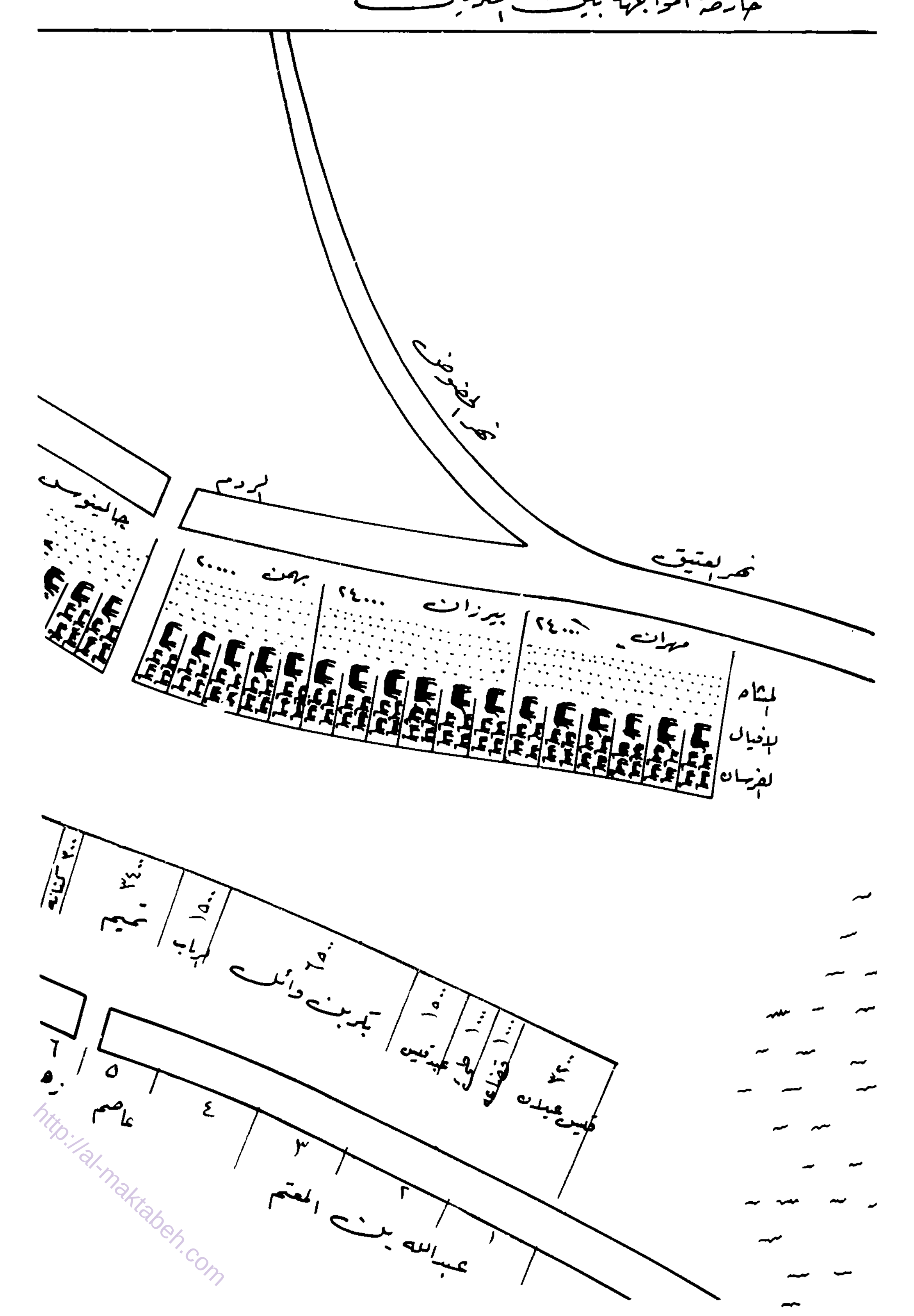
نشوب القتال

١ ـ **اليوم الاول (يوم ارماث)** بدأ القتال بالمبارزة كالعادة بين الجيشين وقد كانت لصالح المسلمين وبعد ذلك (باشر كل من الهرمزان وجالينوس هجومهما باتجاه الجناح الايسر للمسلمين وكان ثقل الهجوم موجهاً نحو قبيلة بجيلة وكانت قوة هذا الهجوم (اثنين وخمسين ألف مقاتل) يتقدمهم ثلاثة عشر فيلاً.

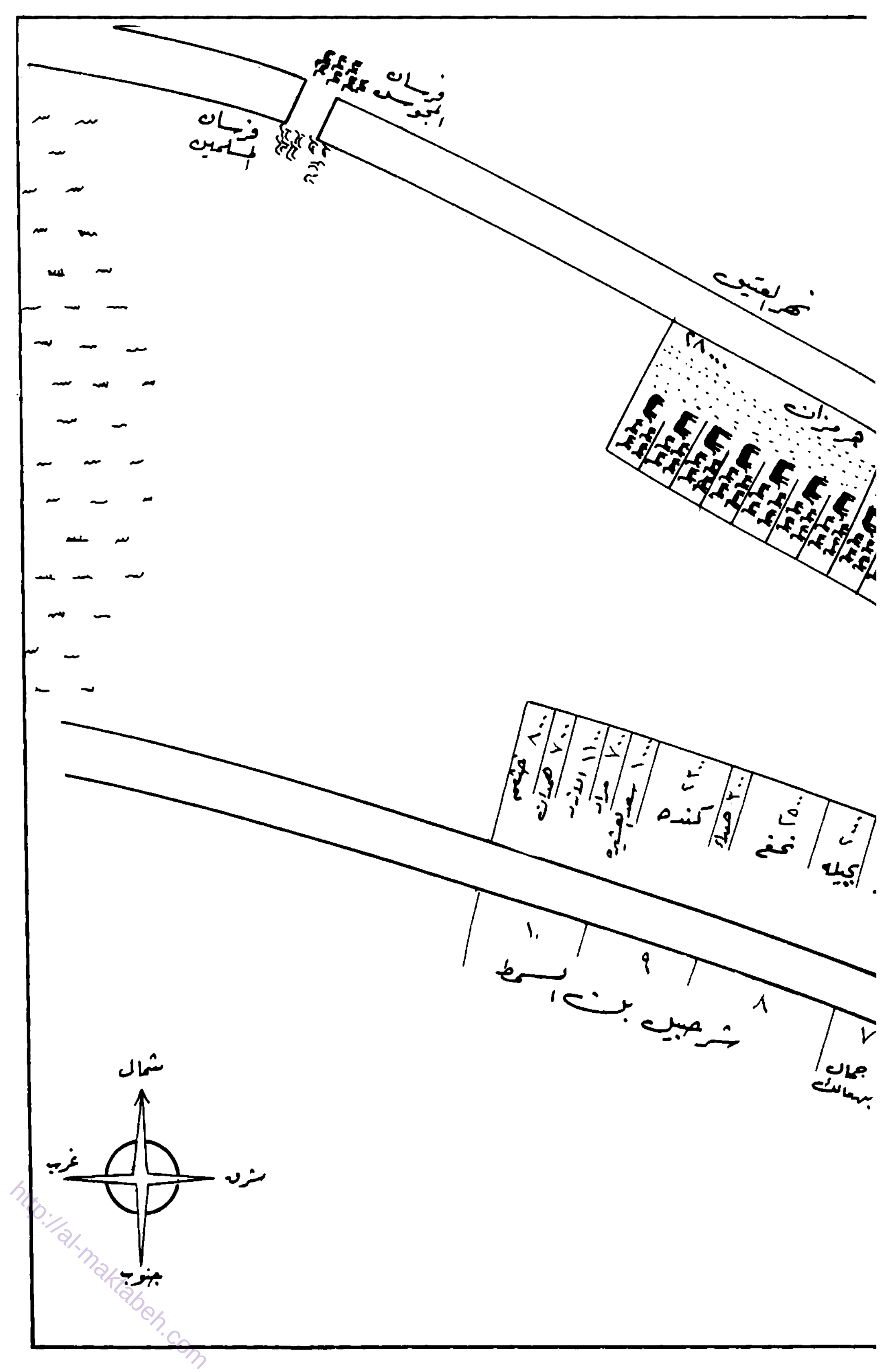
---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثاني، دار الكتب العلمية بيروت ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧

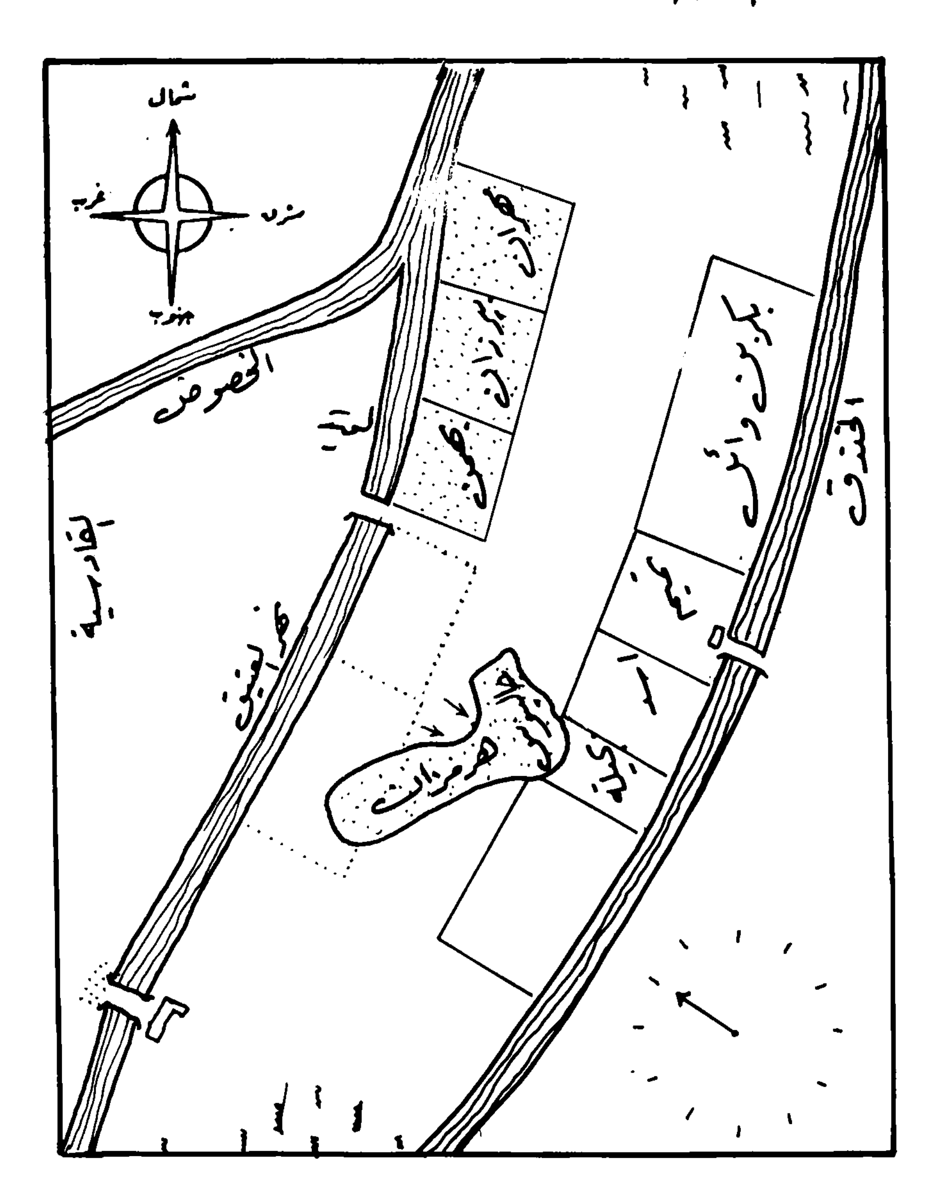
(٢) الطبري، كتاب الامم والملوك، الجزء الرابع صفحة ٨٩ ـ ٩٠، رسالة عمر بن الخطاب الى سعد بن ابي وقاص.



خارطة المواجهة بين الطرفين
نهر العتيق
الردم
جالينوس
بهمن
بيرزان ٢٤٠٠٠
مهران ٢٤٠٠٠
المشاة
الأفيال
الفرسان
كنانة
تميم
الرباب ١٥٠٠
بكر بن وائل
١٥٠٠
قضاعة ١٠٠٠
عاصم
عبد الله بن المعتم


فرسان المجوس
فرسان المسلمين
نهر العتيق
٢٨٠٠
همدان
٨٠٠ خثعم
٧٠٠ هوازن
١١٠٠ الأزد
٧٠٠ مراد
١٠٠٠ سعد العشيرة
٣٠٠٠ كندة
٢٠٠٠ همدان
٢٥٠٠ نخع
بجيلة
١٠
٩
٨
٧
شرحبيل بن السمط
جمال بن مالك
شمال
جنوب
شرق
غرب

خارطة بدء الهجوم الفارسي ضد قبيلة بجيلة من الجيش الاسلامي



وقد استطاع هذا الهجوم ان يحدث خلخلة بين صفوف المسلمين ونفرت الخيل فتراجعت قبيلة بجيلة تحت ثقل الهجوم الفارسي[١] فأرسل سعد وكانت قيادته في (حصن قديس) الى زعيم قبيلة بني أسد يأمره بالقيام بهجوم مضاد على قوات الجالينوس أمامهم لتخفيف الضغط عن بجيله كما ارسل الى زعيم بني كنده يأمره ومن معه من القبائل غير المتأثرة ان يقوم بهجوم مضاد على جناح الهرمزان.

وباشر كل من طلحة بن خويلد الاسدي والاشعث بن قيس الكندي هجومين مضادين عنيفين في وقت واحد[٢].

نجح (سعد بن ابي وقاص) في وضع القوات الفارسية المهاجمة بين فكي الكماشة التي كانت قبيلة بني أسد تمثل طرفها الايمن بينما كانت قبيلة كندة تمثل طرفها الايسر اما قبيلة بجيلة فكانت تشكل محور الطرفين فهي التي كانت تواجه وطأة الهجوم وثقله.

وعلى الرغم ان فكي الكماشة الاسلامية لم يتمكنا من الاحاطة بالهجوم الفارسي واحتوائه داخلها الا أن حركتها قد أفقدت الهجوم الفارسي توازنه وقللت من فاعليته حيث اخذت قواته تتراجع الى الوراء تحت تأثير اللكمات العنيفة المتلاحقة التي وجهتها قبيلتا كنده وبنو اسد لاجنحة الهجوم الفارسي.

تلك كانت اول معضلة نجح سعد في التغلب عليها ام المعضلة الثانية فلقد تمثلت بالفيلة التي بلغ عددها ثلاثة وثلاثين والتي كان لها الدور الاكبر في خلخلة الصفوف المنيعة للمسلمين والتقليل من فاعلية سلاح الفرسان فلقد كانت الخيول تجفل عند رؤية الفيلة وتبتعد عنها.

وقد اقترحت قبيلة تميم على سعد خطة تتلخص في تشكيل مجموعات لمواجهة الفيلة بحيث تتوجه كل مجموعة الى فيل ثم تنقسم الى قسمين: قسم يتولى مشاغله (من يركب على الفيلة) والقسم الاخر يلتف حول مؤخرة الفيل ويقومون بقطع الاحزمة التي تثبت التوابيت المحملة على ظهورها، وقد قبل سعد خطة بني تميم واوكل الى زعيمهم عاصم بن عمرو مهمة تنفيذها.

ونجحت قبيلة تميم في تنفيذ خطتها حيث قطعوا أحزمة الفيلة وأذنابها فارتفعت اصوات الفيلة وسقطت صناديقها بمن فيها فهجم عليهم المسلمون وقتلوهم وخرجت الفيلة من ميدان المعركة بعد ان أحدث خروجها خلخلة في صفوف الفرس[٣].

بعد هذا النجاح الكبير الذي حققته قبيلة تميم في اخراج الفيلة وقتل حمولتها وبعد

---

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع ص ١١٨

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع ص ١١٨

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثاني، ص ٣٢٠

النجاح الذي كانت قد حققته قبيلتا بني أسد وكنده في هجومهما المضاد على قوات الجالينوس والهرمزان كبر سعد التكبيرة الرابعة ايذاناً بالهجوم الشامل واستمرت المعركة حتى غروب الشمس حيث تمكن المسلمون من استعادة مواقعهم كما تراجع الفرس للمواقع التي كانوا عليها قبل نشوب القتال.

وقد استراح المسلمون والفرس طوال تلك الليلة التي اطلق عليها (ليلة (الهدأه) لانه لم يحدث فيها اي قتال)[1].

٢ - اليوم الثاني (يوم اغواث) تمثلت احداث اليوم الثاني بوصول القعقاع بن عمرو التميمي في صباح هذا اليوم الثاني من ايام المعركة وكان يقود مقدمة جيش الشام الذي كان قد ارتحل من العراق بقيادة خالد بن الوليد في شهر صفر ١٣ هجرية وها هو ذا يعود الى العراق بعد غياب سنتين بقيادة هاشم بن عتبه بن ابي وقاص بدلاً من خالد بن الوليد وعدده ستة آلاف جندي بدلاً من تسعة آلاف.

وقد دفع(هاشم بن عتبة) القعقاع على مقدمة هذا الجيش وكان قوامها الف رجل وصل بهم القعقاع القادسية فقسمهم الى مجموعات كل مجموعة عشرة رجال وطلب اليهم ان يتقدموا على دفعات بين كل مجموعة والتي تليها مدى الرؤيا وكان القعقاع على رأس اول عشرة وصلت ميدان القتال[2].

وعند وصوله انطلق نحو قبيلته بني تميم وتقدم امامهم نحو الفرس طالباً المبارزة وكان (بهمن جاذوية) يواجه قبيلة بني تميم فتقدم نحو القعقاع لمبارزته فسأله القعقاع عن اسمه فقال له أنا (بهمن جاذوية) عندها صاح (القعقاع) بصوته الجهوري الذي يجلجل كالرعد (يا لثارات يوم الجسريا لثارات أبي عبيد) ثم انطلق نحوه كالسهم وقتله.

وعاد القعقاع ثانية امام الفرس يطلب المبارزة فخرج اليه (البيرزان) ثم هجم عليه (القعقاع) وقتله[3].

واستمرت المبارزة حتى الظهر وكانت كفتها شديدة الرجحان للمسلمين وقد اراد القعقاع بهذه المبارزة ان يقلب ميزان المعركة نفسياً لما تتركه المبارزة من أثر نفسي على معنويات الطرفين كما ان وصول مجموعات القعقاع المجموعة تلو الاخرى قد ساهم ايضاً بدور كبير في رفع معنويات المسلمين وتحطيم معنويات الفرس.

والقعقاع مفكر مبدع خلاق فعندما أخبره افراد قبيلته ما صنعته الفيلة في اليوم

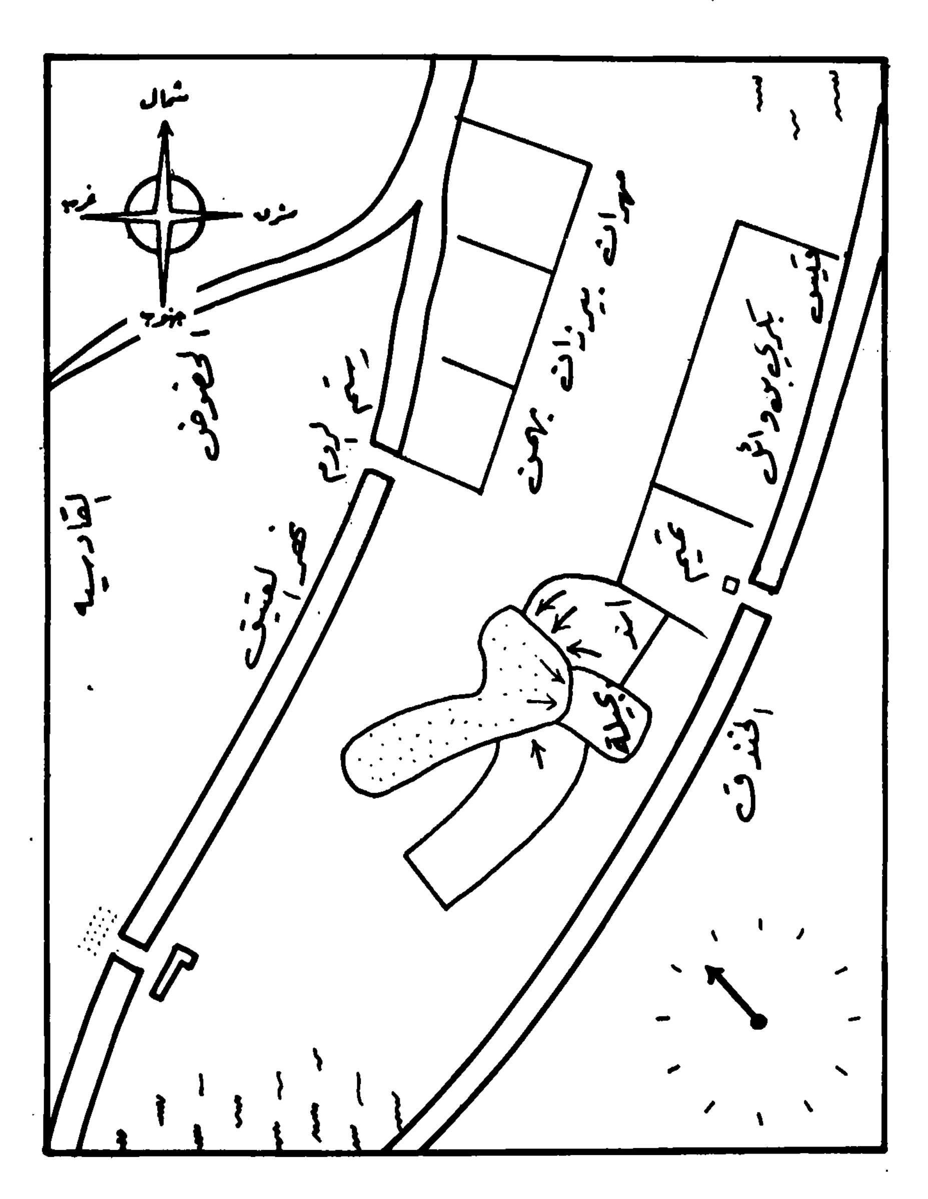
---

(١) احمد عادل كمال، القادسية، دار النفائس بيروت ص ١٤٦

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر بيروت ص ١٢٠.

(٣) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع ص ١٢٠

خارطة الهجوم المعاكس الإسلامي ضد قوات الفرس المهاجمة



الاول عمد الى الابل فبرقعها وجللها ووضع عليها أحمالاً وقسم قومه الى مجموعات اركبهم عليها وطافت حولها فرسانهم تحميها ثم باشر هجومه على قلب الجيش الفارسي وهجم معه المسلمون واستمر يضغط على قلب ذلك الجيش حتى كاد ان يصل الى رستم، فلقي الفرس من الأبل يوم (أغواث) اعظم مما لقي المسلمون من الفيلة يو (أرماث) حيث اخذت خيول الفرس تفّر من الابل ثم ركبتهم خيول المسلمين.

٣ ـ **ليلة السواد**[١] سميت هذه الليلة (ليلة السواد) لشدة القتال فيها حيث استمر القتال محتدماً وتزاحف الناس فاقتتلوا حتى منتصف الليل فكانت ليلة (أرماث) تدعى ليلة (الهدأه) وليلة (أغواث) تدعى ليلة (السواد، وكان لأبي محجن الثقفي دور كبير حيث استأذن سلمى زوجة سعد بأن تفك قيوده وتسمح له (بالبلقاء) فرس سعد وكان ابو محجن محبوساً لانه اعترض على توليه خالد بن عرفطه مكان سعد.

وقد كانت لياقة أبي محجن عالية لانه لم يشترك في القتال بعد وكان فعله عظيما حيث رآه سعد وقال (والله لولا محبس ابي محجن لقلت: هذا ابو محجن وهذه البلقاء) وعندما علم انه ابو محجن اطلق سراحه)[٢].

٣ ـ **اليوم الثالث (يوم عماس)** تلخص احداث هذا اليوم من جانب المسلمين بوصول هاشم بن عتبه وجيشه مع الصباح الباكر وانضمامهم الى الجيش الاسلامي المجموعة تلو الاخرى كما صنع القعقاع فارتفعت بهم معنويات المسلمين[٣].

اما من جانب الفرس فقد ادخلوا الفيلة الى ميدان القتال مرة اخرى وعينوا لها حرساً من المشاه تحميهم الفرسان خشية ان يفعل بها المسلمون فعلتهم في اليوم الثاني.

واستشار سعد بعض الفرس الذين تم أسرهم في المعركة عن نقاط الضعف في هذه الفيلة فأخبروه بأن عيونها ومشافرها أشدها خطرا عليها.

وكان من بين هذه الفيلة فيلين خطيرين أحدهما أبيض والاخر أجرب أمام واجهتي تميم وأسد فأرسل الى القعقاع وعاصم أن يقوما بفقيء عيني الفيل الابيض ويقطعا مشفره كما ارسل الى (حمال بن مالك والربيل بن عمرو) من قبيلة بن أسد أن يقوما

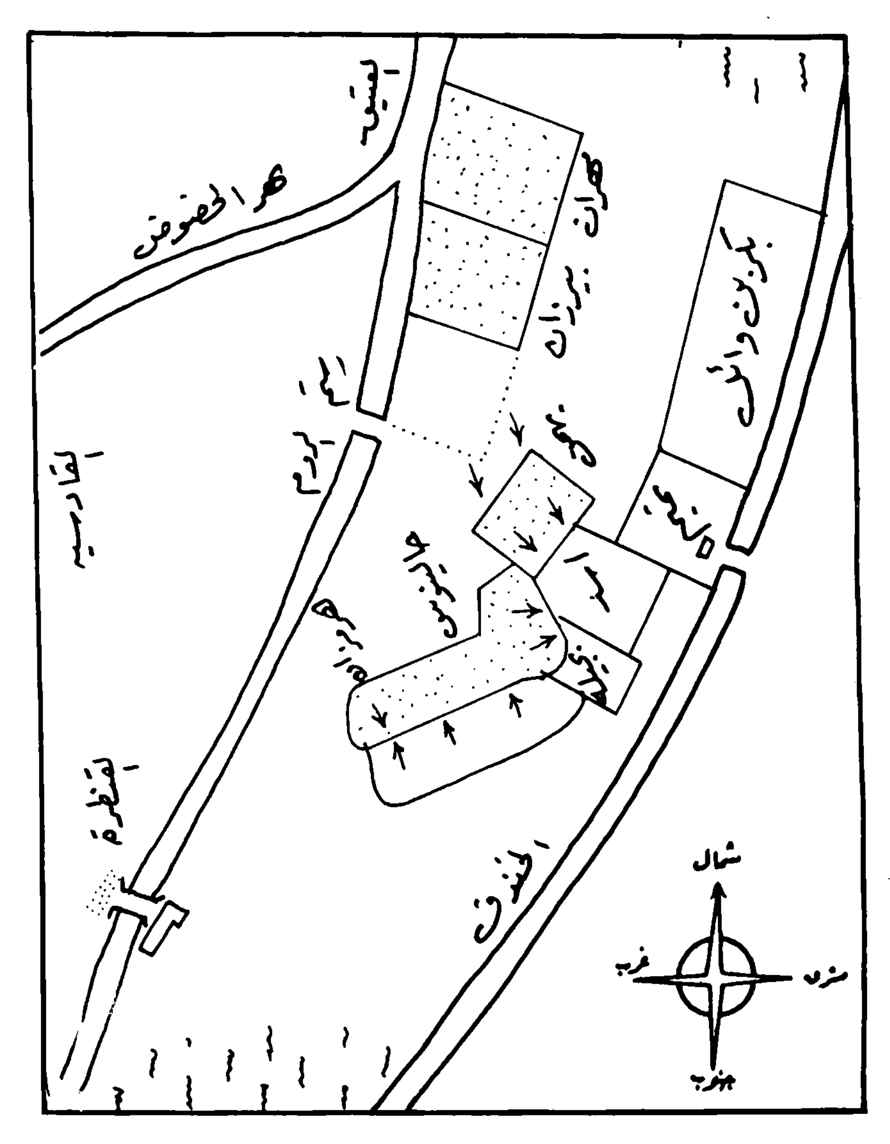
---

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع، ص ١٢١ ـ ١٢٢ وكذلك ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثاني، ص ٣٢٣

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع، ص ١٢٣، وكذلك ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثاني، ص ٣٢٤.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، الجزء الثاني، المكتبة الاسلامية بيروت، ص ٣٢٣ ـ ٣٢٥، وكذلك ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء السابع، ص ٤٤ ـ ٤٥.

خارطة بداية نجاح الهجوم الإسلامي المضاد بعد وصول جيش الشام إلى القادسية



بفقيء عيني الفيل الاجرب ويقطعا مشفره[١].

وقد نجحوا جميعاً بمساعدة رجال تميم وأسد من تنفيذ هذه المهمة فخرج هذان الفيلان من بين صفوف الفرس وألقيا بنفسيهما في النهر فلحقتهما بقية الفيلة عائدة الى المدائن.

وهكذا نجح المسلمون باخراج الفيلة من ميدان المعركة قبل الظهر واستمر القتال شديداً طول ذلك اليوم حتى المساء فعاد الجميع الى مواقعهم وفي هذا اليوم لم ترجح أية كفة على الاخرى في القتال[٢].

ليلة الهرير علم سعد بوجود مخاضة على نهر العتيق فخشي ان يتسلل الفرس منها ويوقعوا بالمسلمين فأرسل كلاً من طلحة بن خويلد الاسدي وعمرو بن معدي كرب الزبيدي الى المخاضة للتأكد من عدم وجود الفرس في تلك المنطقة وعندما وصل الرجلان لم يجدا احداً هناك فأما طلحة فقد عبر المخاضة ووصل خلف منطقة (الردم) الذي صنعه الفرس وعبروا عليه وكبر بأعلى صوته ثلاثاً.

واما عمرو بن معدي كرب فلم يتبعه بل بقي في مكانه ينتظر أوامر سعد.

سمع الفرس والمسلمون صوت طليحة وفوجئوا جميعاً حيث لم يميزوا صاحبه فاستبشر المسلمون وتشاءم الفرس واستعد الجميع للقتال.

عاد طليحة الى معسكره واخبر سعداً بذلك ولم يتمكّن الفرس من اللحاق به[٣].

عبأ كلا الطرفين صفوفهما من جديد وكانت تعبية الفرس مختلفة عما كانت عليه في الايام الثلاثة الاولى فلقد لاحظ رستم خلال القتال والمبارزة ان المستوى القتالي للمسلمين وكذلك اللياقة البدنية أفضل بكثير من المستوى القتالي للفرس، ولذلك فقد قرر أن يكون قتاله هذه الليلة زحفاً وليس باسلوب الكر والفر فنظمهم في ثلاثة عشر صفاً في القلب والمجنبتين وكذلك فقد وضع الفرسان في المقدمة ثم صف كتائب المشاه خلف الفرسان ووقف الفريقان في مواجهة بعضهما ينتظران الاذن بالقتال وخرج سهم من جهة الفرس

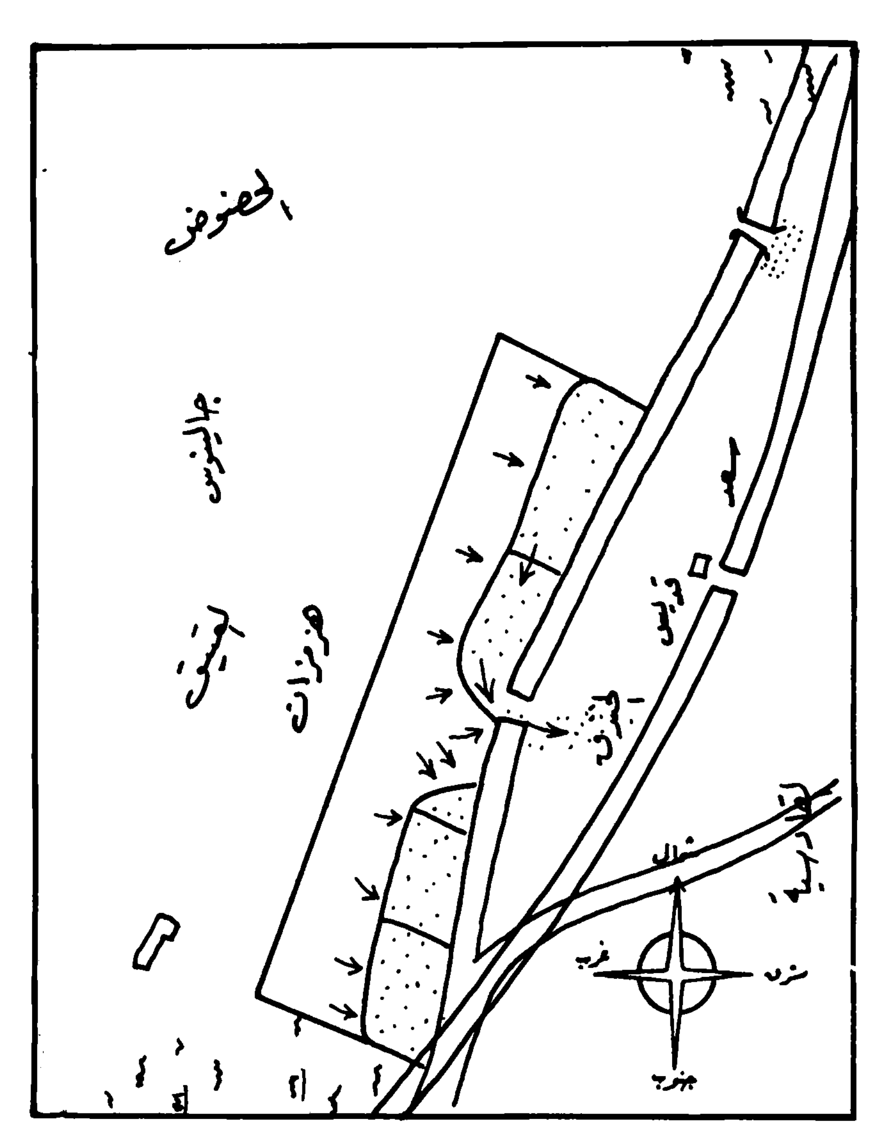
---

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع ص ١٢٦ ـ ١٢٨، وكذلك ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد الثاني، بقية الجزء الثاني ص ٩٨

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع، ص ١٢٨، وكذلك ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثاني، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨، وكذلك ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد الثاني، بقية الجزء الثاني ص ٩٨.

(٣) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع، ص ١٢٩، وكذلك ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثاني ص ٣٢٨.

خارطة الانتصار الحاسم للجيش الاسلامي في القادسية



وربما يكون القعقاع قد أطلع سعداً على خطته فوافقه عليها ولذلك نجده يقول عندما أخبروه بهجوم القعقاع ليلة الهرير: (ان الامر الذي صنع القعقاع وأقره على فعلته وقال: (اللهم اغفرها له وانصره ثم قال واتميماه سائر الليلة)[1].

فانهاك الخصم اسلوب طبقه خالد باستمرار في جميع حروبه في العراق والشام وقد شهد القعقاع كل هذه الحروب.

وصوت القعقاع الذي كان يجلجل طول الليل كان بمثابة الايذان للمسلمين باستمرار القتال كما كان يبعث فيهم الحمية والنخوة ويدفعهم الى مزيد من الثبات والنصر.

ومع طلوع شمس اليوم الرابع من ايام القادسية يدق القعقاع اسفينه في قلب الجيش الفارسي على قوات بهمن جاذويه الذي كان قد قتله فور وصوله في المبارزة وتصل قبيلة تميم الى مقر قيادة رستم[2]

كان هجوم القعقاع صباح اليوم الرابع أشبه بالضربة الفنية القاضية في حلبة المصارعة وجهها نحو عدوه بعد أن أوصله الى مرحلة الاعياء طوال ليلة الهرير.

وقد بارك الله هذا الهجوم بريح قوية اقتلعت خيمة رستم واطارتها في الوقت الذي كانت قبيلة تميم قد وصلت قريباً من هذه الخيمة.

وعندما وجد رستم أن الخطر قد أحاق به اختبأ خلف أحد البغال التي ارسل عليها كسرى المؤن للجيش، فأدركه هلال بن علقمه وقتله.

ثم ذهب الى راية الفرس وصاح بأعلى صوته: (قتلت رستم ورب الكعبة)[3] وعندما سمعه الفرس ولوا أدبارهم هرباً فغرق منهم في النهر من غرق ونجا منهم من تمكن من عبور النهر وكان عددهم قليلاً (ولكن سعداً لم يفتح لهم سبل النجاة حيث أقفل المعابر في وجوههم وكلّف كلاً من القعقاع وأخيه عاصم بن عمرو بمطاردة الفارين نحو اسفل الفرات كما كلف شرحبيل بن السمط[4] بمطاردة الفارين نحو أعلى الفرات، وأمر (خالد بن عرفطة) بسلب قتلى الفرس ودفن شهداء المسلمين وكان قبل ذلك قد كلّف (زهرة بن حيوه) بمطاردة الفارين فلحق بهم وكان على رأسهم (الجالينوس) حيث قتله وأخذ سلبه[5]

---

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع، ص ١٣١ وكذلك ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثاني ص ٣٢٩

(٢) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع، ص ١٣٢، وكذلك ابن الاثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثاني ص ٣٢٩.

(٣) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع ص ١٣٢.

(٤) أحمد عادل كمال/ القادسية/ دار النفائس/ ص ١٩٦.

(٥) الطبري، تاريخ الامم والملوك، الجزء الرابع، ص ١٣٣، وكذلك ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المجلد الثاني، بقية الجزء الثاني ص ٩٩

وهكذا انتهت معركة القادسية بنصر حاسم للمسلمين على الفرس توجهوا على اثره الى المدائن وفتحوها دون عناء كبير وفتحت بعد ذلك جميع بلاد فارس.

بلغ عدد شهداء المسلمين في هذه المعركة ثمانية الاف وخمسماية شهيد أما الفرس فقد بلغ عدد قتلاهم في اليومين الاخيرين عشرة الاف قتيل اضافة الى ثلاثين الف مقرنين في السلاسل غرقوا في نهر العتيق والقتلى الذين سقطوا في اليومين الاولين(١)

---

(١) احمد عادل كمال، القادسية، دار النفائس ص ١٩٦.

فهرس الاعلام

الاسم	الصفحة
(أ)	
الرسول صلى الله عليه وسلم	١٥،١٦،٢٥،٤٢،٧٣،٨٩
ابن خلدون	١٦،٣٤
ابن سعد	١٦،٢٢
ابن كثير	٢٣،٣١،٣٣،٣٤،١٢
ابن الاثير	١٢١
ابن هشام	١١٦
ابو الجعيد	١٣٨
ابو الدرداء	١١٥
ابو بكر	٢٢،٢٣،٢٥،٢٦،٢٧،٢٨،٣٠،٣٢،٣٣،٣٤،٣٤،٣٧،٤١،٤٢،٤٧ ٥٥،٦٥،٧٣،٧٥،٧٧،٧٩،٨٨،٩٩،١٠٣،١٤٩،١٥٩
ابو عبيدة	٧٩،٨٣،٩٠،٩٨،١٠٧،١٠٨،١١٤: ١١٥،١١٦،١١٧،١٣١ ١٣٢،١٤١،١٤٥،١٤٩
ابو محجن الثقفي	١٦٠،١٧٣
ابو عبيدة بن مسعود	١٤٩
ابو هريرة	٢٣
اردشير الأكبر	٤٧،٦٣،١٥٤
اردشير بن شيري	١٦،٢٢،٣٣

اسامة بن زيد .... ٢٢،٢٣،٢٥،٣٠،٧٣
اسماء بنت ابي بكر.. ١٣٢
آزرميد خيت .... ١٥٤،١٥٥
البراء بن مالك.. ٣٨

الحارث بن عمير الازدري .... ١٥،٣٢
ابن اسحق.. ١٦
الزبير بن العوّام .... ١٣٢،١٣٦،١٧٣
الحطيئة ٣٢
الطبري ١٦
العلاء الحضرمي .... ٣٨،٣٩
العنسي .... ٣٠،٤٠
الغساسنة ٧٧
المسيح عليه السلام ٨٧
القعقاع بن عمر التميمي.. ٤٧،٥٠،٦٩،١٦٠،١٧٠،١٧٣،١٧٨،١٨١
النسطور.. ١٣٧
النعمان بن مقرن.. ٣١
المثنى بن حارثة.. ٤١،٤٧،٤٨،٥٠،٥٤،٦٥،٦٩،٧٣،٧٦،٨٨،١٤٩،١٥٣
١٥٥،١٥٩،١٦٠
البيرزان.. ١٧١
المسعودي ١٩
انوشجان ٤٨
الازد ١٣١
النعمان بن جهلة.. ١٣٦،١٤٥
المغيرة بن شعبة.. ١٣٦
المهاجر بن امية.. ٤٠
المنذر بن ساوى العبدي.. ٣٩
الواقدي .... ١٢١،١٣١،١٣٢،١٣٧
الاسكندر المكدوني ٨٧
الاسود العنسي.. ٣٠
المناذرة ٧٧
الاقباط ٧٧
المنذر بن النعمان.. ٣٨،٣٩
اندرزغر.. ٥٧،٥٨
المعنى بن حارثة الشيباني ١٤٩

(ب)

بر يدة بن الحصيب الأسلمي ٢٢
بزاخة ٣٣
بسر بن ابي رهم .... ٥٨، ٥٩
بشير بن الخصاصية ١٦٠
بني أسد ٣٠
بني غطفان ٣٠
بني كنانة ٣١
بهمت جاذو ية .... ٥٧، ٥٨، ٥٩، ١٧٠
بوران ١٥٥
بيبرس ٨٨

(ث)

ثابت بن اقرم العجلان ١٦
ثابت بن قيس بن شماس ٣٧
ثمامة بن أثال ٣٩
ثعلبة بن بر بوع ٥٧

(جـ)

جابان ٦٣
جابر بن بجير .... ٥٩، ٦٣
جالينوس .... ١٥٦، ١٦٣، ١٨١
جبلة بن الأيهم .... ١٢١، ١٢٥
جرجير .... ١٢١، ١٣٥، ١٤١
جعفر بن ابي طالب .... ١٥، ١٦، ١٩
جيفرا ٤٠
جيفر بن عباد ٣٩
جرجيس ١٤١

(ح)

حبال بن طليحة ٣١

حذيفة بن محض الحميري .... ٣٩،٣٧
حرقلة ٤٧
حمّال بن مالك ١٧٣

(خ)

خالد بن الوليد .... ٥٠،٤٩،٤٨،٤٧،٤٦،٤٥،٤٢،٤١،٣٨،٣٤،٣٣،٢٧،٢٥،٢٠،١٦
١٠٤،٩٩،٩٧،٩٥،٧٨،٨٣،٧٦،٧٥،٦٥،٥٩،٥٨،٥٦،٥٥،٥٣
١٤٩،١٤٥،١٣٥،١٢٥،١١٤،١١٣
١٨١،١٧٨،١٧٠،١٥٦،١٥٣
خالد بن سعيد .... ٩٠،٨٩،٨٨،٨٧،٨٣،٨٠،٧٦،٧٣،٤٠،٣٢
خالد بن عرفطة .... ١٨١،١٧٣
خولة بنت الأزور ١٣٦
خالد بن عمر التميا ١٧٨

(د)

داذوية .... ٤٠،٣١
ديرجان ١٢١
دوس ١٣١

(ذ)

ذختزنان ١٥٤
ذبيان ٣٢
ذو التاج لقيط بن مالك الازدي ٣٩
ذي الكلاع الحميري ١٣٥

(ر)

رافع بن عمير الطائي ٩٥
رستم .... ١٨١،١٦٣،١٦٠،١٩٥
روماس ١٢٥
رومل ٨٨
ربيل بن عمر ١٧٣

(ز)

زهرة بن حبوة ١٨١
زيد بن حارثة .... ١٥،١٦،١٩
زيد بن الخطاب ٣٧
زبيد ١٣١

(س)

سلمى زوجة مثنى ١٥٤
سابور بن شهريار .... ١٥٤،١٥٥،١٥٦
سالم بن نصير ٤٨
سجاح بن الحارث ٣٤
سعد بن ابي وقاص .... ٢٢،١٥٣،١٥٤،١٥٥،١٦٩،١٧٣،١٧٧
١٧٨،١٨١
سعيدة بنت عاصم ١٣١
سعيد بن مرة العجل ٥٨
سلمى زوجة مثنى ١٥٤
سقلاب الخصي ١٢١
سليط بن قيس ١٤٩
سويد بن مقرن .... ٣١،٤٠،٥٨
سيف بن عمير ٢٣

(ش)

شخريت ٤٠
شرحبيل بن السمط ١٨١
شرحبيل بن حسنة .... ٣٧،٧٣،٧٦،٨٣،٩٠،٩٧،٩٩،١٠٣،١٠٨،١١٥
١٣٥،١٣٦
شرحبيل بن عمر الغساني ١٥
شهريار بن اردشير ١٥٤
شيري بن كسرا ٤٧

(ض)

ضرار بن الأزور .... ٣٤،١٣٥،١٣٦

(ط)

طارق بن زياد ٢٧

طرفة بن حاجب .... ٣٢،٣٣

طريفة بن حاجز .... ٣٣،٤٠

طلحة بن خويلد الأسدي .... ٣٣،٣٤،١٦٩،١٧٧

(ع)

عباس محمود العقاد ٩٧

عاصم بن خوال ١٤٠

عاصم بن عمر .... ٤٨،٥٠،١٨١

عبابة بن مالك ١٦

عبدالرحمن بن ابي بكر .... ٣٨،١٢٥

عبدالله بن رواحة .... ١٥،١٦،١٩

عبدالله بن مقرن ١٢٥

عبدالملك بن عبدالحميد ١٢٥

عبدالأسود العجلي .... ٥٩،٦٣

عرضجة بن هرتمة .... ٣٢،٣٧،٣٩،٤٠

عمر بن الخطاب .... ٢٢،٢٣،٢٥،٢٧،٢٨،٢٩،٣٠،٣٤،٣٧،١٠٣،١٠٨
١٥٣،١٥٥

عمر بن معد الزبيدي .... ٤٠،١٧٧

عمر بن العاص .... ٢٧،٣٢،٣٧،٤٠،٧٩،٨٣،٩٨،١٠٨،١١٥،١١٧،١٣١
١٣٢

عمر بن طفيل .... ١١٣،١١٤

عدي بن الحرث الحمداني ١٢٥

عدي بن حاتم الطائي ٤٨

عكرمة بن ابي جهل .... ٣٧،٤٠،٦٤

عفيره بن عتبة ١٣١

عفراء بنت عفان ١٣٦

عوف الحميري ٤٧